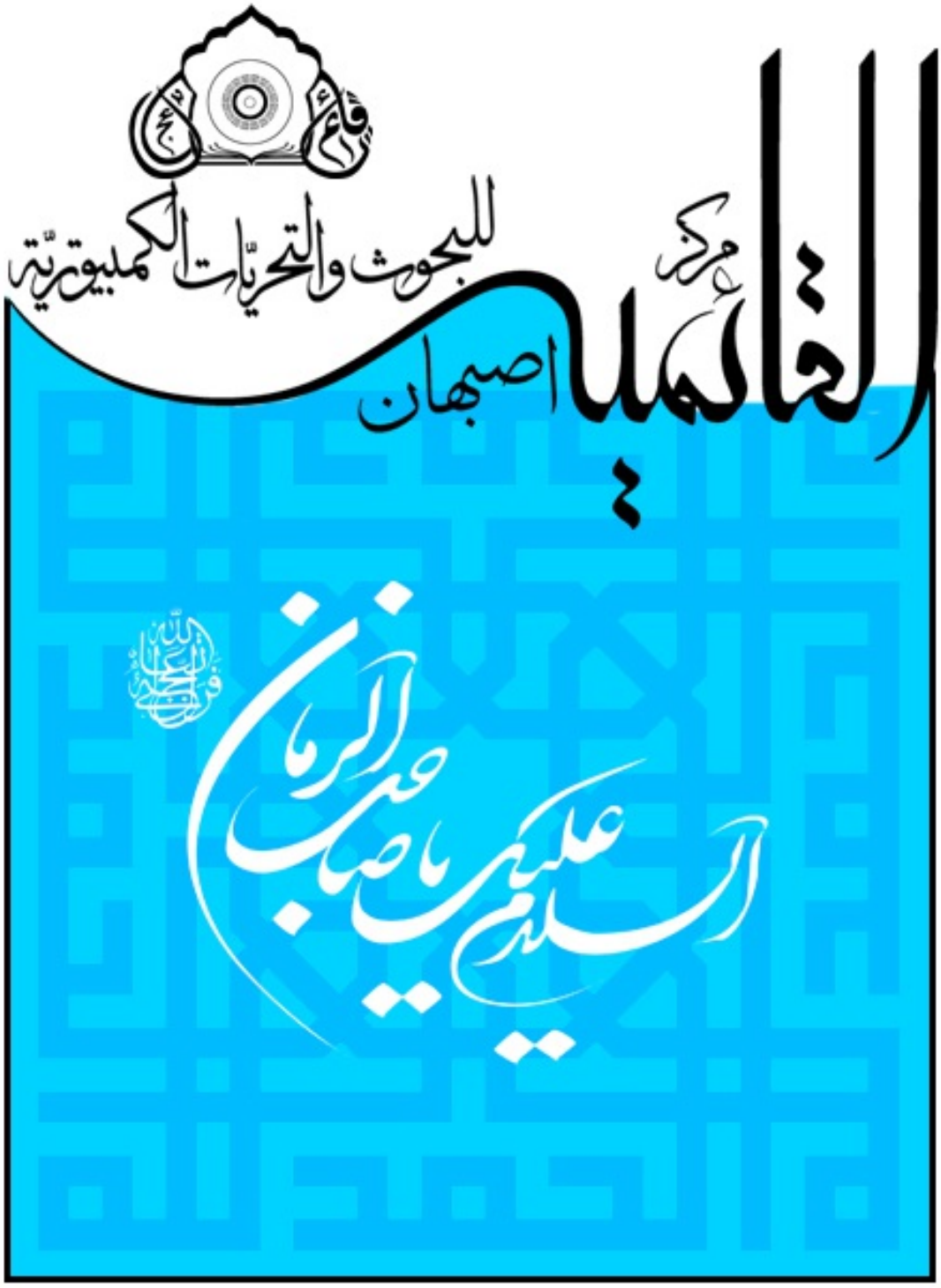

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

آداب الوهابیة

بسم الله الرحمن الرحيم

اکاذیب الوهابیه

کاتب:

صالح وردانی

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
اکاذیب‌الوهابیه ----- ۸
اشارة ----- ۸
اشارة ----- ۸
تقدیم ----- ۱۱
مدخل تأریخی ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
بین الخوارج والحنابلة ----- ۱۳
تاریخ الحنابلة ----- ۱۷
بدایة الأُفول ----- ۲۳
الوهابیّون والحنابلة ----- ۲۶
أکاذیبهم علی أهلِ السُنَّة ----- ۳۳
أکاذیبهم حول التوحید ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
ابن تیمیّة والاستواء ----- ۵۱
اعتقادات أهل السُنَّة ----- ۵۶
منشورات الوهابیة ----- ۶۳
أقوالُ ابن تیمیّة ----- ۸۸
أکاذیبهم حول القبور والتوسُّل ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
موقف الفقهاء ----- ۱۱۹
قضیَّة التوسّل ----- ۱۲۵
أکاذیبهم علی التُراث ----- ۱۳۴

اشارة ----- ۱۳۴
فتحُ الباری ----- ۱۳۶
العقیدة الطحاویَّة ----- ۱۳۹
الأذکار ----- ۱۴۵
منهج السالک ----- ۱۴۵
مطارق النور ----- ۱۴۶
مناظرة الرافضی ----- ۱۴۸
نهج البلاغة ----- ۱۴۹
العَواصِم من القواصِم ----- ۱۵۰
أکاذیبهم علی الشیعة ----- ۱۵۴
اشارة ----- ۱۵۴
ابن سَبأ ----- ۱۵۷
ادِّعاءات ----- ۱۶۳
تقیة ----- ۱۸۶
الشیعة والتتار ----- ۱۸۸
ألألاعیب ----- ۲۰۱
أکاذیب أُخری ----- ۲۰۸
ابن تیمیّة ----- ۲۰۸
التقلید ----- ۲۱۱
الفرقة الناجیة ----- ۲۱۵
ملاحق الکتاب ----- ۲۱۸
مُلحق: ۱ موجز مسائل ابن تیمیّة التی خالف فیها السُنَّة: ----- ۲۱۸
ملحق: ۲ نماذج من ردود أهل السنّة علی ابن تیمیّة. ----- ۲۱۹
ملحق: ۳ نماذج من کُتب أهل السُنَّة التی تردّ علی الوهابیَّة ----- ۲۲۰

ملحق: ۴ جدول یبین أهم المسائل المخالفة لأهل السنة عند الوهابیین ---------- ۲۲۱

ملحق: ۵ صور من خلافات الوهابیّین ووقوعهم فی بعضهم ---------- ۲۲۲

مراجع الکتاب ---------- ۲۲۵

تعریف مرکز ---------- ۲۳۳

اکاذیب‌الوهابیه

اشارة

سرشناسه : وردانی، صالح

Wardani, Salih

عنوان و نام پدیدآور : اکاذیب‌الوهابیه/ صالح الوردانی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۱۸۹ ص.: جدول.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۲۸۹-۹

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه: ص. [۱۸۲]- ۱۸۷؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : ابن‌تیمیه، احمدبن عبدالحلیم، ۶۶۱ - ۷۲۸ق. -- نقد و تفسیر

موضوع : وهابیه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

رده بندی کنگره : BP۲۰۷/۶و۴الف۷ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱۶

شماره کتابشناسی ملی : ۲۳۲۰۳۶۰

ص: ۱

اشارة

ص: ۲

ص: ۳

تقديم

ص: ۴

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتمـدت الوهابيّـة منـذ ظهورها، ولازالت تعتمد، على الأكاذيب والأضاليل، وعملت على التستُّر بأهل السـنّة والسـلف تارة، وبالإجماع تارة أُخرى ..

وكـان عمادهـا فى هـذه الأكـاذيب وهـذا التستُّر هو ابن تيميّـة، الـذى كان ينسب أقواله وفتاويه لأهل السـنّة والسـلَف والإجماع دائماً، ويتلقّف الوهابيّون أقواله بمنطق التسليم.

وكما كذب ابن تيميّة على أهل السنّة والسلَف، كذب الوهابيّون كذلك، وما بُنى على الكذب فهو كذب.

ولم تنحصـر أكـاذيب الوهابيـة فى محيط نقل أقوال ابن تيميّـة ونسـبتها لأهل السـنّة، بل امتـدَّت إلى تراثهم فحرَّفته، ليكون فى خـدمة عقائدها المنحرفة.

وامتدّت أيضاً إلى المذاهب والاتّجاهات الأُخرى فى محيطهم، التى تمَّ السطو على كُتبها وتحريفها؛ لتخدم

ص: ۵

مذهبهم، وتُبعد الشُبهات عنهم.

ولمّا كان وضع ابن تيميّة ضعيفاً، ووزنه قليلًا وسط أهل السنّة، قام الوهابيّون بنَسج العديد من الأساطير حول شخصيته، بهدف تضخيمه فى أعين المسلمين.

ولقد عمدت الوهابية على بثِّ الأكاذيب؛ لتثبت كونها حركة إصلاحية، بينما هىفى الحقيقة- حركة إرهابية، استحلَّت دماء المسلمين وأموالهم، وعملت على اختراق المؤسّسات الإسلامية، وشراء الأقلام والكتَّاب واستخدامهم فى الدعاية لها. وما كان لحركة تقوم على الأكاذيب أن تبرز وتدوم إلّا بدعم ومساعدة آل سعود، ومن ورائهم أعداء الإسلام.

كان وجود الوهابيّة ضرورة حتميّة لتفريق المسلمين وتخلّفهم، وتوطين العداوة والبغضاء بينهم.

وهذا الكتاب يؤكِّد، من خلال نصوصه، على أنّ الوهابيّة ليست سوى فرقة ضالَّة دعواها كاذبة، وهى امتداد للفِرق الضالَّة السابقة، فمن ثَمَّ هى لا تُعبِّر عن أهل السنَّة والسلف، بل تتمسّح بهم. وهو ما سوف نعرضه فى هذا الكتاب، ونؤكِّده من خلال مصادرهم ونصوصهم.

صالح الوردانى

ص: ۶

مدخل تأريخى

اشارة

فى تاريخ المسلمين، واجه الإسلام العديد من صور التمرّد والانحراف والفِرق الضالّة والمتطرِّفة، وكانت الأصابع التى تحرِّك هذه الفرق وتدعم هذه الحالة، تتركَّز فى المنافقين وأصحاب المصالح والنفوذ، من القوى الحاكمة وأعوانهم، بالإضافة إلى أصحاب الأهواء والنفوس المريضة، الذين لا يخلو منهم زمان، ولاتسلم منهم الأديان ..

ومن أخطر الفِرق التى واجهت الإسلام وتركت بصمتها فى واقع المسلمين، لتصبح المَثل القائم والنموذج الدائم على الاعوجاج والتطرُّف وتفريق المسلمين، هى فرقة الخوارج، ثُمَّ تلتها فرقة الحنابلة.

بين الخوارج والحنابلة

وهناك تشابه كبير بين الحنابلة والخوارج، من حيث تناول الدِّين، ومن حيث المواقف والسلوك، كذلك هناك تشابه أو تطابق بين العناصر التى تنتمى لهاتين الفرقتين.

ص: ۷

الخوارج وردت فيهم الكثير من الروايات النبويَّة التى هى بمثابة نبوءات، والتى تحذِّر الأُمّة منهم، وتكشف تركيبتهم وتحدِّد ملامحهم وتجسِّم الخطر المُحدق منهم.

ومن أهمِّ الملامح التى حدَّدتها هذه الروايات:

* سفهاء الأحلام وحدثاء الأسنان.

* يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم.

* تحقر صلاتك خلف صلاتهم.

* أيديهم كثَفنات الإبل.

* مُحلِّقى الرؤوس.

* يقاتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان.

* سِمتهم المكابرة وغلظة القلوب.

* طبائعهم بدوية أعرابية.

* يتعبَّدون بالقشور ويهملون عظائم الأمور.

والمتأمّل فى فرقة الحنابلة يجدها تحمل نفس طباع وملامح فرقة الخوارج.

الخوارج هم أوّل مَن حمل راية التكفير فى مواجهة المسلمين، والحنابلة حملوا نفس الراية.

الخوارج أراقوا دماء المسلمين، والحنابلة كذلك.

الخوارج قشريّون مُسطّحون يتعبّدون بالروايات، والحنابلة كذلك.

الخوارج يبالغون فى القشور والشكليّات، والحنابلة كذلك.

الخوارج من البَدو والأعراب، والحنابلة كذلك.

ص: ۸

الخوارج غلاظ القلوب، والحنابلة كذلك.

الخوارج سِمتهم المكابرة والتحدّى، والحنابلة كذلك.

والأهم من ذلك كلّه، أنَّ الخوارج وقفوا فى مواجهة أهل البيت: بقيادة الإمام على (ع)، وكذلك الحنابلة وقفوا فى مواجهة أهل البيت، واعتبروا شيعتهم عدواً دائماً لهم. وهذه من الظواهر المُلفتة فى التاريخ.

والسؤال هنا: لماذا ارتبطت حركة الإمام على بمواجهة الخوارج؟

ولماذا يقف الحنابلة هذا الموقف العدائى من أهل البيت وشيعتهم؟

والجواب هو أنّ حركة الإمام هى امتداد لحركة الرسول (ص)، فمن ثُمَّ لا يملك أحد سوى الإمام القدرة على مواجهة هذه الفرقة.

والقدرة هنا لا تنحصر فى السيف، فالسيف يملكه الجميع، وإنّما تنحصر فى علم الإمام ومقوِّماته الخاصّة، التى ورثها عن الرسول، والتى لا يملكها أحد سواه. وتلك المقوِّمات ورثها عنه أهل البيت:.

من هنا، شكَّل نهج الإمام الخطرَ القائم والدائم لفرقة الخوارج، ومَن سار على نهجها وتتطبّع بطباعها.

الإمام واجه الخوارج باسم الإسلام الذى يمثّله ويعبّر عنه، لا باسم الحاكم.

والخوارج يعلمون حقَّ العلم ويعرفون حقَّ المعرفة أنّ عليّاً هو الناطق الشرعى باسم الدين، وهو الذى يمثِّل الخط

ص: ۹

الشرعى، خط الرسول (ص)، ذلك الخط الذى يتهدَّدهم على الدوام.

أمّا الخطوط الأُخرى التى انتحلت الإسلام وتلحَّفت بالرسول، فلا تشكِّل أدنى خطر عليهم، بل تعدّ امتدادات لهم.

ولأجل ذلك .. كانت المواجهة بين الخوارج والإمام مواجهة مصيرية. كذلك المواجهة مع خطِّه ونهجه من بعده.

لقد أصبح الخوارج النموذج الدائم لأعداء أهل البيت: وشيعتهم على مرِّ الزمان. وأهل البيت وشيعتهم شكَّلوا الحصن المنيع الذى يحتمى به الإسلام الحقّ، الذى يكشف ضلالهم واعوجاجهم، وضلال واعوجاج الفِرق التى تولَّدت منهم عبر الزمان، وعلى رأسها فرقة الحنابلة والوهابيّة المعاصرة.

وقد استعرضتْ لنا كتب السُنن وكتب التاريخ والتراجم العديد من الملامح والظواهر والمُمارسات التى تتعلَّق بالخوارج، ممّا اشتهر أمره، ليصبح هؤلاء الخوارج محلّ نبذ ورفض جميع المذاهب والاتّجاهات الإسلامية. وهو الموقف الذى طال الحنابلة فيما بعد؛ ليصبحوا محلّ رفض ونبذ المذاهب الإسلامية، ويتحوّلوا إلى أقلِّ المذاهب شأناً؛ ممّا دفع بهم إلى إعلان الحرب على المذاهب والفقهاء، واتّهامهم بالمروق والزندقة، وإحياء البِدع ونصرة أهل الأهواء وإماتة السُنّة، وغير ذلك من التُهم التى تلقّفتها منهم الوهابية

ص: ۱۰

المعاصرة، وأخذت تلقى بها على المسلمين شيعةً وسُنّة.

إلّا أنّ الحنابلة الذين يحملون صفات الخوارج، من التعبّد بالرواية وسطحيّة الفهم، وضعف العقل وغلظة القلب، والتركيز على الشَكليّات؛ وجدوا فى حركة أهل البيت وشيعتهم الخطر الدائم والداهم الذى يتهدَّد مذهبهم وأفكارهم المعوجَّة؛ فحملوا راية العداء والمواجهة لهذه الحركة، وركّزوا جهودهم عليها، محاولين النيل منها وتشويهها، وتحريض المسلمين على شيعتهم.

وكما تسبَّب الخوارج فى تفريق المسلمين وزرع الفتنة بينهم، تسبَّب الحنابلة أيضاً فى تفريق المسلمين وزرع الفتنة بينهم.

تاريخ الحنابلة

وفرقة الحنابلة قامت على يد أحمد بن حنبل (۱۶۳- ۲۴۱ ه)، الذى ينتمى لقبيلة بنى شيبان، فى العصر العباسى.

وشخصية ابن حنبل ومقوِّماته لم تكن تُتيح له القدرة على البحث والاجتهاد وإعمال العقل، فمن ثَمَّ اتّجه نحو الروايات وأقوال الرجال، فعمل على تدوينها والتعبّد بها، وتعصَّب لهذه الروايات والأقوال واعتبرها الصورة الوحيدة للإسلام، وناصَب العداء كلّ مَن يرفض هذه الروايات والأقوال أو يشكّك فيها، واعتبره من المُبتدعين الضالّين.

ص: ۱۱

من هنا بـدأ الصدام مع مَن حوله من الفقهاء وأصـحاب المذاهب الأُخرى، والاتّجاهات العقلية وأصـحاب الرأى، من الأحناف والشـيعة والمعتزلة وغيرهم.

وانجـذب نحو ابن حنبل العديـد من السَوقـة وضـعاف العقول والقشـريّين، الـذين لم‌يجـدوا لهم مكاناً فى دائرة المـذاهب والاتّجاهات الأُخرى؛ ليُشكلوا إزعاجاً كبيراً للفقهاء والمسلمين، ويُحدثوا الكثير من القلاقل والفتن على ما سوف نُبيِّن.

ونتيجـة لسـيطرة العقـل الروائى على شخصـيّة ابن حنبـل، واعتمـاده الكلّى على النقـل لاعلى العقل؛ رفض فكرة خلق القرآن التى تبنَّتها بعض المذاهب، وحكم بكُفر القائل بها. كما حكم بكفر تارك الصلاة، فكان أوّل مَن قنَّن للتكفير فى واقع المسلمين. وكان من نتيجة هذا الموقف المتطرّف من قِبله، أنْ أصدر المأمون العباسى أمره بالقبض عليه وحبسه وجلده، حتى يرجع عن أفكاره المتطرّفة (۱).

واسـتمرَّ الموقف العـدائى، منه ومن أتبـاعه، طوال عصـر المأمون والمعتصم والواثق من بعـده، حتى جاء المتوكّل، فتحالف معهم ضـدّ المذاهب الأُخرى؛ ممّا أعطاهم دفعة قوية ساعدتهم على مواجهة خصومهم والفتك بهم «۲».(۲).

۱- أنظر البداية والنهاية، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى، أبوالفداء، ج ۱۰، ص ۳۳۰؛ سيرة ابن حنبل، صالح بن أحمد.

۲- قال الحنابلة عن المتوكل: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر فى قتل أهل الردّة، وعمر بن عبد العزيز فى ردِّ المظالم، والمتوكّل فى إحياء السـنّة وإماتة التجهّم؛ انظر: تاريخ الخلفاء، ص ۳۴۶، عبدالرحمن بن أبى‌بكر السيوطى.

ص: ۱۲

وقد رصدت لنا كتب التاريخ الكثير من الفتن والحوادث المفجعة التى وقعت على يد الحنابلة المتعصّبين، والتى تعدّ صورة مصغّرة لحوادث الخوارج. ومن هذه الحوادث:

حادث الاعتداء على الفقيه المُفسّر الطبرى، وقذفه بالمحابر ومطاردته فى طرقات بغداد ومحاصرة بيته؛ بسبب قوله: إنّ ابن حنبل ليس فقيهاً؛ ورفضه حديث جلوس الرسول (ص) إلى جوار الله على العرش (۱).

ثُمَّ أحدثوا فتنة أُخرى كبيرة فى بغداد أيضاً، بسبب قوله تعالى: عسى أنْ يبعثك ربُّك مقاماً محموداً، وذلك فى عام ۳۱۷ ه. قالت الحنابلة: معناها: يقعده الله على عرشه. وقال غيرهم: بل هى: الشفاعة. ودام الخصام واقتتلوا حتى قُتل جماعة كثيرة (۲).

كذلك وقعت فتنة كبيرة بينهم وبين الشيعة فى بغداد، كاد الشيخ أبو حامد الأسفراينى أن يُقتل فيها (۳).

وتمكّن الحنابلة من إقناع الخليفة القادر العبّاسى بأفكارهم، ووضعوا كتاباً فى العقيدة أهدوه إليه فنسبه إلى نفسه، وسمّاه (العقيدة القادرية)، وحمل الناس عليه

۱- انظر: ترجمة الطبرى فى كتب التاريخ؛ وانظر: حوادث عام ۳۱۰ ه، ۳۲۳ ه، ۴۵۸ ه و ۴۷۵ ه.

۲- انظر: تاريخ الخلفاء، ص ۳۸۴. وقد توسّع فى أمر هذا الحديث الخلال الحنبلى المتعصّب فى سُننه، وحشد العديد من النصوص التى تكفِّر منكره. انظر: باب ذكر المقام المحمود.

۳- انظر: حوادث عام ۳۹۸ ه فى كتب التاريخ، والأسفراينى من فقهاء الشافعية.

ص: ۱۳

بتحريض من الحنابلة، واستتاب فقهاء المعتزلة والحنفيَّة فأظهروا الرجوع (۱).

واتّجه الحنابلة بعد ذلك، سيراً مع الروايات التى يتعبّدون بها، إلى تبنّى فكرة التجسيم والتشبيه، فيما يتعلّق بصفات الله تعالى، وإعلان الحرب على مُنكرى هذه الروايات والمشكّكين فيها. ومن أبرز مواقفهم من خصوم التشبيه والتجسيم من الفقهاء وغيرهم، موقف أبو إسماعيل الهروى، شيخ الحنابلة المتوفّى عام ۴۲۲ ه، من ابن حبّان صاحب السُنن؛ حيث أخرجه من بلدته سجستان بسبب إنكاره الحدّ لله تعالى! (۲).

وقال القاضى أبو يعلى الحنبلى، المتوفّى عام ۴۵۸ ه: ألزمونى ما شئتم أى: فى حقّ الله تعالى- فإنّى ألتزمه، إلّا اللّحيهٔ والعَورَهٔ (۳). وقد كفَّره صاحب العواصم بسبب هذا القول (۴).

وذكر المؤرّخ ابن الأثير فى حوادث عام ۴۲۹ ه.: وفيها أنكر العلماء على أبى يعلى الفراء الحنبلى ما ضمّنه كتابه (إبطال التأويلات) من صفات الله سبحانه وتعالى، المُشعرهٔ بأنّه يعتقد التجسيم، وحضر أبو الحسن القزوينى الزاهد بجامع

۱- انظر: حوادث عام ۴۰۸ ه فى كتب التاريخ. وقد استتاب الشيعهٔ أيضاً، ونهى عن المناظرهٔ فى شىءٍ من العقائد، ومَن فعل ذلك نكّل به وعُوقب.

۲- تذكرهٔ الحفاظ، شمس الدين ذهبى، ج ۳، ص ۹۲۰.

۳- انظر: كتابه إبطال التأويل.

۴- انظر: النسخهٔ الكاملهٔ من العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى، ج ۲، ص ۸۳. وسوف يأتى الحديث عن هذا الكتاب فى باب أكاذيبهم على التراث.

ص: ۱۴

المنصور وتكلّم فی ذلک، تعالی الله عمّا یقول الظالمون، علواً کبیراً.

وقال فی عام وفاة الهروی: وفیها توفّی أبو یعلی الفراء الحنبلی، وهو مصنّف کتاب الصفات، أتی فیه بکلّ عجیبة، وترتیب أبوابه یدلّ علی التجسیم المحض.

وکذلک قیل فی ابن قُدامه الحنبلی الدمشقی، صاحب کتاب (ذمّ التأویل ولمعة الاعتقاد) (۱).

وهناک فتنة شهیرة وقعت علی ید الحنابلة بمصر، علی ید ابن مرزوق والکیزانی؛ بسبب قولهما بالتجسیم، ممّا أدّی إلی صدور أکثر من فتوی بتکفیرهما وردّتهما، واستتابتهما وطلب قتلهما (۲).

وقد ردّ ابن الجوزی علی الحنابلة بسبب قولهم بالتجسیم وتبنّیهم التشبیه، مُبرِّئاً ابن حنبل من تُهمة التشبیه التی ألصقوها به، ناقضاً ومُکذِّباً روایاتهم التی اعتمدوا علیها فی تبنّی التجسیم (۳).

۱- انظر: ترجمة ابن قدامه فی سیر أعلام النبلاء للذهبی ج ۲۲، ص ۱۶۸؛ وانظر: حوادث عام ۶۲۰ ه، عام وفاة ابن قدامه، فی کتب التاریخ.

۲- ابن الکیزانی المصری الشافعی، هو أبو عبد الله محمد إبراهیم بن فرح الأنصاری. قیل عنه: إنّه ابتدع مقالة ضلّ بها اعتقاده وزلّ فی مزلقها سداده، وادّعی أنّ أفعال العباد قدیمة. والطائفة الکیزانیة بمصر علی هذه البدعة مقیمة. توفّی الکیزانی فی عام ۵۶۰ هأنظر: ترجمته فی جریدة القصر، وجریدة العصر للأصبهانی. وابن مرزوق هو عثمان بن سلام القرشی، توفّی عام ۵۶۴ ه، أنظر: ترجمته فی طبقات الحنابلة، ج ۱، ص ۱۲۶.

۳- سوف یأتی استعراض هذا الرد لاحقاً.

ص: ۱۵

وقد صوّرت الروايات التى اعتنقها الحنابلة الله سبحانه وتعالى على شكل إنسان، يأتى ويذهب وينزل ويصعد ويضحك، وأثبتوا له بالإضافة إلى ذلك الأعضاء البشرية، وصوّروه على صورة شابٍ أمْرَد أو شيخ كبير، وهم بذلك يتّفقون مع تلك الصورة التى أبرزها اليهود والنصارى فى كتبهم (۱)

وتبدو فكرة التجسيم والتشبيه واضحة بقوّة فى كتب الحنابلة القدامى، والوهابيّين المعاصرين، على ما سوف نبيِّن.

يقول عثمان الدارمى: إنّ الله لو شاء لاستقرَّ على ظهر بعوضة (۲)

وكان المروزى، صاحب ابن حنبل المتوفّى عام ۲۷۵ ه، قد صنّف كتاباً يُثبت فيه جلوس الرسول إلى جوار الله على العرش. قال عنه الذهبى: فقام المروزى وقعد وبالغ فى الانتصار لذلك، وجمع فيه كتاباً (۳)

وقال ابن تيميّة: الله جسم لاكالأجسام. وقال: وليس فى كتاب الله ولافى سنّة رسوله قول أحد من سلَف هذه الأُمّة

۱- من هذه الروايات: لمّا أُسرى بى، رأيت الرحمن فى صورة شاب أمرد، وإذا كأنّه عروس ....

وأُخرى تقول: إنّ النبى رأى ربّه فى المنام فى أحسن صورة، شابّاً موفراً، رجلاه فى خف، عليه نعلان من ذهب .... وأُخرى تقول: إنّ الله خلق آدم على صورته ...

۲- انظر كتابه: النقض، أبوسعيد عثمان بن سعيد دارمى، ص ۴۵۷.

۳- انظر: العلو للذهبى؛ وانظر: ترجمة المروزى فى سير أعلام النبلاء: ج ۱۳، ص ۱۷۳. وهو يعدّ من الغلاة.

ص: ۱۶

وأئمّتها أنّه ليس بجسم، وأنّ صفاته ليست جسماً ولاأعراضاً؛ فنفى المعانى الثابتة بالشرع بنفى ألفاظ لم‌ينف معناها شرع ولاعقل جهل وضلال (۱)

بداية الأُفول

من هنا، ونتيجة لهذه المواقف، نُبذ الحنابلة من قبل المذاهب والحكومات، وأصبحوا من أقلّ مذاهب أهل السنّة شأناً وحجماً، ولم يعد لهم ذكر، خاصةً بعد سقوط الدولة العباسية وفقد بغداد، التى كانت قاعدتهم الكبرى؛ لدورها ومكانتها وتأثيرها، وحلَّت مكانها مُدن وعواصم أُخرى.

انتشر المذهب الحنفى فى بلاد ما وراء النهر بدعم من الحكومات التى برزت فى تلك البلاد، وانتشرت معه عقيدة الماتريدى الحنفى، التى تناقض عقيدة الحنابلة.

وفى بلاد الشام ومصر، انتشر المذهب الشافعى بدعم الدولة الأيّوبية، وانتشرت معه عقيدة الأشعرى المتصادمة مع عقائد الحنابلة.

وفى بلاد المغرب والأندلس ساد المذهب المالكى، وسادت معه عقائد أُخرى، كما سادت الصوفية ..

وفى ظلِّ هذه المتغيِّرات، تقوقع الحنابلة وتناقصوا، ولم يبقَ منهم إلّا بعض الرموز المتفرّقة بين العراق والشام ومصر، ومنذ ذلك الحين لم‌يعد لهم صوت، ولم تصدر عنهم حركة،

۱- انظر: تلبيس الجهمية، أحمد عبدالحليم بن تيمية الحرانى أبوالعباس، ج ۱، صص ۱۱۵ و ۳۰۲.

ص: ۱۷

حتى جاء القرن الثامن الهجرى، الـذى برز فيه ابن تيميّة، المتوفّى عام ۷۲۸ ه، محاولًا إحياء أفكار الحنابلـة المتطرّفة. وكانت النتيجة أن تصـدَّى له فقهـاء عصـره وناظروه وأوقفوه، إلّا أنّه تمادى فى موقفه الشاذّ، وعمل على إبراز فكرة التجسـيم والتشبيه التى كان ينادى بها الحنابلة من قبل، وتصدّى لها فقهاء أهل السـنّة، بل أضاف إليها فكرة جديدة لم‌تكن مطروحة من قبل، وهى تحريم شدّ الرحال وزيارة قبر النبى (ص) وقبور الأنبياء والأولياء والصالحين.

ونـودى بـدمشق- يومئـذٍ- أنَّ مَن اعتقـد عقيـدة ابن تيميّـة حـلّ دمه ومـاله، خصوصـاً الحنابلـة، ثُمَّ جمع الحنابلـة من الصالحيـة- مركز تجمّعهم بدمشق وغيرها، وأشهدوا على أنفسهم أنّهم على معتقد الشافعى (۱)

وقد انقسم الفقهاء فى مواجهة ابن تيميّة:

منهم مَن نسبه إلى التجسيم.

ومنهم مَن نسبه إلى الكفر والزندقة.

ومنهم مَن طالب بقتله (۲)

وابن تيميّـة من القائلين بفناء النار، وهو ما دفع بشـيخ الشافعيـة (السـبكى الكبير) فى زمانه للردِّ عليه، مؤكّـداً فساد هـذا القول ومخالفته لعقائد أهل السنّة (۳)

۱- انظر: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلانى، ترجمة ابن تيميّة، ج ۱، ص ۱۴۴ و ۳۷۴

۲- المرجع السابق.

۳- انظر رسالة السبكى: المواعظ والاعتبار ببقاء الجنّة والنار.

ص: ۱۸

هـذا وغيره هو ما أدّى إلى حبسه، ومعه تلميـذه ابن القيم الجوزية، الذى أُفرج عنه بعد وفاة ابن تيميّة فى الحبس، ليجهر بأفكار أستاذه ومعه ابن كثير، ويتمّ القبض عليهما، ويُطاف بهما فى الطرقات على حمارٍ معكوسين (۱)

وابن القيم كـان يحمل الكثير من طبائع ابن تيميّة، وسار على سنّته فى النيل من علماء عصره، والتعصّب لفكرة التجسيم، وإنكار شدّ الرحال، وترك الكثير من الآثار التى تدور فى محيط هذه الأفكار.

أمّا ابن كثير، فقـد اتّجه نحو التركيز على التفسير والتاريخ، فقام بجمع تاريخ الطبرى وغيره من التواريخ فى كتاب واحد، وقام بتهذيب تفسير الطبرى، وليس له آثار تُذكر سوى كتاب فى مصطلح الحديث.

وظلّ ابن كثير على التزامه بنهـج ابن تيميّة ومعتقـداته، ونزعته العدائية للآخر، والتى تبدو بوضوح من خلال عرضه للحوادث التاريخية التى تتعلّق بخصوم الحنابلـة، أو الحـديث عن أهل البيت، أو رموز المـذاهب والتيّارات الأُخرى. وقد اهتمّ الوهابيّون بتاريخه وتفسيره، وقدّموهما على المصادر الأُخرى (۲)

۱- انظر: الدرر، ج ۳، ص ۴۰۰؛ ودفع شـبه مَن شبّه وتمرّد للحصنى. وكان ابن القيم قد تبع أستاذه فى القول بالتجسيم وإنكار المجاز. انظر: منشورات الوهابيّين فى الباب القادم.

۲- سـمّى تفسيره بتفسير القرآن العظيم. أمّا تاريخه، فسمّى البداية والنهاية. انظر: ترجمة الإمام الصادق حوادث عام ۱۴۸ ه، وقارن بينها وبين ترجمته لابن حنبل وابن تيميّة.

ص: ۱۹

الوهابيّون والحنابلة

وهؤلاء الثلاثة هم مَن اعتمد عليهم محمد بن عبد الوهاب فى دعوته؛ فهو لم‌يجد دعماً لأفكاره إلّا من خلال أفكار هؤلاء، ولم يجد عوناً من رموز أهل السنّة سواهم، ولاحتى من الحنابلة القدامى، الذين لم‌يطرحوا قضيّة التوسّل أو الاستغاثة بالأموات، أو شدّ الرحال أو إنكار إحياء المناسبات، وهى الأفكار التى برز وهو يدعو لها، وجعلها أساس دعوته، والفيصل بين الإسلام والشرك.

وابن عبد الوهاب لم‌يكن سوى شخصية بدوية جافّة، غليظة القلب لانصيب لها من العلم أو من العقل، فليس فى تاريخه ما يشير إلى نبوغه أو اجتهاده، فى أىِّ مجال من مجالات العلم، وهو ليس إلّا مجرّد نبت مفاجئ، تحيط به العديد من علامات الاستفهام!

ومن الطبيعى لشخصية تحمل هذه الصفات، أن تميل لطرح ابن تيميّة الشاذ، الذى لايحتاج تناوله لأدوات سوى القدرة على النقل والجهر بما يُنقل، وهو الأمر المتاح لكلِّ الناس.

يروى الشيخ (الزينى دحلان): أنَّ شقيقه سليمان كان من أهل العلم، فكان يُنكر عليه إنكاراً شديداً فى كلِّ ما يفعله أو يأمر به، ولم يتبعه فى شىءٍ ممّا ابتدعه. وقال له يوماً: كم

ص: ۲۰

أركان الإسلام يا محمد؟

فقال: خمسة.

فقال: أنت جعلتها ستّة! السادس: مَن لم‌يتبعك فليس بمسلم. هذا عندك ركن سادس للإسلام!

وقال له رجل يوماً: كم يعتق الله كل ليلة فى رمضان؟

فقال: يعتق فى كل ليلة مائة ألف، وفى آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق فى الشهر كلّه.

فقال له: لم‌يبلغ مَن اتّبعك عُشر عُشر ما ذكرت، فمَن هؤلاء المسلمين الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمَن اتّبعك؟!

فبُهت الذى كفر.

وقال له رجل آخر: ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة، وأنت تعرف صدقه، بأنَّ قوماً كثيرين قصدوك، وهم وراء الجبل الفلانى، فأرسلت ألف خيّال ينظرون القوم الذين وراء الجبل، فلم يجدوا أثراً ولاأحداً منهم، بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم. أتُصدِّق الألف أم الواحد الصادق عندك؟

فقال: أُصدّق الألف.

فقال له: إنّ جميع المسلمين من العلماء، الأحياء والموات، فى كتبهم يكذّبون ما أتيت به ويزيّفونه، فنصدّقهم ونكذّبك؟!

فلم يعرف جواباً لذلك.

وقال له رجل آخر: هذا الدِّين الذى جئت به متّصل أم منفصل؟

ص: ۲۱

فقال: حتى مشايخى ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلّهم مشركون.

قال له: إذن، دينك منفصل لامتّصل، فممَّن أخذته؟

فقال: وحى وإلهام، كالخضر.

فقال له: إذن، ليس ذلك محصوراً فيك، كل واحد يمكنه أن يدّعى وحى الإلهام الذى تدّعيه ..

ثُمَّ يقول دحلان: وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الأربعة بالرد عليه؛ فى كتب مبسوطة، عملًا بقول النبى (ص): (إذا ظهرت البِدعة وسكت العالم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). وبقوله (ص): (ما ظهر أهل بدعة إلّا أظهر الله فيهم حُجّته على لسان مَن شاء من خلقه).

فلذلك انتدب للردِّ عليه علماء المشرق والمغرب، من جميع المذاهب، والتزم بعضهم بالردِّ عليه بأقوال الإمام أحمد وأهل مذهبه، وسألوه عن مسائل يعرفها أقلّ طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها؛ لأنّه لم‌يكن له تمكّن فى العلوم، وإنّما عرف هذه النزعات التى زيّنها له الشيطان.

وكان العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق قد صنّف كتاباً جليلًا فى الردّ عليه، وسأله عن أشياء تتعلّق بالعلوم الشرعية والأدبية، فعجز عن الجواب عن أقلِّها، فضلًا عن أجلّها.

ومن جملة ما سأله عنه، قوله تعالى وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً إلى آخر السورة، التى هى من قصار المفصّل .. كم فيها من

ص: ۲۲

حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية؟!

وكم فيها من مجاز مرسَل ومجاز مركَّب، واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعيّة واستعارة مطلَقة واستعارة مجرَّدة واستعارة مرشّحة؟

وأين الوضع والترشيح والتجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية؟

وكم فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركَّب؟

وما فيها من المُجمَل والمفصَّل؟

وما فيها من الإيجاز والإطناب، والمساواة والإسناد الحقيقى والإسناد المجازى، المسمَّى بالمجاز الحكمى والعقلى؟

وأىّ وضع فيها وُضع المُضمَر موضع المظهر وبالعكس؟

وما موضع ضمير الشأن وموضع الالتفات، وموضع الفصل والوصل، وكمال الاتّصال وكمال الانقطاع؟

والجامع بين كل جملتين متعاطفتين؟

ومحل تناسب الجمل، ووجه التناسب ووجه كماله فى الحسن والبلاغة؟

وما فيها من إيجاز وقصر وإيجاز وحذف؟

وما فيها من احتراس وتتميم؟

وبيِّن لنا موضع كلّ ما ذُكر ..

فلم يقدر ابن عبد الوهاب على الجواب عن شيءٍ ممّا

ص: ۲۳

سأله عنه (۱)

إلَّا أنّ مقوّمات ابن عبد الوهاب وظروف عصره، لم‌تكن لتتيح له القدرة على نشر دعوته وتمكينها وسط المسلمين، لولا تحالفه مع ابن سعود، الذى وجد فيه ضالّته المنشودة لتحقيق أطماعه فى حكم جزيرة العرب، ووجد ابن عبد الوهاب أيضاً فى ابن سعود ضالّته لتحقيق الدعم والانتشار لدعوته.

من هنا، وكما تروى المصادر الوهابية، وضع ابن عبد الوهاب يده فى يد ابن سعود، وعاهده قائلًا: الدم الدم، والهدم الهدم (۲)

ومن الواضح أنّ الدم هنا هو دم المسلمين.

والهدم هو هدم صروح المسلمين.

وهذه المعاهدة، فضلًا عن كونها تصطدم بنصوص الإسلام الصريحة، تصطدم أيضاً بعقيدة أهل السنّة، التى تنصّ على عصمة دماء المسلمين، وعدم جواز الخروج على الحاكم وإنْ كان فاجراً فاسقاً.

۱- انظر: الدُرر السنيّة فى الردِّ على الوهابية. ومثل هذه الروايتين اللَّتين جاء بها دحلان، يستخدمهما الوهابيون أيضاً ضدّ خصومهم، باعتبارهم جاؤوا لينقذوا الدين من البدع، أمّا اللغة التى استخدمها السائلون لابن عبد الوهاب، فهو أدنى منها بكثير، هو وأتباعه من العوام وضعاف العقول. وهو وأتباعه أراحوا أنفسهم من الأدوات العقلية والمنطقية، واعتبروها من البدع والضلالات؛ حتى لا يواجهوا بمثل هذه التساؤلات.

۲- انظر: تاريخ الجزيرة العربية فى عصر محمد بن عبد الوهاب لحسين خزعل، ج ۱، ص ۱۶۰، وانظر: فى تاريخ نجد لعثمان بن بشير، ج ۱، ص ۲۴.

ص: ۲۴

إلّا أنّ ابن عبد الوهاب ضرب بنصوص الدِّين وعقيدة أهل السنّة عرض الحائط، وانطلق يريق دماء المسلمين فى جزيرة العرب بسيوف آل سعود، بحُجة أنّهم مشركون، مُعلناً عصيانه للخليفة العثمانى.

ولم تفرز لنا الوهابية سوى مجموعة من الفرق المتعصّبة، التى يتزعّمها ضعاف العقول، الذين يعتمدون على النقل، وهم أشبه بحملة الأسفار، الذين قدّموا لنا صورة طبق الأصل من حنابلة الماضى المشاغبين، المتربّصين بالمسلمين المخالفين لهم.

إلّا أنّ حظ الوهابيّين كان عظيماً بظهور النفط فى جزيرة العرب، وهو ما وفَّر لهم الأموال والإمكانيات التى ساعدتهم على نشر عقائدهم وأفكارهم بين المسلمين، وساعدتهم أيضاً فى استقطاب الرموز الإسلامية، واختراق مؤسّساتهم وتيّاراتهم فى كلّ مكان.

كذلك استغلت الوهابية بروزها فى أرض الحرمين فى الدعاية والتأثير على المسلمين.

وعليه يمكن القول: إنّه لولا ظهور النفط، ولولا وجود الوهابية فى أرض الحرمين؛ لكان من الممكن لها أن تصبح فى ذمّة التاريخ، شأنها شأن أيّة دعوة وضيعة أو فرقة ضالّة من الفرق التى ظهرت فى واقع المسلمين.

وإذا كان الحنابلة القدامى مجرّد نَقَلَةٍ معطِّلو العقول، فإنّ حنابلة العصر من الوهابيّين كذلك، فهم قد انكبّوا على تراث الحنابلة المتطرّفين وتراث ابن تيميّة وبعثوه من رقدته،

ص: ۲۵

ونشروه وسط المسلمين بدعوى أنّه يمثّل خط السلف الصالح، وعقيدة أهل السنّة. وانطلت الخدعة على البسطاء من المسلمين، الذين لايملكون القدرة على التمييز بين عقيدة هؤلاء الحنابلة وعقيدة أهل السنّة.

ص: ۲۶

أكاذيبهم على أهلِ السُنَّة

تبيَّن لنا ممّا سبق مخالفة الحنابلة لأهل السنة فى العديد من القضايا العقدية.

وتبيَّن لنا أيضاً تطرّفهم فى مواجهة المخالفين لهم من أهل السّنّة وغيرهم.

وأنَّه بعد سقوط الدولة العباسية توارى الحنابلة لتحلّ محلّهم مذاهب وعقائد أُخرى، أصبحت هى الممثِّل الشرعى لأهل السنّة.

وعلى رأس هذه المذاهب: المذهب المالكى، والحنفى، والشافعى.

وعلى رأس هذه العقائد: العقيدة الماتريدية التى ارتبطت بالأحناف، والعقيدة الأشعرية التى ارتبطت بالشافعية.

وبرز ابن تيميّة محاولًا إحياء عقائد الحنابلة وفشل، واستمرّت هذه العقائد هى السائدة فى واقع المسلمين حتى ظهور الحركة الوهابية، التى عملت على بعث معتقدات

ص: ۲۷

الحنابلة المتطرّفة، وأفكار ابن تيميّة المتصادمة مع أهل السنّة، وتمكَّنت من فرضها فى جزيرة العرب بقوَّة السيف.

وعملت الوهابية، ولازالت تعمل، على إثبات صحَّة مذهبها وسلامة أفكارها؛ بادّعاء تمثيلها لأهل السنّة، ونطقها بلسانهم.

ولمّا كان الحنابلة لايمثّلون أهل السنّة، كان الوهابيّون الذين يسيرون على نهجهم، لايمثّلون أهل السنّة أيضاً.

وعلى الرغم من شكِّ العديد من المسلمين فى دعوى تمثيل الوهابية لأهل السنّة، إلّا أنَّهم لم يتحرَّكوا للتصدّى لهم وكشف ألاعيبهم، وذلك للأسباب التالية:

* تغلغل الوهابية فى المؤسّسات والهيئات الإسلامية.

* إرهاب الفرق الوهابيّة.

* مجاراة الحكومات للنظام السعودى.

من هنا وجد الوهابيّون أمامهم الساحة خالية من المنافسين، فرفعوا شعار السلف وشعار الفرقة الناجية من النار، حتى صدَّقوا أنفسهم أنَّهم الممثّلون للسلف، وأنَّهم الفرقة الناجية من النار.

وفى دائرة هذا الباب، سوف نعمل على كشف صور التضليل والتزييف لعقائد أهل السنّة، التى يحاول الوهابيّون من خلالها دفع المسلمين إلى اتِّباعهم وتبنّى أفكارهم.

أمّا أكاذيب الوهابية على أهل السنّة، فيمكن حصرها فيما يلى:

ص: ۲۸

* أكاذيبهم حول التوحيد.

* أكاذيبهم حول القبور والتوسُّل.

* أكاذيبهم على التراث.

ص: ۲۹

أكاذيبهم حول التوحيد

اشارة

عرضنا فيما سبق نماذج من صور التجسيم والتشبيه التى تبنَّاها الحنابلة فى الماضى، وموقف فقهاء أهل السنّة الرافض لها.

وهذا الإنكار كان على أساسين هما:

* إنكار الروايات التى استندوا إليها.

* تأويل هذه الروايات.

والحنابلة لم يعجبهم الموقفيَن، وأعلنوا الحرب على أصحابهما.

وقد تبنَّى الوهابيّون فكرة التجسيم والتشبيه من الحنابلة القدامى وابن تيميّة كما هى، وتعصَّبوا لها كما تعصَّب لها حنابلة الماضى، وأنزلوا لَعناتهم على الرافضين لهذه الفكرة من مسلمى العصر، وأطلقوا عليهم اسم (الجهميَّة)، تماماً كما أطلق الحنابلة فى الماضى لفظ (الجهميَّة) على كل مَن رفض رواياتهم أو قام بتأويلها.

ص: ۳۰

وحتى تتَّضح لنا الصورة؛ سوف نستعرض هنا مواقف فقهاء أهل السنَّة من مسألة التجسيم والتشبيه، ومَن تبنَّاها من حنابلة الماضى.

وأوّل ما سوف نعرضه هنا، هو موقف ابن الجوزى الحنبلى، الذى أعلن رفضه لفكرة التجسيم والتشبيه التى تبنّاها أصحابه، واعتبرها لاتعبِّر عن عقيدة الإمام أحمد بن حنبل والسَلَف.

قال ابن الجوزى: (رأيتُ من أصحابنا مَن تكلَّم فى الأُصول بما لايصلح، وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد، وصاحبه القاضى، وابن الزاغونى، فصنَّفوا كُتباً شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحسِّ، فسمعوا أنَّ الله خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجهاً، زائداً على الذات، وعينيَن وفماً، ولهواتَ وأضراساً، وأضواء لوجهه هى السبحات، ويدين وأصابع وكفَّاً وخنصراً وإبهاماً، وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس، وقالوا: يجوز أنْ يمسّ ويُمَسّ، ويدنى العبد من ذاته، وقال بعضهم: يتنفّس. ثُمَّ يرضون العوام بقولهم لاكما يُعقل.

وقد أخذوا بالظاهر فى الأسماء والصفات، فسمّوها بالصفات تسمية مُبتدعة، لادليل لهم فى ذلك من النقل ولامن العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله تعالى، ولاإلى إلغاء ما يوجبه الظاهر

ص: ۳۱

من سمات الحدوث، ولم يقتنعوا بأنْ يقولوا صفة (فِعْلْ) حتى قالوا صفة (ذات). ثُمَّ لمّا أثبتوا أنّها صفات ذات، قالوا: لانحملها على توجيه اللغة، مثل: يد على نعمة وقُدرة، ومجيء وإتيان على معنى برٍّ ولُطف، وساق على معنى شدَّة. بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارَفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميِّين، والشيء إنّما يُحمل على حقيقته إذا أمكن.

ثُمَّ يتحرَّجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون نحن أهل السنَّة، وكلامهم صريح فى التشبيه، وقد تبعهم خلقٌ من العوام.

وقد نصحت التابع والمتبوع، فقلت لهم: يا أصحابنا، أنتم أصحاب نقل، وإمامكم الأكبر ابن حنبل يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم‌يُقل، فإيّاكم أن تبتدعوا فى مذهبه ما ليس منه.

ثُمَّ قلتم فى الأحاديث: تُحمَل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة؛ فإنّه لمّا قيل فى عيسى روح الله، اعتقدت النصارى أنَّ لله صفة، هى روح ولَجَت فى مريم. ومَن قال استوى بذاته، فقد أجراه مجرى الحسِّيات، وينبغى ألَّا يُهمل ما يثبت به الأصل، وهو العقل، فإنّا عرفنا به الله تعالى، وحكمنا له بالقِدم، فلو أنَّكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت، ما أنكر عليكم أحد. إنّما حملكم إيّاها على الظاهر قبيح، فلا تُدخلوا فى مذهب هذا الرجل الصالح- ابن حنبل ما ليس منه، ولقد

ص: ۳۲

كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى صار لايُقال حنبلى إلّا مجسّم، ثُمَّ زيَّنتم مذهبكم أيضاً بالعصبيهٔ ليزيد بن معاويهٔ، ولقد علمتم أنَّ صاحب المذهب أجاز لعنه، وقد كان أبو محمد التميمى يقول فى بعض أئمّتكم: لقد شانَ المذهب شيئاً قبيحاً لايُغسَل إلى يوم القيامهٔ ..

وقد وقع غلط المصنّفين الذين ذكرتهم فى سبعهٔ أوجه:

الأوّل: إنّهم سمّوا الأخبار أخبار صفات، وإنّما هى إضافات، وليس كلّ مُضاف صفهٔ.

والثانى: إنّهم قالوا إنَّ هذه الأحاديث من المتشابه الذى لا يعلمه إلّا الله تعالى، ثُمَّ قالوا نحملها على ظواهرها، فوا عجبا! ما لا يعلمه إلّا الله أىُّ ظاهر له؟! فهل ظاهر الاستواء إلّا القعود، وظاهر النزول إلّا الانتقال؟!

الثالث: إنَّهم أثبتوا لله تعالى صفات، وصفات الحقِّ لا تثبت إلَّا بما يثبت به الذات من الأدلّهٔ القطعيهٔ.

الرابع: إنَّهم لم‌يفرّقوا فى الأحاديث بين خبر مشهور، كقوله: ينزل إلى السماء الدنيا، وبين حديث لا- يصحّ، كقوله: رأيت ربِّى فى أحسن صورهٔ، بل أثبتوا بهذا صفهٔ .. وبهذا صفهٔ.

الخامس: إنَّهم لم‌يفرّقوا بين حديث مرفوع للنبى (ص)، وبين حديث موقوف على صحابى أو تابعى، فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا.

السادس: إنَّهم تأوَّلوا بعض الألفاظ فى موضع، ولم يتأوّلوها فى موضع آخر، كقوله: مَن أتانى يمشى أتيته هرولهٔ، وقالوا

ص: ۳۳

هذا ضرب مثل الأنعام.

ورُوى عن عمر بن عبد العزيز أنّه قال: إذا كان يوم القيامة، جاء الله يمشى. فقالوا: نحمله على ظاهره.

قلتُ: فوا عجباً ممَّن تأوّل حديث رسول‌الله (ص)، ولايتأوَّل كلام عمر بن عبد العزيز!

السابع: إنَّهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحسّ، فقالوا: ينزل بذاته، وينتقل ويتحرَّك، ثُمَّ قالوا: لا كما يعقل. فغالطوا مَن يسمع، فكابروا الحسّ والعقل، فحملوا الأحاديث على الحسّيات.

فرأيتُ الردّ عليهم لازماً؛ لئلا يُنسب الإمام إلى ذلك، وإذا سكتُّ نُسبت إلى اعتقاد ذلك، ولايهولنى أمر عظيم فى النفوس، لأنَّ العمل على الدليل، وخصوصاً فى معرفة الحقِّ، لا يجوز فيه التقليد) (۱)

ويظهر لنا من كلام ابن الجوزى ما يلى:

أوّلًا: إنَّ الحنابلة اتّجهوا نحو التجسيم والتشبيه.

ثانياً: إنَّهم غالوا فى هذا الأمر وتعصَّبوا له.

ثالثاً: إنَّهم اعتمدوا فى موقفهم على الروايات وغالوا فى شأنها.

رابعاً: إنَّهم خالفوا بذلك مذهب إمامهم ابن حنبل.

خامساً: إنَّهم ادَّعوا تمثيل أهل السنَّة.

سادساً: إنَّ ابن الجوزى الحنبلى رفضهم واعتبرهم منحرفين

۱- انظر: دفع شبه التشبيه بأكفّ التنزيه. وابن الجوزى مدخل الكتاب.

ص: ۳۴

عن مذهب ابن حنبل وعن عقيدة السلف.

ونأتى بعد ذلك إلى شاهد آخر من فقهاء أهل السنّة، وهو الحافظ ابن عساكر، الأشعرى المُعتقَد.

وعقيدة الأشاعرة تُمثِّل القطاع الأكبر من أهل السنّة، وتليها عقيدة الماتريدى.

وقد أنزل الحنابلة فى الماضى، وابن تيميّة من بعدهم، شتّى اللعنات والطعونات على الأشعرى وأتباعه، وسار الوهابيّون على هذا النهج المُعادى للأشعرى والأشاعرة.

ومن شدَّة موقف الحنابلة فى الماضى من الأشعرى، وتنقّصهم له ولعناتهم عليه؛ كان ردّ فعل ابن عساكر شديداً. وهو إنْ دلَّ على شئ، فإنَّما يدلُّ على أنَّ أهل السنّة كانوا مجتمعين على الأشعرى ومتحيّزين له ضدّ الحنابلة وابن تيميّة أيضاً، وأنَّ الحنابلة لم يكونوا يمثِّلون أهل السنّة فى تلك الفترة، وحتى فى الفترات اللاحقة على ما سوف نبيِّن.

وهو ما دفع بابن عساكر للردِّ عليهم والدفاع عن الأشعرى، وتوجيه سهامه للناقمين على الأشعرى والأشاعرة؛ حيث نقل قول أبو القاسم القشيرى عن فتنة عام ۵۴۵ ه:

(هذه قصّة سمّيناها "شكاية أهل السنّة بحاكية ما نالهم من المحنة، "رفعها عبد الكريم بن هوازان القشيرى إلى العلماء الأعلام بجميع بلاد الإسلام، ممّا ظهر بنيسابور من قضايا التقدير، فى مفتتح سنة خمس وأربعين وأربعمئة من الهجرة؛ ما دعا أهل الدين إلى شقِّ صدروهم صبراً، وكشف

ص: ۳۵

قناع صبرهم، مّما أُحدث من لعن إمام الدِّين وسراج ذوى اليقين، محى السنَّة وقامع البدعة، وناصر الحق وناصح الخلق، الزكى الرضى أبى الحسن الأشعرى. وهو الذى ذبَّ عن الدِّين بأوضح حُجج، وسلك فى قمع المعتزلة وسائر أنواع المبتدعة أبيَن نهج، ولما من الله الكريم على الإسلام.

بزمان السلطان المعظَّم المُحكّم بالقوَّة السماوية فى رقاب الأُمم، الملك الأجل شاهنشاه، يمين خليفة الله وغياث عباد الله طغرل بك، أبى طالب محمد بن ميكائيل. وقام بإحياء السنَّة والمناضلة عن الملَّة، حتى لم يبقَ من أصناف المبتدعة حزباً إلّا سلَّ لاستئصالهم سيفاً غضباً، وأذاقهم ذلًا وخسفاً، وعقَّب لآثارهم نسفاً؛ فسعوا إلى عالى مجلس السلطان المعظَّم بنوع نميمة، ونسبوا الأشعرى إلى مذاهب ذميمة، وحكوا عنه مقالات لا يوجد فى كُتبه منها حرف، وقد وعد الله للحقِّ نصره وظهوره، وللباطل محوه وثبوره.

إلّا أنَّ كُتب الأشعرى فى الآفاق مبثوثة، ومذاهبه عند أهل السنَّة من الفريقين معروفة ومشهورة، فمَن وصفه بالبدعة علم أنَّه غير محقّ فى دعواه، وأنَّ جميع أهل السنَّة خصمه فيما افتراه.

وكتب الفقهاء بخطوطهم: اتَّفق أصحاب الحديث أنَّ أبا الحسن الأشعرى كان إماماً من أئمَّة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلَّم فى أصول الديانات على طريقة أهل السنَّة، وردَّ على المخالفين من أهل الزيغ

ص: ۳۶

والبدعة، ومَن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبَّه فقد بسط لسان السوء فی جميع أهل السنَّة) (۱)

ونستنتج ممَّا سبق أنَّ هجوم الحنابلة وابن تيميّة، ثُمَّ الوهابيّين من بعدهم، على الأشعری والأشاعرة، يعنی الهجوم على أهل السنَّة، ويعنی أيضاً رفض طريقة الأشعری وعقيدته، ممَّا يعنی بالتبعية أنَّ الحنابلة وابن تيميّة والوهابيّين لا يمثِّلون أهل السنّة، ويتبنّون التجسيم والتشبيه، الذی تبرّأ منه الأشعری والأشاعرة.

أمّا الشاهد الثالث، فهو الحصنی الحنبلی، الذی وضع كتاباً ضدَّ الحنابلة المتطرّفين المُجسِّمين والمُشبّهين فی زمانه.

قال فی مقدّمة كتابه: فإنَّ سبب وضعی لهذه الأحرف اليسيرة، ما دهمنی من الحيرة، من أقوام أخباث السريرة، يظهرون الانتماء إلى مذهب السيد الجليل الإمام أحمد، وهم على خلاف ذلك والفرد الصمد.

والعجب أنَّهم يعظِّمونه على الملأ، ويتكاتمون إضلاله مع بقية الأئمّة، وهم أكفر ممَّن تمرَّد وجحد. ويُضلُّون عقول العوام وضعفاء الطلبة بالتمويه الشيطانی، وإظهار التعبّد والتقشُّف، وقراءة الأحاديث ويعنون بالمُسند، وكلّ ذلك خُزعبَلات منهم وتمويه، وقد انكشف أمرهم حتى لبعض العوام.

وبهذه الأحرف يظهر الأمر- إنْ شاء الله تعالى- لكلِّ أحد إلّا

۱- انظر: تبيين كذب المفتری فيما نسب للأشعری، ج ۱، صص ۱۱۰- ۱۱۳ بتصرف. وابن عساكر تُوفِّی عام ۵۷۱ ه.

ص: ۳۷

لمَن أراد الله عزَّ وجل إضلاله وإبقاءه فى العذاب السرمد.

وهذا الكلام موجَّه لابن تيميّة وأتباعه، بعد أنْ تجرَّأ بنفى خلود العذاب وسرمديّته، أو القول بفناء النار، وانحرف عن معتقد ابن حنبل.

وقال: إنَّ أهل التشبيه والتجسيم، والمُزدرين سيّد الأوَّلين والآخرين، تبعاً لسلالة القردة والخنازير، لهم وجود وفيهم كثرة، وقد أخذوا بعقول كثير من الناس، لِما يزيِّنون لهم من الإطراء على قدوتهم، وُيزخرفون لهم بالأقوال والأفعال، ويموِّهون لهم بإظهار التنسّك والإقبال على كثرة الصلاة والصوم والحج والتلاوة، وغير ذلك .. ممَّا يحسن فى قلوب كثير من الرجال، لاسيّما العوام المائلين مع كل ريح، أتباع الدجَّال. فانقادوا لهم بسبب ذلك، وأوقعوهم فى أسرِ المهالك، فرأيت بسبب هذه المكايد والخزعبلات، أنْ أتعرَّض لسوء عقيدتهم؛ قمعاً لهذا الزائغ عن طريق الحقّ، وهم الأئمَّة الأربعة، المُقتدى بهم والمعوَّل عليهم فى جميع الأعصار والأقطار، وأذكر ما وقع لهذا الرجل من الحيدة عن طريق هذه الأئمَّة، وأذكر ما انطوى باطنه الخبيث عليه، وما عوَّل فى الإفساد بالتصريح أو بالإشارة إليه، ولو ذكرت كثيراً ممّا ذكره ودوَّنه فى كتبه المختصرات، لطال جدّاً، فضلًا عن المبسوطات.

قال بعض علماء الحنابلة فى الجامع الأموى فى ملأ من الناس: لو اطَّلع الحصنى على ما اطَّلعنا عليه من كلامه، لأخرجه من قبره وأحرقه.

ص: ۳۸

فأوَّل ما سلكه من المكر والخديعة، أنْ انتمى إلى مذهب الإمام أحمد، وأخذ يدوّن ويذكر أنَّه جاءه استفتاء من بلد كذا، وليس لذلك حقيقة.

وقال الرسول (ص): (ألا إنَّ الفتنة هنا، ويشير إلى المشرق، حيث يطلع قرن الشيطان).

وفى روايةٍ أُخرى: (خرج رسول‌الله من بيت عائشة فقال: رأس الكفر ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان).

وهذا المبتدع- ابن تيميّة- من حرّان الشرق، بلدة لا تزال يخرج منها أهل البِدع، كجعد وغيره.

ومن أحاديث الخوارج: (سيماهم التحليق، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم).

فقد أوضحهم سيّد الناصحين (ص)، باعتبار أوصافهم وأماكنهم، إيضاحاً جليّاً لا خفاء فيه ولاجهالة، فلا يتوقَّف فى معرفتهم بعد ذلك إلّا مَن أراد الله تعالى إضلاله.

وإذا تمهّد لك أيها الراغب فى فكاك نفسك من رِبقة عقائد أهل الزيغ الضالين المضلِّين، والاقتداء بأهل السلامة فى الدِّين؛ فاعلم إنَّى نظرت فى كلام هذا الخبيث الذى فى‌قلبه مرض الزيغ، المتّبع ما تشابه فى‌الكتاب والسنّة ابتغاء الفتنة، وتبعه على ذلك خلق من العوام، وغيرهم ممَّن أراد الله إهلاكه، فوجدت فيه ما لاأقدر على النطق به، ولالى أنامل تطاوعنى على رسمه وتسطيره؛ لما فيه من تكذيب ربِّ العالمين، فى تنزيهه لنفسه فى كتابه المبين، وكذا الازدراء

ص: ۳۹

بأصـفيائه المُنتخبين، وخلفـائهم الراشـدين، وأتباعهم الموفَّقين. فعـدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمَّة المتَّقون، وما اتّفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببعضه من الدِّين، فمنه ما دُوّن فى المصـنّفات، ومنه ما جاءت به المراسيم العُليا وأجمع عليه علماء عصره، ممَّن يُرجع إليهم فى الأمور والملمَّات، والقضايا المهمّات، وتضمَّنته الفتاوى الزكيّات من دنس أهل الجهالات، ولم يختلف عليه أحد، كما اشتُهر بالقراءة والمناداة على رءوس الأشهاد، فى المجامع والجامعة، حتى شاع وذاع، واتّسع به الباع.

ومن ذلك نسـخة المرسوم الشـريف السـلطانى، ناصـر الدين والدنيا محمد بن قلاوون، وقُرئ على منبر جامع دمشق، نهار الجمعة سـنة خمس وسبعمئة، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تنزَّه عن التشبيه والنظر. وتعالى عن المثل، فقال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِشَىْءٌ.

أحمده على ما ألهمنا من العمل بالسنَّة والكتاب، ورفع فى أيامنا أسباب الشكّ والارتياب.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، شهادة مَن يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير، وينزِّه خالقه عن التحيّز فى وجهة، لقوله تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

وأشهد أنَّ سيدنا محمد عبده ورسوله (ص)، الذى نهج سبيل

ص: ۴۰

النجاة لمَن سلك سبيل مرضاته، وأمر بالتفكّر فى الآيات، ونهى عن التفكّر فى ذاته، وأصحابه الذين علا بهم منازل الإيمان، وارتفع وشيَّد بهم من قواعد الدين الحنيفىّ ما شرع، وأخمد بهم كلمة مَن حاد عن الحقِّ ومال إلى البِدع.

وبعد .. فإنَّ القواعد الشرعية، وقواعد الإسلام المرعيّة، وأركان الإيمان العملية، ومذاهب الدين المرضية، هى الأساس الذى يُبنى عليه، والموئل الذى يرجع كل مَن حاد إليه، والطريق الذى مَن سلكها فاز فوزاً عظيماً، ومَن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً؛ ولهذا يجب أن تنعقد أحكامها، ويؤكّد دوامها، وتنصان عقائد هذه الأُمّة من الاختلاف، وتُزان بالرحمة والعطف والائتلاف، وتخمد ثوائر البدع، ويُفرَّق مَن فرَّقها ما اجتمع.

وكان ابن تيميّة فى هذه المدَّة قد بسط لسان قلمه، ومدَّ بجهله عنان كلمه، وتحدَّث بمسائل الذات والصفات، ونصَّ فى كلامه الفاسد على أمور مُنكرات، وتكلَّم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفاهَ بما اجتنبه الأئمَّة والأعلام الصالحون، وأتى فى ذلك بما أنكره أئمَّة الإسلام، وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكَّام، وشهر من فتاويه ما استخفَّ به عقول العوام، وخالف فى ذلك فقهاء عصر، وأعلام علماء شامه ومصره، وبثَّ به رسائله إلى كلِّ مكان، وسمّى فتاويه بأسماء ما أُنزل بها من سلطان.

ولما اتّصل بنا ذلك، وما سلك به هو ومريدوه من هذه

ص: ۴۱

المسالـک الخبیثـة، وأظهروه من هـذه الأـحوال وأشـاعوه، وعلمنـا أنّه اسـتخفّ قومه فأطاعوه. حتی اتّصل بنا أنّهم صـرّحوا فی حق الله سبحانه بالحرف والصوت والتشبیه والتجسیم، فقمنا فی نصـرة الله مُشـفقین من هـذا النبأ العظیم، وأنکرنا هـذه البدعـة، وعزنا أن یشـیع عمَّن تضـمنه ممـالکه هـذه السـمعة، وکرهنـا مـا فاه به المبطلون، وتلونا قوله تعالی سُـبْحانَ رَبِّکَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا یَصِـفُونَ، فإنّه سـبحانه وتعـالی تنزَّه فی ذاته وصـفاته عن العـدیل والنظیر، لاـ تُـدْرِکُهُ الأَبْصـارُ وَ هُوَ یُـدْرِکُ الأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ. فتقـدّمت مراسـیمنا باسـتدعاء ابن تیمیّـة المـذکور إلی أبوابنا، حینما سارت فتاواه الباطلة فی شامنا ومصـرنا، وصـرَّح فیها بألفاظٍ ما سـمعها ذو فهم إلّا وتلا قوله تعالی: لَقَدْ جِئْتَ شَیْئاً نُکْراً.

ولمّا وصل إلینا الجمع، أولوا العقـد والحلّ، وذوو التحقیق والنقل، وحضـر قضاة الإسـلام وحکّام الأنام، وعلماء المسـلمین وأئمّـة الدنیا والـدِّین، وعُقـد له مجلس شـرعی فی ملأ من الأئمّة، وجمع، مَن له درایة فی مجال النظر ودفع، فثبت عندهم جمیع ما نُسب إلیه، بقول مَن یعتمـد علیه ویعـول علیه، وبمقتضـی خـطِّ قلمه الـدال علی منکر معتقـده، وانفصـل ذلـک الجمع، وهم لعقیـدته الخبیثـة منکرون، وآخذوه بما شهد به قلمه تالین سَتُکْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ یُسْئَلُونَ.

وبلغنا أنّه قد استُتیب مراراً فیما تقدَّم، وأخره الشرع الشریف لما تعرّض لذلک وأقدم، ثُمَّ عاد بعد منعه، ولم یدخل

ص: ۴۲

فی سـمعه. ولمّا ثبت ذلک فی مجلس الحاکم المالکی، حکم الشـرع الشـریف أن یُسجن هذا المذکور، ویمنع من التصرّف والظهور، ویکتب مرسومنا هـذا بأنْ لا یسـلک أحـد ما سـلکه المذکور من هذه المسائل، وینهی عن التشبیه فی اعتقاد مثل ذلک، أو یعود له فی هذا القول متّبعاً، أو لهذه الألفاظ مستمعاً، أو یسری فی التشبیه مسراه، أو یفوه بجهۀ العلوّ بما فاه، أو یتحدَّث أحد بحرف أو صوت، أو یفوه بـذلک إلی الموت، أو ینطق بتجسـیم، أو یحیـد عن الطریق المسـتقیم، أو یخرج عن رأی الأئمّۀ، أو ینفرد به عن العلماء، أو یحیّز الله سبحانه وتعالی فی جهۀ، أو یتعرّض إلی حیث وکیف، فلیس لمُعتقِد هذا إلّا السیف.

فلیقف کـلّ واحـد عنـد هـذا الحـدّ، ولله الأـمر من قبـل ومن بعـد، ولیلزم کل واحـد من الحنابلـۀ بالرجوع عن کل ما أنکره الأئمّـۀ من العقیـدۀ، والرجوع عن الشـبهات الذائعـۀ الشدیـدۀ، ولزوم ما أمر الله تعالی به، والتمسّک بمسالک أهل الإیمان الحمیدۀ، فإنّه مَن خرج عن أمر الله فقد ضلَّ سواء السبیل، ومثل هذا لیس له إلّا التنکیل، والسـجن الطویل مستقرّه ومقیله وبئس المقیل، وقد رسـمنا بأن یُنادی فی دمشق المحروسـۀ والبلاد الشامیّـۀ، وتلک الجهات الدنیّۀ والقَصیَّۀ، بالنهی الشدید والتخویف والتهدید، لمَن اتّبع ابن تیمیّۀ فی هذا الأمر الذی أوضحناه، ومَن تابعه ترکناه فی مثل مکانه وأحللناه، ووضعناه من عیون الأُمّۀ کما وضعناه. ومَن أصرَّ علی

ص: ۴۳

الامتناع، وأبى إلّا الدفاع، أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم، وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم، وأن لا يكون لهم فى بلادنا حكم ولاولايـة، ولاشـهادة ولاإمامـة، بل ولامرتبة ولاإقامة، فإنّا أنزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد، وأبطلنا عقيدته الخبيثة التى أضلّ بها كثيراً من العباد أو كاد، بل كم أضلَّ بها من خلق وعاثوا بها فى الأرض الفساد، ولتُثبت المحاضـر الشـرعية على الحنابلـة بالرجوع عن ذلك، وتسير المحاضر بعد إثباتها على قضاة المالكية، وقد أعذرنا وحذَّرنا وأنصفنا حين أنذرنا، وليُقرأ مرسومنا الشريف على المنابر، ليكون أبلغ واعظ وزاجر لكلّ باد وحاضر، والاعتماد على الخطّ الشريف أعلاه.

كُتب فى الثامن والعشرين من شهر رمضان، سنة خمس وسبعمئة.

قـال الحصـنى: وأزيـد على ذلـك ما ذكره صاحب عيون التاريـخ، وهو ابن شاكر، ويُعرَف بصـلاح الـدين الكتبى، وكان من أتباع ابن تيميّة، وضُرب الضرب البليغ، لكونه قال للمؤذِّن فى مئذنة العروس وقت السحر: أشركت. حين قال:

ألا يا رسول‌الله أنت وسيلتى

إلى الله فى غفران ذنبى وذلّتى وأرادوا ضـرب عنقه ثُمَّ جـدَّدوا إسـلامه، وإنّما ذكر ما قاله لأنَّه أُبلغ فى حقّ ابن تيميّـة فى إقامـة الحجَّة عليه، مع أنّه أهمل أشياء من خبثه ولؤمه، لما فيها من المبالغة فى إهانتة قدوته. والعجب أنَّ ابن تيميّة ذكرها وهو سكت عنها!

ص: ۴۴

ابن تيميّة والاستواء

قال الحصنى: فمن ذلك ما أخبر به أبو الحسن على الدمشقى فى صحن الجامع الأموى عن أبيه، قال: كنّا جلوساً فى مجلس ابن تيميّة، فذكر ووعظ وتعرَّض لآيات الاستواء، ثُمَّ قال: واستوى الله على عرشه كاستوائى هذا.

قال: فوثب الناس عليه وثبة واحدة، وأنزلوه من الكرسى، وبادروا إليه ضرباً باللَكم والنعال وغير ذلك، حتى أوصلوه إلى بعض الحكّام، واجتمع فى ذلك مجلس العلماء، فشرعَ يناظرهم.

فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟

فقال: قوله تعالى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى.

فضحكوا منه، وعرفوا أنّه جاهل لا يجرى على قواعد العلم.

فقالوا: ما تقول فى قوله تعالى فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ؟

فأجاب بأجوبة تحقّقوا أنّه من الجهلة على التحقيق، وأنّه لا يدرى ما يقول.

وكان قد غرَّه بنفسه ثناء العوام عليه، وكذا الحامدين من الفقهاء العارين من العلوم التى بها يجمع شمل الأدلَّة على الوجه المرضى.

وقد رأيت فى فتاويه ما يتعلَّق بمسالة الاستواء وقد أطنب فيها، وذكر أموراً كلها تلبيسات وتجرّيات خارجة عن قواعد أهل الحق، والناظر فيها إذا لم‌يكن ذا علوم وفطنة وحسن

ص: ۴۵

رؤيـة، ظنَّ أنّها على منوال مرضـى. ومن جملـة ذلك بعد تقريره وتطويله، (أنّ الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة)، وغيره ممَّا هو كثير فى كلامه، يتحقّق بها جهله وفساد تصوّره وبلادته.

وكان بعضهم يسمِّيه حاطب ليل.

وبعضهم يسمِّيه الهدار المهدار.

وكـان الإمـام العلّامـة شـيخ الإسـلام فى زمانه، أبو الحسن على بن إسـماعيل القونوى، يصـرِّح بأنّه من الجهلـة بحيث لا يعقل ما يقول، ويخبر أنَّه أخذ مسألة التفرقة عن شيخه، الذى تلقاها من أفراخ السامرة واليهود، الذين أظهروا التشرّف بالإسلام.

وقـد وقفت على المسألة، أعنى مسألة التفرقة، التى أثارها اليهود ليزدروا النبى (ص) بها، وبحثوا فيها على قواعد مأخوذة من الاشـتقاق، وكانوا يقطعون بها على الضـعفاء من العلماء، فتصـدَّى لهم الجهابذة من العلماء، وأفسدوا ما قالوه بالنقل والعقل، والاسـتعمال الشـرعى والعرف، وأبادوهم بالضـرب بالسـياط وضـرب الأعناق، ولم يبقَ منهم إلّا الضعفاء فى العلم، ودامت فيهم مسألة التفرقة حتى تلقّاها ابن تيميّة عن شيخه، وكنت أظنّ ابتكرها.

واتّفق الحـذّاق فى زمانه من جميع المـذاهب على سوء فهمه، وكثرة خطئه، وعـدم إدراكه للمآخـذ الدقيقـة وتصوّرها، عرفوا ذلك منه بالمفاوضة فى مجالس العلم.

ص: ۴۶

ثُمَّ استعرض الحصنى بعد ذلك ما ذكره ابن شاكر فى تاريخه، فى حوادث سنة خمس وسبعمئة، فى الثامن من رجب، والمحاكمات التى جرت لابن تيميّة بسبب ما قاله فى عقيدته الواسطية، وإشهاد ابن تيميّة على نفسه أنّه شافعى المذهب والمعتقَد.

ثُمَّ عقد له مجلس ثان فى أمر العقيدة، بعد أن تظاهر أتباعه بأقواله وقالوا إنَّ الحقّ معه، فأُحضروا إلى مجلس القاضى جلال الدين القزوينى، وأُحضر ابن تيميّة، وصُفع ورُسم تعزيره.

ثُمَّ عقد له مجلس ثالث فى أمر العقيدة، وطُلب إلى مصر بعد وقوع أشياء كثيرة من الحنابلة فيها، وعقد له مجلس بقلعة القاهرة، بحضور القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء.

وقام الشيخ شمس الدين عدنان الشافعى فادَّعى على ابن تيميّة فى أمر العقيدة، فذكر منها فصولًا، فشرع ابن تيميّة فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وتكلَّم بما يقتضى الوعظ.

فقيل له: يا شيخ، إنَّ الذى تقوله نحن نعرفه، وما لنا حاجة إلى وعظك، وقد ادَّعى عليك بدعوى شرعية فأجب.

فأراد ابن تيميّة أن يعيد التحميد فلم يمكّنوه من ذلك، بل قيل له: أجب.

فتوقَّف وكرّر عليه القول مراراً، فلم يزدهم على ذلك شيئاً وطال الأمر.

وعند ذلك حكم القاضى المالكى بحبسه فى برجٍ من أبراج

ص: ۴۷

القلعة، فتردَّد إليه جماعة من الأُمراء، فسمع القاضى بذلك، فاجتمع بالأُمراء وقال: يجب عليه التضييق إذا لم‌يُقتل، وإلَّا فقد وجب قتله وثبت كفره.

ووصل من الديار المصرية قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى، وكانوا قد بيّتوا على الحنابلة كلّهم بأن يحضروا إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموى بعد الصلاة، وحضر القضاة كلّهم وقضاة العسكر، ونظر الأوقاف وقُرئ مرسوم السلطان، وفيه ما يتعلَّق بابن تيميّة فى عقيدته، وإلزام الناس بذلك، خصوصاً الحنابلة، والوعد الشديد عليهم، والعزل من المناصب والحبس، وأخذ الأموال والروح؛ لخروجهم بهذه العقيدة عن الملّة المحمدية.

وأحضروا بعد القراءة الحنابلة، واعترفوا أنّهم يعتقدون ما يعتقده الشافعى.

ثُمَّ حُبس ابن تيميّة بعد ذلك؛ بسبب مسألة الطلاق وقوله بمنع شدّ الرحال.

ونقل الحصنى كلامَ الذهبى عمّا ذكر ابن تيميّة فى عقيدته الواسطية، وكان ممّا ادُّعى عليه بمصر أنّه قال: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى حقيقة، وأنَّه تكلَّم بحرف وصوت.

ثُمَّ نُودى بدمشق وغيرها: مَن كان على عقيدة ابن تيميّة حلَّ ماله ودمه.

ونُقل عن ابن حيّان النحوى الأندلسى، صاحب تفسير (النهر)، أنّه قرأ فى كتاب لابن تيميّة بخطِّه، سمّاه (العرش):

ص: ۴۸

أنّ الله يجلس على الكرسى، وقد أخلى مكاناً يقعد فيه رسول‌الله (ص).

وقال: رأيت فى بعض فتاويه أنّ الكرسى موضع القدمين.

وفى كتابه المسمَّى بالتدمريَّة ما هذا لفظه بحروفه.

وقال ابن تيميّة فى الكلام على حديث النزول المشهور: إنَّ الله ينزل إلى سماء الدنيا إلى مَرجَةٍ خضراء، وفى رجليه نعلان من ذهب.

وله من هذا النوع وأشباهه مغالاة فى التشبيه، حريصاً على ظاهرها واعتقادها، وإبطال ما نزَّه الله به نفسه فى أشرف كتبه.

وهذا الخبيث لا يعرِّج على ما فيه من التنزيه، وإنّما يتَّبع المتشابه ويمعن الكلام فيه، وذلك من أعظم الأدلّة على أنّه من أعظم الزائغين.

واستطرد الحصنى، عارضاً العديد من أقوال السلَف المتعلِّقة بصفات الله سبحانه، من باب الردِّ على ابن تيميّة، وإثبات مخالفته لعقائدهم فى قوله بالتجسيم، وقِدم العالم، والاستغاثة والتوسّل، وتحريم شدّ الرحال (۱)

وقال تقى الدِّين السبكى: أمَّا بعد. فإنّه لمَّا أحدث ابن تيميّة ما أحدث فى أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مُستتراً بتبعيَّة الكتاب والسنّة،

۱- انظر: دفع شبه مَن شبّه وتمرّد على الإمام أحمد، لتقى الدين الحصنى الحنبلى الدمشقى.

ص: ۴۹

مظهراً أنّه داع إلى الحق هاد إلى الجنّة، فخرج من الاتّباع إلى الابتداع، وشذَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضى الجِسمية والتركيب فى الذات المقدّس، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وتعدَّى فى ذلك إلى استلزام قدم العالم، والتزامه بالقول بأنّه لا أوَّل للمخلوقات، فقال بحوادث لا أوَّل لها، فأثبت الصفة القديمة حادثة، والمخلوق الحادث قديماً، ولم يجمع أحد هذين القولين فى ملَّة من الملل، ولانِحلة من النحل، فلم يدخل فى فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين، والتى افترقت عليها الأُمَّة، ولاوقفت به مع أُمّة من الأمم همة. وكلّ ذلك وإنْ كان كفراً شنيعاً، ممّا تقلّ جملته بالنسبة إلى ما أحدث فى الفروع ... (۱)

وممّا سبق عرضه يتبيّن لنا:

أنَّ فريق الحنابلة المتطرّفين المُجسّمين، الذين انشقّوا على مذهب ابن حنبل وعقيدته، وانشقّوا بالتالى على عقيدة أهل السنّة، هم الذين انحاز لهم ابن تيميّة وأحيى أفكارهم، وجاء الوهابيّون فانحازوا لابن تيميّة، وأحيوا أفكاره ومعتقداته.

اعتقادات أهل السُنَّة

لخَّص لنا فى كتابه (شرح اعتقادات أهل السنّة) اعتقادات

۱- انظر: الدرّة المضيئة فى الردّ على ابن تيميّة، السبكى.

ص: ۵۰

السلَف فی باب تحت عنوان: (ما رُوی من المأثور عن السلف فی جمل اعتقاد أهل السنَّة).

أوّلًا: اعتقاد الثوری: القرآن کلام الله غیر مخلوق، والإیمان قول وعمل ونیَّة، ویزید وینقص؛ یزید بالطاعة وینقص بالمعاصی، تقدمة الشیخین، لا نشهد لأحد بجنّة ولانار إلّا للعشرة المبشَّرین، المسح علی الخفّین، إخفاء البسملة، الإیمان بالقَدر خیره وشرّه، الصلاة وراء کل برٍّ وفاجر، والجهاد ماض وراء کل أمیر، والصبر تحت لواء السلطان، جائر أم عدل.

ثانیاً: اعتقاد سفیان بن عیینه: إثبات القدر وتقدیم أبی بکر وعمر، والإیمان بالحوض والشفاعة، والمیزان والصراط، وعذاب القبر والبعث، والإیمان قول وعمل، والقرآن کلامالله، ولاتقطعوا بالشهادة لمسلم.

ثالثاً: اعتقاد ابن حنبل: الإیمان بالقدر خیره وشرّه، القرآن کلام الله ولیس بمخلوق، الإیمان بالمیزان والحوض وعذاب القبر والشفاعة، وأنَّ الله یکلّم العباد یوم القیامة، لیس بینهم وبینه ترجمان، الإیمان قول وعمل، خیر هذه الأُمّة أبو بکر وعمر وعثمان، بعد هؤلاء أصحاب الشوری الخمسة، وکلّهم یصلح للخلافة وکلّهم إمام، السمع والطاعة للأئمّة وأمیر المؤمنین البرّ والفاجر، الغزو ماض مع الأمراء إلی یوم القیامة، البرّ والفاجر، دفع الصدقات إلیهم والصلاة خلفهم وعدم الخروج علیهم وقتالهم ..

رابعاً: اعتقاد علی بن المدینی: الإیمان بالقدر خیره وشرّه،

ص: ۵۱

التصـديق بالأحاديث والإيمان بها، القرآن كلام الله غير مخلوق، الإيمان بالميزان والحوض، وعذاب القبر والشـفاعة والمسـيح الدجَّال، الإيمان يزيد وينقص، ترك الصـلاة كفر، تقديم أبى بكر وعمر وعثمان، السمع والطاعة للأئمّة والأمراء، البرّ والفاجر، والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة، البرّ والفاجر، دفع الصدقات إليهم، والصلاة خلفهم، وعدم الخروج عليهم وقتالهم.

وكذلك اعتقادات أبى ثور الكلبى والبخارى، وأبى زرعة وسهل التسترى والطبرى وغيرهم .. (۱)

وكتاب اللالكائى (شـرح اعتقادات أهل السـنّة) الذى حوى كل هذه العقائد، ليس فيه ذكر لمسألة الاستواء أو الجهة، أو ما يتعلَّق بسائر الصفات، فمثل هذه المسائل لم‌تأتِ على لسان السلَف، وإنّما توقَّفوا فيها على ما سوف نبيِّن.

والغريب أنّ الوهابيّين تبنّوا هذا الكتاب ونشروه، دون أن يدروا أنّه يكشف أكذوبتهم فى نسبة التجسيم والتشبيه لأهل السنّة والسلَف.

كذلك نشرهم لكتاب (صريح السنَّة) للطبرى، الذى لم‌يُشر فيه صاحبه لشىء يتعلَّق بالصفات كما تبنّاها الحنابلة وابن تيميّة والوهابيّين.

وسوف نعرض هنا نماذج من أقوال السلف، حول مسألة الصفات والاستواء والعرش وغيرها.

۱- شرح اعتقادات اهل السنة، ج ۱، ص ۱۷۰، ص ۲۰۶.

ص: ۵۲

اشتهر من جواب أبی علی الحسین بن الفضل البجلی عن الاستواء، فقال: لا نعرف أنباء الغیب إلّا ما کُشف لنا، وقد أعلمنا جلَّ ذکره أنَّه استوی علی عرشه، ولم یخبر کیف استوی، ومَن اعتقد أنَّ الله مفتقر للعرش أو لغیره من المخلوقات، أو أنَّ استواءه علی العرش کاستواء المخلوقات علی کرسیّه، فهو ضالّ مبتدع؛ فکان الله ولازمان ولامکان، وهو الآن علی ما علیه کان.

ومنها نزول الربِّ سبحانه وتعالی کل لیلة إلی السماء الدنیا، من غیر تشبیه بنزول المخلوقین، ولاتمثیل ولاتکییف، بل یُثبت الحنابلة ما أثبته رسول‌الله (ص)، ویُمرّون الخبر الصحیح الوارد بذکره علی ظاهره، ویَکلون علمه إلی الله تعالی.

وکذلک ما أنزل الله عزَّ اسمه فی کتابه من ذکر المجیء والإتیان، المذکورین فی قوله تعالی وَ جاءَ رَبُّکَ وَ الْمَلَکُ ... (۱)، وفی قوله ... یَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ یَأْتِیَهُمُ اللهُ فِی ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ... (۲)

ونؤمن بذلک بلا کیف، فلو شاء سبحانه أن یبیِّن لنا کیفیة ذلک فعل، فانتهینا إلی ما أحکمه وکففنا عن الذی یتشابه.

وقال مالک ۲ إیّاکم والبدع، قیل وما البِدع؟ قال: أهل البدع الذین یتکلَّمون فی أسماء الله تعالی وصفاته، وکلامه وعلمه وقدرته .. لا یسکتون عمّا سکت عنه الصحابة والتابعون.

وفی صحف إدریس: لا ترووا أن تحیطوا بالله خبرة؛ فإنّه

۱- الفجر: ۲۲.

۲- البقرة: ۲۱۰.

ص: ۵۳

أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين.

قال ابن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه.

وقال بعض السلف: قدم الإسلام لا يثبت إلّا على قنطرة التسليم.

قال الإمام الشافعى (رحمه الله تعالى): (آمنت بالله وبما جاء عن الله وعلى مراد الله، وآمنت برسول‌الله صلّى الله عليه وسلّم، وبما جاء به رسول‌الله صلّى الله عليه وسلّم، وعلى مراد رسول‌الله صلّى الله عليه وسلّم) نقله عنه الإمام أبو الحسن اللبوذى الحنبلى فى كتابه اللُمع فى السُنن والبِدع، وقال: بعد وعلى هذا درج أئمّة السلف.

وسيأتى فى التتمّة الخامسة ذكر كلام الشيخ الأشعرى، وأنّه موافق للإمام أحمد فى الاعتقاد، وأنّه يُجرى المتشابهات على ما قاله الله من غير تصرّف ولاتأويل، كما هو مذهب السلف، وعليه فلا خلاف ولانزاع والحمد لله (۱)

وقال الشافعى: (آمنت بلا تشبيه وصدَّقت بلا تمثيل، واتَّهمت نفسى فى الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك) (۲)

وقال ابن حنبل: (إنَّ الله عزَّ وجلّ لم‌يكن موصوفاً حتى وصفه الواصفون، فهو بذلك خارج عن الدين) (۳)

۱- انظر: العين والأثر فى عقائد أهل الأثر، ج ۱، صص ۵- ۶۳.

۲- انظر: دفع شبه من شبّه وتمرد، ط القاهرة، لتقى الدين الحصنى، ص ۱۸.

۳- اعتقاد الإمام المبجّل أحمد بن حنبل، ص ۱.

ص: ۵۴

وقال القنوجي: (مذهب السلَف إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمّة الإسلام، كمالك والشافعي، والثوري والأوزاعي، وابن المبارك والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المُقتدى بهم، كالفضيل بن عياض وسهل التستري وأبي سليمان الدارني وغيرهم، وكذلك أبو حنيفة، فإنَّ الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء) (۱)

وقال الغزالي: (حقيقة مذهب السلف أنَّ كل مَن بلغه حديث من هذه الأحاديث أحاديث الصفات- من عوام الخلق، عليه سبعة أمور: التقديس والتصديق، ثُمَّ الاعتراف بالعجز ثُمَّ السكوت ثُمَّ الإمساك، ثُمَّ الكفّ ثُمَّ التسليم لأهل المعرفة.

أمّا التقديس، فأعني به تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الجسمية.

وأمّا التصديق، فهو الإيمان بما قاله (ص)، وأنَّ ما ذكره حقّ، وهو فيما قاله صادق، وأنَّه حقّ على الوجه الذي قاله وأراده.

وأمّا الاعتراف بالعجز، فهو أن يُقرّ بأنَّ مراده ليست على قدر طاقته، وأنَّ ذلك ليس من شأنه وحرفته.

وأما السكوت، بأنْ لا يسأل عن معناه، ولايخوض فيه، ويعلم أنَّ سؤاله عنه بِدعة، وأنَّ في خوضه فيه مخاطر بدينه، وأنَّه يُوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر.

۱- انظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، ص ۴۷، والقنوجي توفّي عام ۱۳۰۷ ه.

ص: ۵۵

وأمّا الإمساك، فأنْ لا يتعرَّض فى تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل، بلُغة أُخرى، والزيادة والنقصان، والجمع والتفريق، بل لا ينطق إلَّا بذلك اللفظ، وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصريف.

وأما الكفّ، بأنْ يكفّ باطنه عن البحث فيه والتفكّر فيه.

وأمّا التسليم لأهله، بأن لا يعتقد أنَّ ذلك إنْ خفى عليه لعجزه فقد خفى على رسول‌الله (ص)، أو الأنبياء أو الصدّيقين أو الأولياء) (۱)

وقال الشوكانى: (ومن جملة الصفات التى مرَّرها السلف على ظاهرها، وأجروها على ما جاء به القرآن والسنّة، من دون تكلُّف ولاتأويل، صفة الاستواء؛ يقولون: نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه، من استواء على عرشه، على هيئة لا يعلمها إلّا هو، وكيفيّة لا يدرى بها سواه، ولانكلِّف أنفسنا غير هذا، فليس مثله شىء، لا فى ذاته ولافى صفاته، ولايحيط عباده به علماً. وهكذا يقولون فى مسألة الجهة.

لكن لمّا وقعت تلك القلاقل والزلازل، الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية؛ كثر الكلام فيها وفى مسألة الاستواء وطال، وسيّما بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب، فلهم فى ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى، ومازالوا هكذا فى عصر بعد عصر) (۲)

۱- انظر: إلجام العوام عن علم الكلام، ط القاهرة، ص ۱۵، وهو آخر تصانيفه.

۲- انظر: التحف فى مذاهب السلف، ص ۷۶، والشوكانى توفّى عام ۱۲۵۵ ه.

ص: ۵۶

وقال‌ابن‌قدامه: (ومذهب السلَف الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه، التى وصف بها نفسه فى‌آياته وتنزيله، أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولانقص منها ولاتجاوز لها، لا- تفسير ولاتأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولاتشبيه بصفات المخلوقين ولاسمات المُحدَثين، بل أمرّوها كما جاءت، وردُّوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلِّم بها.

ونقل عن محمد بن الحسن قوله: اتّفق العلماء كلّهم من الشرق والغرب، على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول‌الله (ص)، فى صفة الربِّ عزَّ وجلّ، من غير تفسير ولاوصف ولاتشبيه، فمَن فسَّر شيئاً من ذلك فقد خرج ممَّا كان عليه النبى (ص) وفارق الجماعة) (۱)

منشورات الوهابية

كان تبنّى الوهابية لطرح ابن تيميّة المُجسّم والمشبّه، واعتباره شيخ الإسلام ومُمثِّل السلَف والأنام، والناطق بلسان أهل السنّة الكرام، والمعبِّر عن إجماع الأمّة دون خلاف وخصام؛ يعدّ دليلًا قاطعاً على تبنّيهم التجسيم والتشبيه.

ولمّا كان ابن تيميّة قد خاصمه الفقهاء ورفضوه، وحذَّروا المسلمين من معتقداته وأفكاره؛ أصبحت معتقدات وأفكار الوهابيّين محلّ رفض الفقهاء، ويجب تحذير المسلمين منها،

۱- انظر: ذمّ التأويل. صص ۳ و ۶ وابن قدامة توفّى عام ۶۲۰ ه.

ص: ۵۷

وهو ما يوجب الحكم عليها بأنّها لا تعبّر عن أهل السنّة، بل تتصادم مع معتقداتهم.

وهذا يقودنا للحكم بأنَّ الوهابيّين يكذبون على أهل السنّة والسلف، حين يحاولون إلصاق عقائدهم وأفكارهم بهم.

والوهابيّون يحاولون تضليل المسلمين، عن طريق ما يصدرونه من منشورات عقائدية تدعم فكرة التجسيم والتشبيه، منسوبة لأهل السنّة؛ الأمر الذى ينطلى على العوام والبسطاء، وهم أتباع الوهابيّين، ولاينطلى على أهل العلم والباحثين المحقِّقين النَبهِين.

ومن أمثلة هذه المنشورات:

العرش العبسى.

السنَّة للخلال.

رسالة البربهارى.

نقض عثمان الدارمى.

الصفات للدارقطنى.

الاستواء والفوقية والحرف والصوت للجوينى.

الأربعين فى دلائل التوحيد للهروى.

الحجَّة فى بيان المَحجَّة للأصبهانى.

الفتيا وجوابها للهمدانى.

اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم.

الكافية الشافية فى شرح عقيد الفرقة الناجية لابن القيم.

وغير هذا كثير ..

ص: ۵۸

ومن بين منشورات الوهابيّين المعاصرة، التى تدلّ على تبنّيهم معتقد التجسيم والتشبيه، سيراً على نهج إمامهم ابن تيميّة؛ منشور تحت عنوان (العرش)، لمحمد بن عثمان العبسى، المتوفّى عام ۲۹۷ ه، وهى رسالة صغيرة، حشد فيها مؤلّفها عشرات الروايات التى تتعلَّق بعرش الله سبحانه، والتى تقود إلى التجسيم.

ومن هذه الروايات:

رواية تقول: إنَّ عرشه على سماواته وأرضيه هكذا. وقال بأصابعه مثل القُبَّة. وصف ذلك وهب، وأمال كفّه وأصابعه اليمنى وقال: هكذا، وإنّه ليَئطّ به أطيط الرَحل بالراكب.

ورواية أُخرى تقول: الكرسى موضع القدمين، وله أطيطٌ كأطيطِ الرَحل.

ورواية تقول: العرش مسيرة خمسين ألف سنة.

ورواية تقول: العرش على ملك من لؤلؤة فى صورة ديك، رجلاه فى التخوم السفلى، وعنقه مثنيّة تحت العرش.

ورواية تقول: أرسل ابن عمر إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد ربَّه؟

فأرسل إليه ابن عباس: أنْ نعم.

فردَّ عليه ابن عمر رسوله: أنْ كيف رآه؟

قال: رآه فى روضة خضرة، روضة من الفردوس، دونه فراش من ذهب على سرير من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة، ملك فى صورة رجل، وملك فى صورة ثور، وملك فى صورة

ص: ۵۹

أسد، وملك فی صورة نسر (۱)

وفی قصیدة لعبد الله بن سلیمان الأشعث، المتوفّی عام ۳۱۶ ه، ذمَّ فیها أهل البِدع ومدح أهل الحدیث قال:

وقل یتجلّی الله للخلق جهرة کما البدر لا یخفی وربّک أوضح

وقد ینکر الجهمی هذا وعندنا بمصداق ما قلنا حدیث مصرّح

وقد ینکر الجهمی أیضاً یمینه وکلتا یدیه بالفواصل تفضح

وقل ینزل الجبار کل لیلة بلا کیف جلّ الواحد المتمدّح

روی ذاک قوم لا یُردّ حدیثهم ألا خاب قوم کذّبوا وقبحوا (۲)

وفی کتاب (السُنَّة) لأبی بکر الخلال، المتوفّی عام ۳۱۱ ه. قال فی باب ذکر المقام المحمود عَسی أنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً.

استعرض الروایات التالیة:

* إذا کان یوم القیامة، جیء بنبیّکم صلی الله علیه وسلّم فأُقعد بین یدی الله علی کرسیّه.

* إنَّ محمداً یوم القیامة بین یدی الربِّ علی کرسی الربّ.

* إنَّ الله یجلسه معه علی العرش.

وروی ما یلی:

* مَن ردَّه- أی حدیث الجلوس- فقد ردَّ علی الله، ومَن کذَّب بفضیلة النبیّ فقد کفر بالله العظیم.

* مَن ردَّ هذا فهو متهم علی الله ورسوله، وهو عندنا

۱- العرش، حدیث رقم ۱۱ و ۳۸ و ۶۰ و ۶۲ و ۶۸.

۲- ص ۹، وما بعدها.

ص: ۶۰

كافر.

* لا يردّ هذا إلّا متّهم.

* مَن ردَّ هذا الحديث فهو جهمى.

* لا يردّه إلّا أهل البِدع.

* مَن رد فضيلة الرسول (ص) فهو عندنا كافر مرتدّ عن الإسلام (۱)

وقد تسبَّب الحنابلة بتبنّيهم هذه الرواية فى إحداث العديد من الفتن مع خصومهم من أهل السنّة، وقد اعتدوا على الطبرى المفسِّر، بسبب رفضه لهذه الرواية.

وقال الذهبى: (يقعد أو يجلس على العرش .. لهذا القول طُرق خمسة، وأمّا قضية قعود نبيّنا على العرش، فلم يثبت فى ذلك نصّ، بل فى الباب حديث واه) (۲)

ونشر الوهابيّون (شرح السنّة) للبربهارى الحنبلى المتطرّف، المتوفّى عام ۳۲۹ ه.

يقول فى مقدّمة رسالته: (اعلم أنّ الإسلام هو السنّة، والسنّة هى الإسلام، ولايقوم أحدهما إلا بالآخر. فمن السنَّة لزوم الجماعة، ومَن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عُنقه، وكان ضالًّا مضلًّا.

والأساس الذى بنينا عليه الجماعة هم أصحاب الرسول (ص)، وهم أهل السنّة والجماعة، فمَن لم‌يأخذ عنهم فقد ضلَ

۱- ح ۱/ ۲۰۹ باب رقم ۲۴.

۲- شرح منظومة ابن القيم، ج ۱، ص ۲۳۳.

ص: ۶۱

وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها فى النار).

وهـذه دعوة صـريحة للتمسّـك بالروايـة والجماعـة، التى هى جماعـة الحنابلـة، التى يحـاول أن يُظهر لنـا البربهارى أنّها الممثّل الوحيد للإسلام.

وهـذا الكلام هو امتـداد لكلام ابن حنبل السابق، الـذى ينفى الإسـلام عن الاتّجاهات الأُخرى، التى تتبنَّى رؤيـة مختلفة تجاه الصـحابة والروايات.

يقول البربهارى: (ولايخرج أحـد من أهل القبلة من الإسـلام حتى يردّ آية من كتاب‌الله، أو يردّ شـيئاً من آثار رسول‌الله، أو يصـلى لغير الله، أو يذبح لغير الله. وإذا فعل شيئاً من ذلك، فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام).

ويبـدو الغُلو والتطرّف فى هـذا الكلام من خلال ربط البربهارى الردّة عن الـدين بإنكار الروايات، لا بإنكار القرآن وحـده، وهو بهـذا يكون قـد ساوى بين الروايات وبين كتاب‌الله، وهـذا قمَّة الغُلو والضـلال. ثُمَّ قام بوضع بذرة العداء والمواجهة مع تيَّار الشـيعة والمعتزلة والتصوّف؛ حين اعتبرهمـا من المُصـلِّين لغير الله والـذابحين لسواه، من الخـارجين المرتـدّين. وهو كلام موجَّه للتيار الصوفى والشـيعى السائد فى محيطهما فكرة التوسّل وزيارة الأضرحة والمقامات، والاحتفال بأصحابها، وهى الفكرة التى رفعت لواءها فى العصر الحديث الحركة الوهابيّة، وبطشت بالمسلمين فى جزيرة العرب على أساسها؛ باعتبار أنَّ الذين يتوسّلون بالأموات من الأولياء

ص: ۶۲

والصالحين، وينذرون عند الأضرحة والمقامات ويقيمون الشعائر فيها؛ إنّما هم مشركون.

ثُمَّ أعطى البربهارى الرخصة الشرعية للحنابلة، كى يقوموا بواجبهم فى مواجهة هؤلاء الخارجين عن الإسلام فى منظوره.

وهو ما يقوم به الوهابيّون، والجماعات من حنابلة العصر، ويطبّقونه تطبيقاً عملياً فى مواجهة المخالفين لهم، تحت شعار جهاد أصحاب البدع، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ويطالب البربهارى المسلمين بأن يصمّوا آذانهم ويغلقوا عقولهم، حين تواجههم روايـة من الروايات التى تتعلّق بصفات الله تعالى تُثير الشكّ فى نفوسهم.

يقول: (وكلّ ما سمعت من الآثار ممّا لم‌يبلغه عقلك، مثل:

قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمان ..

وأنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا وينزل يوم عرفه ويوم القيامة ..

وأنَّ الله يضع قدمه فى النار ..

وخلق آدم على صورته ..

وأشباه هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضا، ولاتفسِّر شيئاً من هذا بهواك؛ فإنَّ الإيمان بها واجب، فمَن فسَّر شيئاً من هذا بهواه فهو جَهمى).

ص: ۶۳

وهذه الأحاديث رفضها الشيعة والمعتزلة، وغيرهم من أهل الرأى والعقل.

كذلك قام بتأويلها الخلَف- أى مَن جاء بعد القرن الثالث وصرفها عن ظاهرها الذى يقود إلى التشبيه والتجسيم، كمحاولة لتجنّب رفضها والوقوع فى الحرج أمام روايات يُسلِّم بها كافّة فقهاء أهل السنَّة.

واعتبار البربهارى مَن يفسِّر هذه الروايات أو يرفضها من الجهميَّة، يعنى أنَّه من الكفّار؛ لكون الجهمى كافر فى منظور الحنابلة.

وهو بهذا يحكم بكفر الخلَف من أهل السنّة الذين اتَّجهوا إلى تفسير هذه الروايات، بالإضافة إلى الشيعة والمعتزلة.

ويمضى البربهارى فى تحريض المسلمين وتوطين الإرهاب فى واقعهم بقوله: (وإذا سمعت الرجل يطعن فى الآثار ولايقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول‌الله (ص)، فاتّهمه على الإسلام؛ فإنّه رجل ردىء المذهب والقول).

ثُمَّ يقول: (وإيّاك والنظر فى الكلام، والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار وأهل الآثار وإيّاهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس ..

وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره واعرفه، فإنّه صاحب هوى).

ثُمَّ يختتم كلامه بمقالةٍ تنطق كفراً، يقول:

(فمَن أقرَّ بما فى هذا الكتاب وآمن به واتَّخذه إماماً، ولم

ص: ۶۴

يشكّ فى حرف منه، فهو صاحب سنَّة وجماعة، كامل قد كملت به الجماعة.

ومَن جحد حرفاً ممّا فى هذا الكتاب أو شك فيه أو وقف- أى لم‌يشك ولم يجزم أو يقرّ بصحّته-، فهو صاحب هوى) (۱)

وهذا الكلام لا يجوز أن يُقال إلّا فى حق كتاب الله تعالى، وهو برهان على تعصّبه لنفسه وإطراءه لها. وليس هذا من صفات أهل العلم، إنّما هو من صفات الحنابلة حملة الأسفار، أعداء العقول، ضيِّقو الأُفق، شديدو التطرّف قليلو الفهم. وهى من الصفات التى ورثها عنهم الوهابيّون والفرق المعاصرة.

ومن بين منشورات الوهابيّين، كتاب تحت عنوان (نقض عثمان بن سعيد الدارمى على المريسى الجهمى العنيد)، المتوفّى عام ۳۸۰ ه، وهو ردّ على مَن أسموهم بالجهميَّة وأنصار التأويل.

قال الدارمى فى مقدّمته: (أمّا بعد .. فقد عارض مذهبنا فى الإنكار على الجهمية ممَّن بين ظهريكم معارض، وانتدب لنا منهم مناقض، ينقض ما روينا فيهم عن رسول‌الله (ص) بتفاسير المضلّ المريسى، بشر بن غياث الجهمى، فكان من صنع الله لنا فى ذلك، اعتماد هذا المعارض على كلام بشر؛ إذ كان مشهوراً عند العامّة بأقبح الذكر، مُفتضحاً بضلالاته فى كل مصر، ليكون بذلك أعون لنا على المعارض عند الخلق، وأنجع فى قلوبهم لقبول الحق ومواضع الصدق.

۱- الرسالة السنة، ص ۵۸.

ص: ۶۵

والمريسى ومَن سمَّاهم الحنابلة بالجهمية، يقولون بالتأويل ويرفضون التجسيم والتشبيه، ويعتبرون هؤلاء الحنابلة حَشوية مُشبِّهة.

وأقوالهم منتشرة بين أغلبية المسلمين، كما أشار صاحب الردِّ فى مقدّمته، فهى تتوافق مع أقوال الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والشيعة فى كثير من الجوانب.

والحنابلة يحاولون من خلال منشوراتهم تشويه هذا الاتّجاه وتحريض المسلمين عليه، والحقّ أنَّ حربهم على هذا الاتّجاه- فى حقيقتها- هى حرب على أهل السنّة.

وقد تصدَّى الدارمى للمعارض المتبنّى لخطِّ المريسى بسرد عشرات الروايات التى تتعلَّق برؤية الله وتكليمه يوم القيامة، من قِبل المؤمنين ودون ترجمان. وروايات العرش، وغيرها من الروايات التى يعتمد عليها الحنابلة عادة فى مواجهة خصومهم.

ووضع باباً تحت عنوان: (الإيمان بأسماء الله وأنَّها غير مخلوقة)، رفض فيه بقوّة فكرة تأويل أسماء الله، التى نسبها للمعارض.

وقال: (مَن ادّعى أنَّ صفة من صفات الله تعالى مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر).

ووضع باباً عنوانه: (ادّعاء المعارض أنَّ الله لا يُدرَك بالحواس الخمس).

وباب تحت عنوان (النزول) قال فيه: (إنَّ المعارض أنكر

ص: ۶۶

حديث النزول، وادّعى أنَّ الله لا ينزل بنفسه، وإنّما ينزل أمره ورحمته، وهو على العرش بكلِّ مكان من غير زوال).

وكان ردّه هو: (وهذا من حُجج النساء والصبيان، ومَن ليس عنده بيان ولالمذهبه برهان؛ لأنَّ أمر الله ورحمته ينزل فى كل ساعة ووقت وأوان).

وكلامه هذا إشارة واضحة للتجسيم، وأنّ الله تعالى ينزل بجسمه من السماء.

واستنكر تأويل المعارض لصفات الله على تفسير بشر المريسى.

وقال فى باب الحدِّ والعرش: (وادَّعى المعارض أنَّه ليس لله حدّ ولاغاية ولانهاية، وهذا هو الأصل الذى بنى عليه (جهم) جميع ضلالاته، واشتقّ منها أُغلوطاته).

وهذه إشارة أيضاً إلى التجسيم؛ حيث يؤكّد تبنّيه فكرة الحدّ لله تعالى.

ونقل قول عبد الله بن المبارك: (مَن ادّعى أنَّه ليس لله حدّ فقد ردَّ القرآن، ومَن لايعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آياته).

وقال: (وقد اتَّفقت الكلمة، من المسلمين والكافرين، أنَّ الله فىالسماء وحدوده بذلك، إلّا المريسى الضالّوأصحابه، حتىالصبيان الذين لميبلغوا الحدث قدعرفوه بذلك).

وفى رسالة للدارقطنى، المتوفّى عام ۳۸۵ ه، تحت عنوان (الصفات)، روى فى باب ما جاء فى القدمين رواية تقول:

ص: ۶۷

(يلقى فى النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الله رجله أو قدمه فيها فتقول- أى النار-: قط قط.

وروى فيما جاء فى اليدين الروايات التالية:

(عرشه على الماء وبيده الأُخرى الميزان).

(أوّل ما خلق القلم فأخذه بيده اليمنى).

(كتب بيده على نفسه أن رحمتى سبقت غضبى).

(إنَّ الله يبسط يده).

وما جاء فى الأصابع روى:

(يحمل الخلائق على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، والخلائق كلّها على إصبع).

وروى بالإضافة إلى ذلك:

(ضحك الله .. ويتجلّى ربّنا ضاحكاً).

(الكرسى له أطيط كأطيط الرحل بالراكب، أو الرحل الجديد، إذا ركب من ثقله).

(خلق الله آدم على صورته، وطوله ستّون ذراعاً).

ونقل قول وكيع: (مَن رأيتموه ينكر هذه الأحاديث فاحسبوه، مع الجهمية).

وقول الزهرى: (سلِّموا للسنَّة ولاتعارضوها) (۱)

وهذه الرسالة التى نشرها الوهابيّون مؤخّراً إنّما تبنّوها لما فيها من روايات تدعم مذهبهم التجسيمى الذى يتبنّونه، إلّا أنَّ فقهاء أهل السنّة وإن كانوا لم يرفضوا هذه الروايات، إلّا

۱- انظر حديث رقم ۲، ۱۳، ۱۴، ۱۶، ۱۹، ۲۱، ۳۰، ۳۴، ۳۵، ۳۸، ۴۷، ۶۰ و ۶۸.

ص: ۶۸

أنّهم قاموا بتأويلها على وجه المجاز؛ الأمر الذى يرفضه الوهابيّون، سيراً مع نهج إمامهم ابن تيميّة؛ ممّا يؤكّد تبنّيهم للتجسيم، ومخالفتهم عقائد أهل السنّة.

ونشر الوهابيون رسالة فى (الاستواء والفوقية والحرف والصوت) لأبى محمد الجوينى، المتوفّى عام ۴۳۸ ه. يقول الجوينى فى رسالته:

(إنّنى كنت بُرهة من الزمن متحيّراً فى ثلاث مسائل:

مسألة الصفات.

ومسألة الفوقيّة.

ومسألة الحرف والصوت فى القرآن المجيد.

وكنت متحيّراً فى الأقوال المختلفة الموجودة فى كتب أهل العصر فى جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولاتعطيل ولاتشبيه ولاتمثيل؛ فأجد نصوص فى كتاب الله وسنّة رسوله (ص) ناطقة مُنبّئة بحقائق هذه الصفات، وكذلك فى إثبات العُلو والفوقية، وكذلك فى الحرف والصوت، ثُمَّ أجد المتأخّرين من المتكلّمين فى كتبهم منهم مَن تأوّل الاستواء بالقهر والاستيلاء، وتأوَّل النزول بنزول الأمر، وتأوَّل اليدين بالقُدرتين أو النعمتين، وتأوَّل القَدم بقدم صدق عند ربّهم، وأمثال ذلك .. ثُمَّ أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائماً بالذات، بلا حرف ولاصوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

ص: ۶۹

ومَن ذهب إلى هـذه الأقوال وبعضـها قوم لهم فى صـدرى منزلة، ولى فيهم الاعتقاد التامّ لفضـلهم وعلمهم، ثُمَّ إنَّنى مع ذلك أجد فى قلبى من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبى إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها، فكنت كالمتحيِّر المضطرب فى تحيّره، المُتململ من قلبه فى تقلّبه وتغيّره.

وكنت أخـاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاسـتواء والنزول؛ مخافـة الحصـر والتشبيه. ومع ذلك، فإذا طالعت النصوص الواردة فى كتاب الله وسـنَّة رسوله (ص)، أجـدها نصوصاً تُشـير إلى حقائق هـذه المعانى، وأجـد الرسول قد صـرَّح بها مُخبراً عن ربِّه، واصـفاً بها، وأعلم بالاضـطرار أنَّه كان يحضـر فى مجلسه الشريف العالم والجاهل، والزكى والبليد والأعرابى والجاف، ثُمَّ لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص التى كـان يصف ربّه بهـا، لا نصّاً ولاظاهراً، ممَّا يصـرفها عن حقائقها، ويؤوِّلها كما تأوَّلها هؤلاء مشايخى الفقهاء المتكلّمين، ولم أجـد عنه (ص) أنَّه كان يحـذِّر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه فى صـفته لـديه، من الفوقيّـة واليَدين وغيرها، ولم ينقل عنه مقالة تدلّ على أنَّ لهذه الصفات معان أُخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، مثل فوقية المرتَّبة، ويد النعمة والقدرة، وغير ذلك ..

وأجد الله عزَّ وجلّ يقول:

الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى

يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ

ص: ۷۰

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ

ثُمَّ أجد الرسول (ص) لمَّا أراد الله أن يخصّه بقربه، عرج به من سماء إلى سماء.

وفى الحديث الصحيح للجارية التى سألها الرسول أين الله؟!

فقالت: فى السماء، فلم يُنكر عليها بحضرة الصحابة، وقال: (أعتقها، فإنَّها مؤمنة).

وحديث: (إنّ الله فوق عرشه، فوق سماواته، فوق أرضه مثل القُبَّة، وأشار النبى بيده مثل القبَّة).

وحديث: (ارحموا مَن فى الأرض يرحمكم مَن فى السماء)).

قال: (إذا علمنا ذلك واعتقدناه، تخلّصنا من شبه التأويل وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علوّ ربّنا وفوقيّته واستواءه على عرشه، كما يليق بجلاله وعظمته، والحقّ واضح فى ذلك، والصدور تنشرح له؛ فإنّ التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف فى ذلك جهل وغَى، مع كون أنَّ الربَّ تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها. فوقوفنا على إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه فى تعريفنا إيّاها، فما وصف لنا نفسه بها إلّا لنُثبت ما وصف به نفسه لنا، ولانقف فى ذلك. وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة).

ص: ۷۱

ثُمَّ قال عن مسألة الحرف والصوت: (والتحقيق هو أنَّ الله تعالى قد تكلَّم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنَّه قادر، والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولاإلى لهوات، وكذلك له صوت كما يليق به يسمع، ولايفتقر ذلك الصوت المقدَّس إلى الحلق والحنجرة، ولايُنفى الحرف ولاالصوت عن كلامه سبحانه؛ لافتقارهما منّا إلى الجوارح واللهوات، فإنّهما من جانب الله تعالى لا يفتقران إلى ذلك) (۱)

وعلى الرغم من ذكر المؤلّف أنّ مسألة الحرف والصوت فى القرآن، لا نجد أثراً للنصوص القرآنية حول هذه المسألة فى رسالته!

وما يمكن قوله حول هذه الرسالة: هو أنَّ صاحبها يبدو أنّه واحد من الحنابلة المتخفّين فى زيِّ الشافعية الأشعرية، الذى يريد أن يصوّر لنا مدى التيه والحيرة التى عاشها مع أهل التأويل، وكيف أنَّ الله لطف به وكشف له عن وجه الحق، كشفاً اطمئنَّ إليه خاطره وسكن به سرّه، حسب تعبيره، فاتَّجه نحو مذهب الحقّ، مذهب الحنابلة المجسّمين والمشبّهين.

وكيف له أن يُثنى على شيوخه ومَن تتلمذ على أيديهم بقوله: (لهم فى صدرى منزلة، ولى فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم)، ثُمَّ يأتى ويتّهمهم بالحَمَق والجهالة؟!

أليست هذه هى لغة الحنابلة المتعصِّبين؟!

۱- ص ۲ و مابعدها وص ۱۹.

ص: ۷۲

والمُتمعّن فی هـذه الرسالة یجد أنَّ کاتبها لم‌یأتِ بشـیء جدید؛ فهو ردَّد الروایات التی یسـتند علیها الحنابلة، وقال بمقالتهم واسـتخدم لُغتهم، وهـذا وحـده لا یکفی مَن هو علی قـدره من العلم الذی اسـتقاه من هؤلاء الذین یعظّمهم، لیخرجه من الحیرة والاضـطراب، من اختلاف المذاهب والأقوال التی عاشها وعبَّر عنها.

وهذا دلیل آخر علی کونه من الحنابلة المتآمرین علی أهل العقل والتأویل.

وحوَت (رسالة الأربعین فی دلائل التوحید) لعبد الله الهروی، المتوفّی عام ۴۸۱ ه، الأبواب التالیة:

* باب فی إیجاب قبول صفات الله من کافة الخلق.

* باب فی الردِّ علی مَن رأی کتمان أحادیث صفات الله.

* باب فی بیان أنَّ الله شیء.

* باب فی بیان أنَّ الله شخص.

* باب فی بیان إثبات النفس لله.

* باب فی الدلیل علی أنَّ الله فی السماء.

* باب فی الدلیل علی أنَّ الله علی العرش.

* باب فی وضع الله قَدَمه علی الکرسی.

* باب فی إثبات الحدّ لله.

* باب فی إثبات الجهة لله.

* باب فی إثبات الوجه.

* باب فی إثبات الصورة.

ص: ۷۳

* باب فی إثبات العینین.

* باب فی إثبات الیدین.

* باب فی إثبات الخطّ لله.

* باب فی الأصابع.

* باب فی إثبات الضحک.

* باب فی إثبات القَدم.

* باب فی الدلیل علی أنَّ القَدَم هی الرجل.

* باب فی الهرولة لله.

* باب فی إثبات نزوله إلی السماء الدنیا.

* باب فی رؤیة النبی ربَّه لیلة المعراج بعینیه رؤیة الیقظة.

* باب فی رؤیة المؤمنین ربَّهم یوم القیامة عیانا.

وفی منشور آخر باسم (الحجَّة فی بیان المحجَّة) لأبی القاسم الأصبهانی، المتوفّی عام ۵۳۵ ه، وُضع فصل تحت عنوان: (فی ذکر مَن عاب الکلام وذمَّه من الأئمّة). ونقل قول مالک: إیَّاکم والبِدع.

فقیل: وما البدع؟

قال: أهل البدع الذین یتکلّمون فی أسماء الله وصفاته وکلامه وعلمه وقدرته، ولایسکتون عمّا سکت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وقول مالک هذا یعدّ حجّة علی الحنابلة والوهابیّین، الذین خاضوا فی أسماء الله وصفاته، وأشعلوا الحروب والمعارک

ص: ۷۴

بسببها، بل وكفّروا خصومهم على أساسها.

ووضع الأصبهانى فصلًا فى إثبات الرؤية.

وفصلًا آخر فى إثبات اليد والوجه لله تعالى.

وفصلًا فى التغليظ فى معارضة الحديث بالرأى والمعقول.

وفصلًا فى ذكر النظر فى الحديث والأثر، وما فيه من الخير والبركة.

ثُمَّ قال: (وما نعتقده أنَّ لله (عزّ وجلّ) عرشاً، وهو على العرش، والعرش مخلوق من ياقوت أحمر. ومَن قال العرش ملك، أو الكرسى ليس بالكرسى الذى يعرفه الناس، فهو مبتدع).

ووضع فصلًا فى بيان أنَّ الله يكلِّم عباده المؤمنين يوم القيامة.

وفصلًا فى الردِّ على الجهميَّة الذين أنكروا صفات الله حسب تصوّر الحنابلة، وسمّوا أهل السنَّة مُشبِّهة.

واستعرض رواية: خلق الله آدم على صورته ..

ورواية: نزول الله ..

ورواية: قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن.

وقال: (إنَّ الذين نفوا الصفات، أبطلوا ما أثبته الله تعالى، وإنَّ الذين تأوَّلوها خلاف الظاهر، خرجوا من ذلك إلى ضرب من التعطيل والتشبيه).

وختم كتابه بالفصول التالية:

* فصل فى أنَّ أهل الكلام ليسوا من العلماء.

ص: ۷۵

* فصل فی النهی عن مناظرة أهل البدع وجدالهم والاستماع إلیهم.

* فصل فی اجتناب البدع والأهواء.

ونشر الوهابیّون رسالة تحت عنوان: (الفتیا وجوابها فی ذکر الاعتقاد) لأبی العلاء الهمذانی، المتوفّی عام ۵۶۹ ه.

قال الهمذانی فی مقدّمته: (وإنّما الشکوی إلی الله تعالی من قوم إلی مذهب أحمد ینتمون، وبالسنّة یتوسّمون، ویدّعون التمسّک بقوله وفعله، ویقرُّون بفضله ونُبله، وهم مع ذلک یُخالفون نصوصه، ویطرحون عمومه وخصوصه، وجمیع ما یرد علیهم من السنّة الثابتة ینفرون ویجبنون منه، ویسلّطون علی ما جاء فی الصفات والأخبار والآیات ما سلّطه المتکلّمون من التأویل، ویسلکون فیه مسالک أهل الإلحاد والتعطیل.

فمن ذلک أنَّهم قالوا: إنَّ هذه الأحادیث الواردة فی الصفات، جمیعها، إنّما رواها حماد بن سلمة، وکان یُلقیها إلیه شیطان لیُضلّ بها أهل الحق، وما صحَّ منها من أخبار فهو أخبار آحاد، لا یوجب العمل ولایصحّ الاحتجاج به.

وإذا أریناهم کلام السلَف علیها قالوا هذا مذهب أهل الحدیث، ولایلزم الفقهاء الأخذ به، وما سمعوه من أحادیث الصفات، تأوَّلوه وصرفوه عن حقیقته أو ردُّوه.

ومن ذلک أنَّهم ینکرون إطلاق القول بأنَّ الله تعالی فی السماء.

وینکرون القول بأنَّ الله سبحانه فی جهة العلو.

ص: ۷۶

وعرضنا عليهم كتب السنَّة، ككتاب التوحيد لابن مندة، والحجَّة لأبى الفضل، فقالوا هذه صحف لا تنطق.

وكثير من أصحابنا يخالط أرباب الكلام والجدال، وينقل عنهم فظيع الأقوال).

وفى رسالة (إثبات صفة العُلو) قام ابن قدامه المقدسى، المتوفّى عام ۶۲۰ ه، بترتيب أبوابها كما يلى:

* باب ذكر الأحاديث الصريحة فى أنَّ الله تعالى فى السماء.

* باب ذكر الأخبار الواردة بأنَّ الله تعالى فوق عرشه.

* فصل فى أقوال الصحابة فى أنَّ الله فى السماء.

وروى ما يلى:

(إنَّ الله خلق سموات سبع، فاختار العُليا فسكنها. ما بين السماء القصوى وبين الكرسى خمسمئة سنة، وبين الكرسى والماء خمسمئة سنة، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش).

مَن أنكر أنَّ الله فى السماء فقد كفر.

قلت لابن المبارك: كيف نعرف ربَّنا؟

قال: فى السماء السابعة.

قال أبو عمر: أهل السنّة مُجمعون على الإقرار بالصفات، الواردة كلّها فى القرآن والسنّة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز.

وفى كتاب (اجتماع الجيوش الإسلاميّة على غزو المعطّلة

ص: ۷۷

والجهميّة) قال ابن القيم:

وقوله تعالى (ثُمَّ استوى على العرش) يتضمن إبطال قول المعطّلة والجهمية، الذين يقولون ليس على العرش شيء، وإنَّ الله ليس مستوياً على عرشه، ولاترفع إليه الأيدى، ولاينزل من عنده جبريل، ولاينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولايراه المؤمنون فى الدار الآخرة عياناً بأبصارهم، ولاتجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق).

ونقل قول ابن تيميّة: (وهذا كتاب الله من أوّله إلى آخره، وسنَّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمّة، مملوء ممَّا هو نص أو ظاهر فى أنَالله سبحانه وتعالى فوق كلّ شيء، وأنَّه فوق العرش فوق السموات السبع، مستوٍ على عرشه).

وروى عن الرسول (ص) قوله: (إنَّه لفوق سمائه على عرشه، وإنَّه لهكذا، وإنَّه ليئطّ به أطيط الرحل بالراكب) (۱)

وقال تحت عنوان: (باب ردّ ادّعائهم المجاز فى الاستواء): (أمّا ادّعاؤهم المجاز فى الاستواء، وقولهم فى تأويل (استوى) استولى، فلا معنى له، ومن حقّ الكلام أن يُحمل على حقيقته حتى تتّفق الأُمّة أنّه أُريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتّباع ما أنزل إلينا من ربّنا تعالى إلّا على ذلك، ولو ساغ ادّعاء المجاز لكلِّ مُدَّع، ما ثبت شيء من العبادات).

ونقل قول مالك القيروانى فى رسالته: (وأنَّه فوق عرشه

۱- ص ۴۵.

ص: ۷۸

المجيد بذاته). وذكر فى كتابه (المفرد فى السنّة): (تقرير العلوّ واستواء الربِّ تعالى على عرشه بذاته أتمّ تقرير، وأنَّ الله كلَّم موسى بذاته وأسمعه كلامه، وأنَّه فوق سمواته على عرشه دون أرضه).

وقول القاضى عبد الوهاب، إمام المالكية بالعراق: بأنَّ الله سبحانه استوى على عرشه بذاته. ونقل ابن تيميّة عنه هذا القول فى غير موضع من كتبه، ثُمَّ قال مُعلّقاً: (وكلّ ما قدّمت .. دليل واضح فى إبطال قول مَن قال بالمجاز فى الاستواء).

وجعل ابن القيّم فصلًا فى بيان أنَّ العرش فوق السموات، وأنَّ الله سبحانه وتعالى فوق العرش، وذكر أنَّ أبا الحسين العمرانى، صاحب البيان، له كتاب لطيف فى السنّة على مذهب أهل الحديث، صرَّح فيه بمسألة الفوقية والعُلو والاستواء حقيقة، وتكلَّم الله بهذا القرآن العربى المسموع بالآذان حقيقة.

وقال إنَّ الله سبحانه له قدماً؛ لقول النبى (ص) حتى يضع ربّ العزّة فيها قدمه، وأنّه يضحك ويهبط إلى سماء الدنيا، وأنّ له إصبعاً.

واحتج فى نهاية كتابه بأقوال الشعراء والجنّ وحمر الوحش.

وختم كتابه بروايةٍ عن عبد الله بن وهب تقول: (أكرموا البقر؛ فإنَّها لم ترفع رأسها إلى السماء منذ أن عُبد العجل؛

ص: ۷۹

حياءً من الله عزَّوجلّ) (۱)

ومن بين المنشورات الصارخة التى تؤكِّد التجسيم، والتى باركها الوهابيّون، نُونيَّة ابن القيم، المسمّاة ب (الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية)، وهى قصيدة موجّهة للجهمية وأنصار التأويل والمجاز، ويدعو فيها للتجسيم صراحة.

وقام واحد من الوهابيّين بشرحها تحت عنوان (توضيح المقاصد وتصحيح القواعد)، وهو أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المتوفّى عام ۱۳۲۹ ه.

قال الشارح فى مقدّمته: (المنظومة المشهورة فى الطريقة السنّية والعقيدة الحنيفيّة، المسمّاة بالكافية الشافية، لم‌ينُسج على منوالها، ولم تسمح الدهور بشكلها وأمثالها، وموضوعها المحاكمة بين الطوائف، وإثبات صفات البارى على رغم كلّ مُخالف).

ومن بين أبيات هذه المنظومة:

بل عطّلوا منه السموات العُلى والعرش أخلوه من الرحمن

ونفوا كلام الرب جل جلاله وقضوا له بالخلق والحدثان

قالوا وليس لربِّنا سمعٌ ولابصرٌ ولاوجهٌ فكيف يدان

وكذاك ليس لربِّنا من قدرةٍ وإرادة أو رحمة وحنان

كلا ولاوصف يقوم به ذات مُجرَّدة بغير مَعان

وحياته هى نفسه وكلامه هو غيره فاعجب لذا البهتان

وكذاك قالوا ما له من خلقه أحد يكون خليله النفسان

وخليله المحتاج عندهم وفى ذا الوصف يدخل عابد الأوثان

۱- صص ۱۱۲ و ۲۰۹ و مابعدها ..

ص: ۸۰

ولأجل ذا ضحّى بجعد خالد القسرى يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله كلّا ولاموسى الكليم الدان

شكر الضحيّة كل صاحب سُنَّة لله درّ من أخى قربان

وقضى بأنَّ الله ليس بفاعل فعلًا يقوم بلا برهان

بل فعله المفعول خارج ذاته كالوصف غير الذات فى الحُسبان

ولنا الأئمّة كالفلاسفة الأُلى لم يعبئوا أصلًا بذى الأديان

ما فيهم مَن قال إنَّ الله فوق العرش خارج هذه الأكوان

أمّا الذى قال إنَّ كلامه ذو أحرف قد رُتِّبت ببيان

وكلامه بمشيئة وإرادة كالفعل منه كلاهما سيّان

فهو الذى قد قال قولًا يعلم العقلاء صحّته بلا نكران

ولأىِّ شىء دائماً كفرتم أصحاب هذا القول بالعدوان

لا تنصرنّ سوى الحديث وأهله هم عسكر القرآن والإيمان

هذا وأصل بليّة الإسلام من تأويل ذى التحريف والبطلان

هذا الذى فرق السبعين بل زادت ثلاثاً قول ذى البرهان (۱)

وتبدو من خلال هذه الأبيات فكرة التجسيم بوضوح.

ومن الطريف أنَّ ابن القيّم الذى أنكر المجاز، سيراً على سنَّة إمامه ابن تيميّة، واعتبره طاغوتاً، وقع فى المجاز وقال به؛ حين أطلق على كتبه أسماءً مجازية (۲)

۱- صص ۵۰ و ۱۱۰ و ۲۴۲ وما بعدها ..

۲- مثل: كتابه الصواعق المرسلة، الذى جعل فيه فصلًا عنوانه فى كسر الطاغوت الثالث الذى وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات، وهو طاغوت المجاز. وتأمّل نسبة المجاز للجهمية مع كونه من حقائق اللغة وثوابتها، وهو ما يشير إلى تخبّط ابن القيّم، كما هو حال إمامه.

ص: ۸۱

وقد تصدَّى للردِّ على ابن القيّم فى قصيدته التجسيمية هذه العديد من الفقهاء، على مستوى الماضى والحاضر (۱)

أقوالُ ابن تيميّة

وتبنّى الوهابيّون تراث ابن تيميّة بالكامل، واعتبروه الفقيه الأوحد، وممثِّل السلَف والناطق الشرعى بلسانهم.

وهذه أكذوبة من أكاذيب الوهابية التى خدعوا بها المسلمين، فلم يكن ابن تيميّة ممثّلًا للسلف ولاناطقاً بلسانهم، ولم يكن سوى واحد من الفقهاء الشاذّين عن الإجماع وعقيدة الأمّة.

أمّا مخالفته الإجماع، فيتمثَّل فى العديـد من القضايا والمسائل الشاذّة التى قال بها وتبنّاها. وأمّا شذوذه عن عقيدة الأُمّة، فيتمثّل فى تبنّيه عقيدة التشبيه والتجسيم، وهو محور حديثنا هنا.

وتبنّى الوهابيّون لتراث ابن تيميّة، يعنى تبنّيهم لقضية التشبيه والتجسيم، التى طرحها خلال العديد من رسائله وأقواله وفتاويه.

والمسائل العقائديـة التى شـذّ بها ابن تيميّة، وأدّت إلى صدام الفقهاء معه وإعلان الحرب عليه، وصدور شتّى الأحكام عليه، تتركّز فيما يلى:

۱- انظر: السيف الصقيل فى الردِّ على ابن زفيل ابن القيم للسبكى، تحقيق: زاهد الكوثرى.

ص: ۸۲

* قوله بالجسميّة والجهة والانتقال لله تعالى.

* وقوله إنَّ الله يتكلَّم بصوت وحرف.

* وقوله الله بقَدر العرش.

* وقوله بإنكار المجاز.

* وقوله إنَّ الله سبحانه محلّ الحوادث.

* وقوله بفناء النار.

قال الحافظ وليّ الدين العراقي: (وأمّا الشيخ تقي الدين ابن تيميّة، كما قيل، علمه أكثر من عقله، فأدَّاه اجتهاده إلى خرق الإجماع في مسائل كثيرة، قيل إنَّها تبلغ ستين مسألة، فأخذته الألسنة بسبب ذلك، وتطرّق إليه اللوم، وامتُحن لهذا السبب، وأسرع علماء عصره في الردِّ عليه وتخطئته وتبديعه، ومات مسجوناً بسبب ذلك) (۱)

وقال ابن حجر الهيتمي: (ابن تيميّة عبدٌ خذله الله تعالى وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه، بذلك صرَّح الأئمّة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومَن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتَّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد، أبي الحسن السبكي، وولده التاج، والشيخ الإمام العزّ بن جماعة، وأهل عصرهم، وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية.

ولم يقصر اعتراضه على متأخّري الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب. والحاصل أنْ لا

۱- انظر: الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكّية.

ص: ۸۳

يُقام لكلامه وزن، بل يُرمى فى كل وعر، ويعتقد فيه أنَّه مبتدع ضالّ ومضلّ، جاهل غال، أجارنا الله من مثل طريقته وعقيدته) (۱)

وقال الذهبى: (وقد رأيتُ ما آلَ إليه أمره من الحطِّ عليه، والهجر والتضليل والتكفير، والتكذيب بحقّ وبباطل، فقد كان قبل أنْ يدخل فى هذه الصناعة الفلسفة- منوّراً مضيئاً، على محياه سيما السلف، ثُمَّ صار مظلماً مكشوفاً، عليه قُتمة عند خلائق من الناس، ودجَّالًا أفاكاً كافراً عند أعدائه.

يا رجل قد بلعت سموم الفلاسفة ومصنّفاتهم مرّات، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك، بل فى كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار) (۲)

وكان ابن تيميّة قد أنكر المجاز، وسار على قوله تلميذه ابن القيّم، وكلاهما أسرفا وبالغا فى استخدام لغة الحقيقة، حتى وقعا فى التجسيم.

يقول منصور عويس: (إنَّ إنكار ابن تيميّة للمجاز تقوّيه أنَّه مُشبِّه، وإنْ ادَّعى التنزيه، ومُجسِّم، وإنْ ادّعى التقديس، لأنَّ مفهوم مذهب السلف عند غيره لم يمنع التأويل الإجمالى، وإنْ سكت عن التأويل التفصيلى، أو بعبارة أُخرى، أنَّ غيره منع إسناد الظاهر الموهم للتشبيه، ثُمَّ فوَّض المعنى إلى الله تعالى.

۱- انظر: الفتاوى الحديثية، ص ۸۵ وما بعدها ..

۲- انظر: رسالته لابن تيميّة فى الإعلان بالتوبيخ لمَن ذمّ التاريخ للسخاوى. والذهبى كان من تلاميذ ابن تيميّة.

ص: ۸۴

ثُمَّ إنَّ هؤلاء المتمّسحين فی السلَف متناقضون؛ لأنَّهم يُثبتون تلك المتشابهات على حقائقها، ولاريب أنَّ حقائقها تستلزم الحدوث وأعراض الحدوث، كالجسمية والتجزّؤ والحركة والانتقال.

ولو أنصف هؤلاء، لسكتوا عن الآيات والأخبار المتشابهة، واكتفوا بتنزيه الله تعالى عمّا توهمه ظاهرها من الحدوث ولوازمه، ثُمَّ فوَّضوا الأمر فی تبيين معانيها إلى الله وحده، وبذلك يكونون سلفيّين حقّاً. لكنّها شبهات عرضت لهم فی هذا المقام، فشوَّشت حالهم، وبَلبَلت أفكارهم) (۱)

وهذا الكلام يقصد به: أنَّه لو كان ابن تيميّة، والوهابيّون الذين ساروا على سنّته، التزموا بعقيدة السلف، لأغنوا أنفسهم عن هذا التيه والبَلبَلَة والتلبيس، الذی ألحق الضرر بعقول المسلمين وفرَّق صفوفهم.

وقال الكوثری: (والحاصل أنَّ التفويض مع التنزيه مذهب جمهور السلَف، لانتفاء الضرورة فی عهدهم، والتأويل مع التنزيه مذهب جمهور الخلف، حيث عنی لهم ضرورة التأويل؛ لكثرة الساعين فی الإضلال فی زمنهم.

وليس بين الفريقين خلاف حقيقی؛ لأنَّ كليهما منزِّه، ومن أهل العلم مَن توسّط بين هؤلاء وهؤلاء.

وأمَّا المشبِّهة، فنراهم يقولون: نحن لا نؤوِّل، بل نحمل آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها، وهم فی قولهم هذا

۱- انظر: ابن تيميّة ليس سلفياً، الفصل الرابع، صص ۴۲ و ۵۸ و ۵۹.

ص: ۸۵

غير منتبهين إلى أنَّ استعمال اللفظ فى الله سبحانه بالمعنى المراد عند استعماله فى الخلق تشبيه صريح، وحمله على معنى سواه تأويل. على أنَّ الأخبار المحتّج بها فى الصفات إنّما هى فى الصحاح المشاهير دون الوحدان والمفاريد والمناكير، والمنقطعات والضعاف والموضوعات. مع أنَّهم يسوقونها جميعها فى مساق واحد، فى كتب يسمّونها: التوحيد، أو الصفات، أو السنَّة، أو العلو، ونحوها ..) (۱) ويعدُّ ابن تيميّة وأتباعه من الفريق الثالث، فريق المشبِّهة والمجسّمة.

وأشار الشيخ محمد أبو زهرة إلى أنَّ ابن تيميّة، فى تصويره لمذهب السلَف، يقول بظاهر النصوص القرآنية، وأنَّ تصويره فيه نظر. ثُمَّ استعرض كلام ابن تيميّة: ليس فى كتاب الله ولافى سنّة، ولاعن أحد من سلفِ الأمّة، ولامن الصحابة والتابعين، ولاعن الأئمّة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف، حرف واحد يخالف ذلك، ولانصّاً ظاهراً، ولم يقل أحد منهم إنَّ الله ليس فى السماء، ولاأنَّه ليس على العرش، ولاأنَّه فى كل مكان، ولاأنَّ جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولاأنَّه لا داخل العلم ولاخارجه، ولامتّصل ولامنفصل، ولاأنّه لا تجوز الإشارة الحسّية إليه بالأصابع ونحوها.

۱- انظر: مقدمة السيف الصقيل.

ص: ۸۶

وقال معلّقاً: (وعلى ذلك يقرّر ابن تيميّة أنَّ مذهب السلف هو إثبات كل ما جاء فى القرآن، من فوقية وتحتيّة واستواء على العرش، ووجه ويد ومحبَّة وبغض، وما جاء فى السنّة من ذلك أيضاً، من غير تأويل، وبالظاهر الحرفى.

فهل هذا هو مذهب السلف حقا؟!) (۱)

ونقول فى الإجابة عن ذلك: لقد سبقه بهذا الحنابلة فى القرن الرابع الهجرى، وادَّعوا أنَّ ذلك مذهب السلف، وناقشهم العلماء فى ذلك الوقت، وأثبتوا أنَّه يؤدِّى إلى التشبيه والجسمية لا محالة.

وكيف لا يؤدّى إليهما والإشارة الحسية إليه جائزة؟! ولذلك تصدَّى لهم الإمام الفقيه الخطيب الحنبلى ابن الجوزى، ونفى أن يكون ذلك مذهب السلف، ونفى أن يكون ذلك مذهب الإمام أحمد (۲)

قال ابن تيميّة: (وأمَّا التأويل المذموم والباطل، فهو تأويل أهل التحريف والبدع، الذين يتأوَّلونه ويدّعون صرف اللفظ عن‌مدلوله إلى غير مدلوله، بغير دليل يوجب ذلك، ويدَّعون أنَّ فى ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل، ويصرفونه إلى معانى هى نظير المعانى التى نفوها عنه، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإنْ كان الثابت حقاً ممكناً، كان المنفيّ مثله، وإنْ كان المنفى باطلًا ممتنعاً، كان

۱- انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية.

۲- انظر: دفع شبه التشبيه.

ص: ۸۷

الثابت مثله.

وهؤلاء الـذين ينفون التأويل مطلقاً، ويحتجّون بقوله تعالى (وما يعلم تأويله إلّا الله)، قد يظنّون إنّا خوطبنا فى القرآن بما لا يفهمه أحد، أو بما لا معنى له، أو بما لا يُفهم منه شىء، وهذا مع أنَّه باطل، فهو متناقض) (۱)

ويقول منصور عويس: (وابن تيميّـة قـد خـالف غيره فى تصوير مـذهب السـلف، حيث قـال بظاهر النصوص، ثُمَّ تناقض مع نفسه فقال: (وإجراؤهـا على ظاهرهـا، مع نفى الكيفيّـة والتشبيه عنهـا. أمّـا غيره فقـال: إنَّ الظـاهر الموهم للتشبيه غير مراده، ثُمَّ تفويض المعنى بعد ذلك إلى الله تعالى.

وابن تيميّـة يعـارض اتّجـاه التأويـل- بحسب طريقته هـو-؛ وذلـك أنَّه ينفى أن يكون فى ظـاهر اللفـظ محـذوراً، كمـا يعـارض اتّجـاه التفويض لله تعـالى، من حيث تحديـد المعنى الخاص بالنص- بحسب طريقته أيضاً-؛ وذلك أنّه ينفى أن يكون فى القرآن مالا يفهمه أحد).

وقال: (فابن تيميّة، باعتبار تصويره لمذهب السلف، يُعتبَر غير سلَفى، باعتبار فهم غيره فى تصوير مذهب السلف).

وعلى كلٍّ، فهل ابن تيميّـة التزم المنهـج الـذى حـدَّده فى تصويره مـذهب السـلف، حتى يمكن القول بأنَّه سـلفى متناسق الرأى، أم أنَّه حائد عن مذهب السلف، سواء كان بالنسبة لتصويره هو، أو تصوير غيره لمذهب السلف؟!

۱- انظر: الرسالة التدمرية ونقض التدمرية لسعيد فوده.

ص: ۸۸

والواقع أنَّ ابن تيميّة ليس سلفياً فی کلا الأمرين، والتطبيق العملی لکلامه يؤکِّد ذلک (۱)

ومجموع فتاوی ابن تيميّة التی وصلت إلی سبع وثلاثين مجلداً تمَّ طبعها من قِبل الوهابيّين، وعلی نفقة خادم الحرمين، ووزِّعت مجّاناً علی العديد من المؤسّسات والرموز الإسلامية، وتحمَّست لنشرها، بدعم من الوهابيّين، العديد من دور النشر السلفيّة، التی تسير فی رکاب الوهابيّين.

وقد حوَت هذه الفتاوی العديد من النصوص التی تؤکّد التجسيم والتشبيه، وإثبات الجِهة والتحيّز لله سبحانه، وقيام الحوادث به، تعالی عن ذلک علوّاً کبيراً.

قال ابن تيميّة فی الفتاوی: (ولانريد بالتحيّز أن يکون قد أحاط به، بل نريد بالتحيّز الذی فی الجهة أن يکون بحيث يُشار إليه بالحسّ، إنَّه هاهنا أو هناک. ولاريب أنَّ ما کان فوق العالم، فلابدّ أن يُشار إليه بأنّه هناک، وهذا هو القول بالتحيّز والجهة عندنا) (۲)

وقال: (وليس فی شیء من ذلک- أی فی الآيات والأحاديث والمأثور- نفی الجهة والتحيّز عن الله، ولاوصفه بما يستلزم لزوم ما بيَّناه بعد ذلک) (۳)

وعدَّ الخارجين عن رأيه خارجين عن الدِّين، وقال: (... إنَّ هذا الکلام ليس من دين الله، ولامن الإيمان، ولامن سبيل

۱- ابن تيميّة ليس سلفيّاً، الفصل الثانی، صص ۲۵ و ۲۶.

۲- انظر: الفتاوی، ابن تيميّة، ج ۵، ص ۲۶۴.

۳- المرجع السابق، ص ۲۷۸.

ص: ۸۹

المؤمنين، ولامن طاعـة الله ورسوله، وإذا كان كذلك، فمَن التزمَ اعتقاده فقد جعله من الإيمان والدِّين، وذلك تبديل للدين، كما بدَّله اليهود والنصارى ومبتدعة هذه الأمَّة) (۱)

وقال: (فيُقال لمَن نفى: أتريد بالجهة ما وراء العلم؟

فلا ريب أنَّ الله فوق العالم، مُباين لمخلوقاته.

وكذلك يُقال لمَن قال (الله فى جهة): أتريد بذلك أنَّ الله فوق العالم ..

أو تريد به أنَّ الله داخل فى كل شىء من المخلوقات؟

فإنْ أردت الأُولى فهو حق.

وإنْ أردت الثانية فهو باطل) (۲)

وقال: (فهذا كلّه وما أشبهه، شواهد ودلائل على الحدّ، ومَن لم‌يعترف به، فقد كفر بتنزيل الله وجحد آياته) (۳)

وقـال: (مَن زعم أنَّ الرحمن على العرش اسـتوى خلاـف مـا يقرّ فى نفوس العامّـة، فهو جهمىّ، فـإنَّ الـذى أقرَّه الله تعـالى وفطر عبـاده وجبلهم عليه، أنَّ ربّهم فوق سماواته) (۴)

وقـال: (ولو قـد شاء- أى الله سـبحانه لاسـتقرَّ على ظهر بعوضـة، فاسـتقلّت به بقـدرته ولطف ربوبيّته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض؟!) (۵)

۱- المرجع السابق، ص ۱۸.

۲- المرجع السابق.

۳- المرجع السـابق، ج ۳، ص ۴۲؛ وانظر: الرسالـة التدمريـة، فصـل تنازع الناس فى الجهـة والتحيّز؛ وانظر أيضاً: رسالـة فى نفى الجهة للكلابى.

۴- المرجع السابق، ج ۵، ص ۱۲۷.

۵- المرجع السابق، ج ۵، ص ۱۲۷.

ص: ۹۰

وقال: (الكلام فی وصف الله بالجسم نفیاً وإثباتاً بدعة، لم‌یقل بها أحد من سلفِ الأمّة وأئمّتها؛ إنَّ الله لیس بجسم، کما لم‌یقولوا إنَّ الله جسم) (۱)

وقال: (وأمَّا قولک لیس مرکّباً، فإن أردت به أنَّه سبحانه رکَّبه مرکِّب، وکان متفرّقاً فترکَّب، وأنَّه یجب تفرّقه وانفصاله، فالله تعالی منزَّه عن ذلک) (۲)

وقال منصور عویس معلّقاً: فمن هذا النص نری أنَّ ما ینفیه فی الترکیب بالنسبة لله تعالی لیس ذات الترکیب، وإنّما ینفی أن یرکِّبه مرکِّب، کما ینفی أنَّه کان متفرّقاً فترکَّب. فمعنی هذا أنَّ ما یثبته هو الترکیب الذی لم‌یسبق تفرّقه، کما یشیر النص إلی أنَّه لا یمکن تفرّقه وانفصاله (۳)

ونقل کلام أبو بکر بن الخلال: (إنَّ أبا عبد الله سُئل عمَّن زعم أنَّ الله لم‌یتکلَّم بصوت.

قال: بلی، تکلَّم بصوت، وهذه الأحادیث کما جاءت نرویها، لکلِّ حدیث وجهة) (۴)

وروی عن المروزی، قال: (سمعت أبا عبد الله وقیل له: إنَّ عبد الوهاب قد تکلّم وقال: مَن زعم أنَّ الله کلّم موسی بلا صوت فهو جهمی، عدّو الله وعدّو الإسلام.

۱- المرجع السابق، ج ۵، ص ۱۹۲.

۲- انظر: بیان تلبیس الجهمیة، ج ۱، ص ۲۶۸.

۳- ابن تیمیّة لیس سلفیاً.

۴- موافقة صحیح المنقول، ج ۲، ص ۲۹. وقد ردَّ الذهبی کلام ابن تیمیّة هذا فی سیر أعلام النبلاء، ج ۱۶، ص ۹۷.

ص: ۹۱

فتبسَّم أبو عبد الله وقال: (ما أحسن ما قاله، عافاه الله) (۱)

وقال ابن تيميّة: (إنَّ الله تعالى متكلّم بصوت، كما جاءت الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد) (۲)

وقد اعترف الوهّابى المصرى خليل هراس، أنَّ ابن تيميّة يرى أنَّ الله يتكلّم بحرف وصوت، تكلُّم القرآن العربى بألفاظه ومعانيه، بصوت نفسه، كما تكلَّم بالتوراة العبرية كذلك (۳)

وقال الدارقطنى: (الصوت ليس بصفة لكلام الله تعالى، وإنّما هو صفة للمنادى الذى يأمره الله تعالى بالنداء يوم القيامة، وأنَّ كل ما أُضيف إلى الله تعالى لا يجب أن يكون صفة له، ومَن زعم هذا فقد كفر وأشرك) (۴)

ووضع الباقلانى فصلًا تحت عنوان: (الردّ على مَن زعم اتّصال كلام الله بالصوت) (۵)

وقال ابن تيميّة: (والنُفاة متَّفقون على أنَّ ظواهر النصوص تجسيم عندهم، وليس عندهم بالنفى نصّ، فهم معترفون بأنَّ قولهم هو البدعة، وقول منازعيهم أقرب إلى السنّة.

وأمّا ذكر التجسيم وذمّ المجسّمة، فهو لا يُعرف فى كلام أحد من السلف والأئمّة، كما لا يُعرف فى كلامهم أيضاً القول

۱- الفتاوى، ج ۵، ص ۱۲۷.

۲- انظر: شرح الأصفهانية.

۳- انظر: ابن تيميّة السلفى.

۴- انظر: موسوعة أقوال الدارقطنى، ج ۱، ص ۵۰.

۵- انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل للباقلانى: ج ۱، ص ۱۸۳.

ص: ۹۲

بأنّ الله جسم أو ليس بجسم، بل ذكروا فى كلامهم الذى أنكروه على الجهمية نفى التجسيم) (۱)

وقال: (ليس فى كتاب الله ولافى سنّة رسوله، ولاعن أحد من سلف الأمّة، ولامن الصحابة والتابعين، ولامن الأئمّة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف؛ حرف واحد يخالف ذلك، ولانصّاً ظاهراً، ولم يقل أحد منهم أنّ الله ليس فى السماء، ولاأنّه ليس على العرش، ولاأنّه فى كل مكان) (۲)

وقال: (فاسم المشبّهة ليس له ذكر بذم فى الكتاب والسنّة، ولاكلام أحد من الصحابة والتابعين) (۳)

ونقل قول عثمان بن سعيد وغيره: (إنَّ الحركة من لوازم الحياة، فكل حى متحرّك. وجعلوا نفى هذا من أقوال الجهميّة، نُفاة الصفات الذين اتّفق السلَف والأئمّة على تضليلهم وتبديعهم) (۴)

وحول قيام الحوادث بالله تعالى، قال: (لهذا كان كثير من المسلمين، كالكلابين ومَن وافقهم، يقولون بإثبات الصفات للواجب، دون قيام الحوادث به، فإذا لم‌يكن لكم حجَّة على نفى قيام الحوادث به، إلَّا ما هو حجّة لكم على نفى الصفات، كانت الأدلّة الدالّة على بطلان قولكم كثيرة جداً) (۵)

۱- انظر: درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: ج ۱، ص ۲۴۹.

۲- انظر: الحموية الكبرى.

۳- انظر: بيان تلبيس الجهمية أو نقض أساس التقديس، ج ۱، ص ۱۰۹.

۴- موافقة صحيح المنقول.

۵- درء تعارض العقل والنقل، تقى الدين أحمد بن عبدالسلام بن عبدالحليم بن تيمية، ج ۱، ص ۳۵۵.

ص: ۹۳

وقال: (المُثبتون السمعيات الكثيرة المتواترة بخلاف النُفاة، فإنّه ليس معهم شيء من السمع، وإنّما يدّعون قيام الدليل العقلى على امتناع قيام الحوادث به) (۱)

وقال: (وقد احتجَّ أهل الحق على امتناع قيام الحوادث به، بحُجج ضعيفة) (۲)

وقال: (وقالت الطائفة الثالثة ممَّن سلك مسلك أُولئك المتكلّمين: بل نقول إنَّه يتكلّم بمشيئته وقدرته، كلاماً قائماً بذاته، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنّة، وإجماع السلف والأئمّة. وإن لزم من ذلك قيام الحوادث به، فلا محذور فى ذلك شرعاً ولاعقلًا، بل لازم لجميع طوائف العقلاء، وعليه دلَّت النصوص الكثيرة، وأقوال السلف والأئمّة. ونقول: إنَّه يتكلّم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربى، وإنَّه نادى موسى بصوت سمعه موسى، كما دلَّت على ذلك النصوص وأقوال السلف) (۳)

وقال: (فلا يجوز أن يُنفى قيام الحوادث بذاته؛ لعدم ما يثبت ذلك) (۴)

وقال: (وهو أنَّه لم‌يزل متكلّماً بحروف متعاقبة لا مجتمعة، وهذا يستلزم قيام الحوادث به، فمَن قال بهذا، لم‌يكن تناقض

۱- المرجع السابق، ج ۲، ص ۲۱۸.

۲- المرجع السابق، ج ۴، ص ۵۷.

۳- الفتاوى، ج ۹، ص ۲۸۴، و انظر ج ۱۲، ص ۴۴.

۴- درء تعارض العقل والنقل، ج ۴، ص ۶۰.

ص: ۹۴

الكراميهٔ حجَّهٔ عليه، ولم يلزم من بطلان قولهم بطلان هذا الأصل) (۱)

وقول ابن تيميّهٔ بقيام الحوادث بالله تعالى وبذاته قالت به الكراميهٔ، ويظهر أنَّه نقله منهم.

وقال: (وتجد كثيراً من متكلّمهٔ أهل الحديث، كأبى الحسن ابن الزاغونى، وأبى بكر ابن العربى، يحكون الإجماع على امتناع قيام الحوادث به، وهذه من جملهٔ الإجماعات التى يطلقها مَن يطلقها حسب ما ظنّه) (۲)

وقال: (إنّ كثيراً من نُفاهٔ الصفات، المعتزلهٔ وغيرهم، يجعلون مثل هذا حجَّهٔ فى نفى قيام الصفات، أو قيام الحوادث به مطلقاً، وهو غلط منهم (۳)

واعترف مصنّفوهم أنّه لا يقوم لهم دليل عقلى، بل ولاسمعى، على نفى قيام الحوادث به، إلّا ما ينفى الصفات مطلقاً، وذلك فى غايهٔ السوء) (۴)

وقال فى مواجههٔ المعارضين:

(ولاأقمتم حجَّهٔ على استحالهٔ قيام الحوادث ..

بطل الاستدلال على امتناع قيام الحوادث ...

إنَّه لا حجّهٔ على امتناع قيام الحوادث بالربِّ) (۵)

۱- المرجع السابق، ص ۱۲۷.

۲- المرجع السابق، ج ۸، ص ۹۸.

۳- منهاج السنهٔ، احمد بن عبدالحليم بن تيميهٔ الحرانى أبوالعباس، ج ۲، ص ۲۸۱.

۴- المرجع السابق، ص ۳۵۹.

۵- الفتاوى، ج ۵، ص ۲۳۸.

ص: ۹۵

وقال: (فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالربّ، قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذى دلَّ عليه العقل والشرع.

فإذا قالوا لنا: هذا يستلزم منه أن تكون الحوادث قامت به ..

قلنا: ومَن أنكر هذا قبلكم من السلَف والأئمّة؟!

ونصوص القرآن والسنّة تتضمّن ذلك مع صريح العقل، وهو قول لازم لجميع الطوائف، ومَن أنكره فلم يعرف لوازمه وملزوماته) (۱)

أمّا موقف فقهاء أهل السنّة ممّا سبق طرحه من كلام ابن تيميّة، فهو ما يلى:

قال القرطبى: (قوله تعالى ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ .. هذه مسألة الاستواء وللعلماء فيها كلام وإجراء، وقد بيَّنا أقوال العلماء فيها فى (الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى)، وذكرنا فيه هناك أربعة عشر قولًا.

والأكثر من المتقدّمين والمتأخّرين أنّه إذا وجب تنزيه البارى سبحانه من الجهة والتحيّز، فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه، عند عامّة العلماء المتقدّمين وقادتهم من المتأخّرين، تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم؛ لأنّه يلزم من ذلك- عندهم- متى اختصّ بجهة، أن يكون فى مكان أو حيّز، ويلزم على المكان والحيّز الحركة والسكون للمتحيّز، والتغيّر والحدوث، هذا قول المتكلّمين. وقد كان السلف الأوّل لا يقولون بنفى الجهة ولاينطقون بذلك، بل

۱- منهاج السنة، ج ۱، ص ۲.

ص: ۹۶

نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه وأخبرت رُسله. ولم ينكر أحد من السلف أنَّه استوى على عرشه حقيقة، وخُصّ العرش بذلك لأنّه أعظم مخلوقاته، وإنّما جهلوا كيفية الاستواء، فإنّه لا يعلم حقيقته.

قال مالك: الاستواء معلوم- يعنى فى اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة، وكذا قالت أم سلمة) (۱)

وقال البيهقى عن العرش والاستواء: (اتَّفقت أقاويل هذا التفسير على أنَّ العرش هو السرير، وأنّه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله، وتعبُّدهم بتعظيمه والطواف به.

وقال بعض أهل السنّة: معناه ارتفع، وبعضهم: معناه علا، وبعضهم: معناه المُلك والقدرة.

وأمّا تفسير (استوى)/ (عَلا) فهو صحيح، وهو المذهب الحق، وقول أهل السنَّة) (۲)

وقال ابن حنبل: (هو العُلو والارتفاع، ولم يزل الله تعالى عالياً مرتفعاً مثل قبل أنْ يخلق عرشه، فهو فوق كل شىء، والعالى على كل شىء، وإنّما خصَّ العرش؛ لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء وأرفعها، فامتدح الله نفسه بأنَّه على العرش استوى، أى عليه علا، ولايجوز أن يُقال استوى بمُماسَّة ولابملاقاة، تعالى الله عن ذلك علوَّاً كبيراً.

۱- تفسير القرطبى: ج ۷، ص ۲۱۹، والقرطبى توفّى فى عام ۶۷۱ ه.

۲- انظر: الأسماء والصفات، ج ۲، ص ۳۷۵، باب ما جاء فى العرش والكرسى.

ص: ۹۷

والله تعالى لم‌يلحقه تغيّر ولاتبدّل، ولاتلحقه الحدود، قبل خلق العرش ولابعد خلق العرش) (۱)

وقال الجوينى: (فإنَّ الحوادث لاـ تقوم إلّا بحادث، وبطل قيام كلامه بجسم؛ إذ يلزم أن يكون المتكلّم جسم. وخالف إجماع الأُمّة طائفة نبغوا من سجستان ولُقّبوا بالكرامية، وزعموا أنّ الحوادث تطرأ على ذات البارى، تعالى عن قولهم، وهذا نصّ مذهب المجوس).

قال الجوينى: (والدليل على استحالة قيام الحوادث بذات البارى تعالى، أنَّها لو قامت به، لم‌يخل عنها، وما لم‌يخل عن الحوادث حادث) (۲)

وابن تيميّة، الذى كانت سنّته نسبة خصومه إلى الفرق الضالّة والديانات الأُخرى، وقع فيما اتّهم به الآخرين، وتبنّى معتقد خصومه، أو خصوم أهل السنّة حسب تصوّره؛ تبنّى القول بفناء النار، وهو قول جهم بن صفوان، وقيام الحوادث بالله تعالى، وهو قول الكرامية، والأدهى والأمَر أنَّ معتقد قيام الحوادث بالله يقول به المجوس أيضاً!

والأغرب من ذلك أنَّ ابن تيميّة أثنى على الكرامية المتَّهمين بالتجسيم ومدحهم، وهم المكفَّرين من قِبل أهل السنّة (۳). والسؤال هنا هو: ما موقف الوهابيّين من هذه

۱- انظر: العقيدة، أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى، ج ۱، ص ۱۰۸.

۲- لمع الأدلّة فى قواعد أهل السنّة: باب نقض فكرة قيام الحوادث بذات البارى تعالى، ج ۱/ ۱۰۲. والجوينى الأشعرى توفّى فى عام ۴۷۸ ه.

۳- انظر: منهاج السنة، ج ۱، صص ۱۴۳، ۱۵۶ و ۱۸۰ و قد ربط أقوال الكرامية بأقوال أهل السنة.

ص: ۹۸

الإشكالية التى أوقعهم فيها ابن تيميّة؟

قال أبو سعيد النيسابورى: (وإذا ثبت كلام النفس، وبطل أن يكون الكلام بمعنى الفعل، فقد ثبت كونه تعالى متكلِّما، فلابدّ وأن يكون كلامه قديماً؛ لأنَّه لا يجوز قيام الحوادث بذاته) (۱)

وقال أبو الفتح الشهرستانى: (وممّا أوجب التشبيه؛ قيام الحوادث بذاته، وقد ذهبت الكرامية إلى جواز ذلك) (۲)

وقال الرازى: (إنَّ قيام الحوادث بذات الله تعالى محال؛ لأنَّ تلك الذات وإن كانت كافية فى وجود تلك الصفة أو دوام عدمها، لزم دوام وجود تلك الصفة أو دوام عدمها بدوام تلك الذات، وإن لم‌تكن كافية فيه، فحينئذ تكون تلك الذات واجبة الاتّصاف بوجود تلك الصفة أو عدمها، وذلك الوجود والعدم يكونان موقوفين على شىء منفصل، والموقوف على الموقوف على الغير موقوف على الغير، والموقوف على الغير ممكن لذاته؛ ينتج أنَّ الواجب لذاته ممكن لذاته، وهو محال) (۳)

وقال الخطيب الرازى: (إنَّه يستحيل قيام الحوادث بذات الله تعالى، خلافاً للكرامية، والدليل عليه أنَّ كل ما كان قابلًا

۱- انظر: الغنية فى أصول الدين، ج ۱، ص ۶۸. والنيسابورى توفّى عام ۴۷۸ ه.

۲- انظر: نهاية الإقدام فى علم الكلام، ج ۱، ص ۶۹. والشهرستانى توفّى عام ۵۴۸ ه.

۳- انظر: مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، ج ۱، ص ۱۱۳. والرازى شافعى المذهب وتوفّى عام ۶۰۴.

ص: ۹۹

للحوادث، فإنَّه يستحيل خلوّه عن الحوادث، وكل ما كان يمتنع خلوّه عن الحوادث، فهو حادث، ينتج: أنّ كل ما كان قابلًا للحوادث، فإنّه يكون حادثاً.

عند هذا نقول: الأجسام قابلة للحوادث، فيجب كونها حادثة.

ونقول أيضاً: إنَّ الله تعالى يمتنع أن يكون حادثاً، فوجب أن يمتنع كونه قابلًا للحوادث) (۱)

قال ابن تيميّة: (والآمدى قدح فى الطرق التى اعتمد عليها الرازى كلها، والمقصود هنا ذكر طعن الآمدى فى حُجج نفسه التى احتجّ بها على نفى كونه جسماً، ونفى قيام الحوادث به) (۲)

وقال ابن عابدين فى حاشيته: (وكذا المشبّهة فى الصفات، هم الذين يجوّزون قيام الحوادث به تعالى، فيجعلون بعض صفاته حادثة كصفات الحوادث) (۳)

وقال ابن حجر حول حديث (كان الله ولاشىء معه): (وهو أصرح فى الردِّ على مَن أثبت حوادث لا أوّل لها من رواية

۱- انظر: معالم أصول الدين، ج ۱، ص ۴۹. والرازى الخطيب توفّى عام ۶۰۶ ه.

وللتوسّع فى هذا الأمر أنظر: غاية المرام فى علم الكلام للآمدى، المتوفّى عام ۶۳۱ ه؛ والفتوحات المكّية لابن عربى، المتوفّى عام ۶۳۸ ه، على خلاف فى سنة وفاته؛ والمواقف للآبجى، المتوفَّى عام ۷۵۶ ه؛ وشرح المقاصد فى علم الكلام للتفتازانى، المتوفّى عام ۷۹۱ ه؛ وشفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لشمس الدين الزرعى، المتوفّى عام ۷۵۱ ه.

۲- انظر: درء تعارض العقل والنقل، ج ۴، ص ۲۶۸.

۳- انظر: ردّ المحتار على الدرّ المختار- شرح تنوير الأبصار. وابن عابدين توفّى عام ۱۲۵۲ ه.

ص: ۱۰۰

الباب، وهی من مستشنَع المسائل المنسوبة لابن تیمیّة، ووقعت فی کلام له علی هذا الحدیث، یرجّح الروایة التی فی هذا الباب علی غیرها، مع أنّ قضیة الجمع بین الروایتین تقتضی حمل هذه علی التی فی بدء الخلق (أوّل شیء خلقهالله القلم) لا العکس، والجمع یُقدَّم علی الترجیح بالاتّفاق) (۱)

ویُثبت حفید ابن عبد الوهاب تبنّی الوهابیّون لقیام الحوادث به تعالی، بقوله: قلتُ، ومعنی قیام الحوادث به تعالی قدرته علیها وإیجاده لها، بمشیئته وأمره (۲)

ویثبتها أیضاً شارح نونیَّة ابن القیّم بقوله: (والقائلون بأنَّ الخلق هو المخلوق، فرّوا من قیام الحوادث بالربّ تعالی) (۳)

وقال ابن تیمیّة- بالإضافة إلی ما سبق- بفناء النار، ممّا أدّی إلی ثورة فقهاء أهل السنّة علیه، وعلی رأسهم السبکی، الذی قال: (فإنَّ اعتقاد المسلمین أنَّ الجنّة والنار لاتفنیان. وقد نقل أبو محمد بن حزم الإجماع علی ذلک، وأنَّ مَن خالفه کافر بالإجماع. ولاشکّ فی ذلک؛ فإنّه معلوم من الدین بالضرورة) (۴)

ونقل البخاری: (کفرت الجهمیّة فی غیر موضع من کتاب

۱- انظر: فتح الباری، ج ۱۳، ص ۴۱۰، کتاب التوحید، ج ۲، ص ۳۵۴.

۲- انظر: شرح کتاب التوحید لسلیمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ج ۱، ص ۶۴۵. المتوفّی عام ۱۲۳۳ ه.

۳- انظر: شرح منظومة ابن القیّم، ج ۱، ص ۳۴۸.

۴- انظر: مقدّمة المواعظ؛ والاعتبار ببقاء الجنّة والنّار.

ص: ۱۰۱

الله؛ لقولهم إنَّ الجنـة تفنى، فمَن قال إنَّها تنفذ، فقد كفر، ومَن قال إنَّها لا تدوم، فقد كفر، ومَن قال إنَّها لا تنقطع، فقد كفر، وقد أبلغوا أنَّهم كفّار، وأنَّ نساءهم طوالق) (۱)

وقال أبو القاسم الأصبهانى: (مَن قال الجنّة والنار كُتب عليهما الفناء، فقد كفر) (۲)

وقـال الملطى: (ومنهم صـنف زعموا أنَّ الجنّـة والنار لم‌يخلقهما الله بعـد، وأنّهما تفنيان بعـد خلقهما، تعالى الله عّما يقولون علوّاً كبيراً) (۳)

ويظهر لنا من خلال ما سـبق أنَّ مجمل الردود على ابن تيميّـة، والمحاكمات التى جرت له من قِبل فقهاء أهل السـنّة، تـدلّ دلالة قاطعة على شذوذه وانحرافه عن منهجهم وعقائدهم، وهو ما يسـحب منه الصـفة الشـرعية فى التحدّث بلسانهم ولسان السلَف، وينفى من جهة أُخرى فكرة تعلّقـه بالإجمـاع (۴)، وهـو يقطـع الطريق على الوهـابيّين الـذين جعلوه إمـامهم، ويضـعهم فى دائرة المشـبِّهة والمجسِّمـة، ويسحب بساط أهل السنّة من تحت أرجلهم.

ويبدو لنا من كثرة المنشورات الوهابية التى تصدر فى الردِّ على الخصوم، فيما يتعلَّق بمسألة الصفات، أنَّ الهجمة عاتية

۱- انظر: خلق أفعال العباد؛ وكذلك: حكم ابن حنبل فى السنّة، ج ۱/ ۳۲.

۲- انظر: الحجّة فى بيان المحجّة، ج ۱، ص ۲۵۱. والأصبهانى توفّى عام ۵۲۵ ه.

۳- انظر: التنبيه والردّ على أهل الهواء والبدع، ج ۱، ص ۹۸. والملطى الشافعى توفّى عام ۳۷۷ ه؛ وانظر: رفع الأستار لإبطال أدلّة القائلين بفناء النار للصنعانى: المتوفّى عام ۱۱۸۳ ه.

۴- انظر: نماذج من هذه الردود فى ملاحق الكتاب.

ص: ۱۰۲

وشديدة عليهم من قِبل فقهاء أهل السنّة.

وهناك معارك مستمرة بين الوهابيّين المعاصرين وخصومهم بسبب قضية التجسيم والتشبيه؛ نتجت عنها العديد من المنشورات، التى تؤكّد لنا ثباتهم على هذا المعتقد (۱)

ويبدو أنَّ أحد الوهابيّين المعاصرين أحس بتخبّط ابن تيميّة ومدى انحرافه عن عقيدة أهل السنّة، فأعلن صراحة نقده لمعتقداته ورفضه لها؛ وهو ما يكشف لنا مدى الأزمة التى يعيشها الوهابيّون بسبب تبنّيهم لأفكار ابن تيميّة ومعتقداته، حول التجسيم والتشبيه وقضايا أُخرى (۲)

وكان الألبانى المحدِّث الوهابى المعاصر قد ردَّ على ابن تيميّة فى مسألة قيام الحوادث بالله تعالى، فى معرض شرحه لحديث (إنّ أوَّل شئ خلقه الله القلم)، وقال:

(لقد أطال ابن تيميّة الكلام فى ردِّه على الفلاسفة،

۱- انظر: منهج ودراسات فى الأسماء والصفات للشنقيطى؛ وعقيدة أهل الإيمان فى خلق آدم على صورة الرحمن للتويجرى؛ وشرح ابن عثيمين تلميذ ابن باز للمعة الاعتقاد لابن قدامه الحنبلى، والتى قال فيها عن الاستواء: هو استواء حقيقى، معناه العلو والاستقرار، وانظر قوله فى عقيدة أهل السنّة والجماعة: ونؤمن أنّ الله على على خلقه بذاته وصفاته، واستواءه على العرش علوّه عليه بذاته، ونؤمن بأنّ الله مع خلقه على العرش، ونؤمن بأنّ لله تعالى عينين حقيقيّتين؛ وانظر: رسالة القول المختار لبيان فناء النار، التى تدافع عن ابن تيميّة.

۲- مثل قضية الجهاد، والتصادم مع الحكام، والواقائع التى قامت على أساس فتاوى ابن تيميّة. وقد تراجع قطاع كبير من الوهابيين عن فكرة العنف ومقاتلة مُعطّلى الشرائع، والتزموا بطاعة أُولى الأمر، سيراً مع عقائد أهل السنّة. انظر لنا ثقافة الإرهاب فى كتب الوهابية.

ص: ۱۰۳

محاولًا إثبات حوادث لا أوّل لها، وجاء فی أثناء ذلک بما تُحار فيه العقول، ولاتقبله أكثر القلوب، فذلک القول منه غير مقبول، بل هو مرفوض بهذا الحديث، وكم كنّا نودّ أن لا يلج ابن تيميّة هذا المولج، لأنَّ الكلام فيه شبيه بالفلسفة وعلم الكلام) (۱)

وردَّ عليه فی قوله بفناء النار، ووجَّه النقد إليه وإلى تلميذه ابن القيّم.

ومن بين ما قاله: (فكيف يقول ابن تيميّة: ولو قدّر عذاب لا آخر له، لم‌يكن هناک رحمة البتّة، فكأنَّ الرحمة عنده لا تتحقَّق إلّا بشمولها للكفّار المعاندين الطاغين. أليس هذا من أكبر الأدلّة على خطأ ابن تيميّة وبعده هو ومَن اتّبعه، عن الصواب فی هذه المسألة الخطيرة) (۲)

والعجيب أنَّ واحداً من الوهابيّين لم‌يعجبه موقف الألبانی من مسألة فناء النار، فقام بالردِّ عليه دفاعاً عن ابن تيميّة (۳). وقام وهابی آخر بالتصدّی له، وأصدر رسالة فی الردِّ عليه (۴)

وردَّ الألبانی قول ابن تيميّة باستقرار الله سبحانه على ظهر بعوضة، وقال: (وهذا يستلزم نسبة الاستقرار عليه لله تعالى، وهذا ممّا لم‌يرد، فلا يجوز اعتقاده ونسبته إلى الله

۱- انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ۱، ص ۲۰۸.

۲- انظر: مقدّمته على كتاب رفع الأستار لإبطال أدلّة القائلين بفناء النار.

۳- انظر: رسالة القول المختار لبيان فناء النار.

۴- انظر: رسالة كشف الأستار لإبطال ادّعاء فناء النار.

ص: ۱۰۴

عزّ وجلّ) (۱)

وردَّ الألبانی قول ابن تیمیّة بقعود الله سبحانه علی العرش، ومحمد (ص) إلی جواره، وقال معلّقاً علی ما استند علیه ابن تیمیّة، من أقوال مجاهد وغیره: (إنَّ قول مجاهد هذا، وإن صحَّ عنه، لا یجوز أن یُتَّخذ دیناً وعقیدة؛ ما دام أنَّه لیس له شاهد من الکتاب والسنّة) (۲)

وردَّ الألبانی علی ابن تیمیّة فی مسالة إنکاره للمجاز (۳)، وردَّ حدیث: (خلق الله آدم علی صورة الرحمن) (۴)، وردَّ قول ابن تیمیّة: بأنَّ صفة العلو والفوقیة حقیقیة، وأنَّ معیّة الله بالعلم، وقول الوهابیّین أنّ معیّته ذاتیة (۵)

وقال عن المعطّلة: (ینفون علوّه تعالی علی خلقه، وأنّه بائن من خلقه، بل یصرّح بعضهم بأنّه موجود بذاته فی کل وجود) (۶)

وکأن الألبانی بقوله هذا ینسب الوهابیّین للمعطّلة.

وأثبت ابن تیمیّة الحرکة لله تعالی، وردَّ الألبانی هذا الکلام (۷)

والوهابیّون قد بالغوا فی التجسیم والتشبیه، حتی أنّهم تجاوزا غلوّ ابن تیمیّة، وهو ما یبدو من قول ابن عثیمین: (إنَ

۱- انظر: مقدّمة مختصر العلو.

۲- المرجع السابق.

۳- المرجع السابق.

۴- انظر: سلسلة الأحادیث الضعیفة: ج ۳/ ۱۱۷۵ و ۱۱۷۶

۵- مقدّمة مختصر العلو.

۶- انظر: مقدّمة شرح الطحاویة.

۷- مقدّمة مختصر العلو.

ص: ۱۰۵

لله معيّة حقيقية ذاتية كما ذكرنا، ومَن كان هذا شأنه، كان مع خلقه حقيقة، وإنْ كان فوقهم على عرشه)، وهو ما لم‌يقله ابن تيميّة (۱) وقد تصدَّى بعض الوهابيّين لابن عثيمين وردّوا مقالته (۲)

قال الشيخ الزرقانى: (لقد أسرف بعض الناس فى هذا العصر، فخاضوا فى متشابه الصفات بغير حق، وأتوا فى حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم‌يأذن به الله، ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتنزيه، وتحتمل الكفر والإيمان، حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات. ومن المُؤسف أنَّهم يواجهون العامّة وأشباههم بهذا، ومن الخطر أنّهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح، ويُخيّلون إلى الناس أنّهم سلَفيّون.

من ذلك قولهم: إنَّ الله يُشار إليه بالإشارة الحسيّة من الجهات الست، جهة الفوق.

ويقولون: إنَّه استوى على عرشه بذاته استواءً حقيقياً، بمعنى أنَّه استقرّ فوقه استقراراً حقيقياً. غير أنّهم يعودون فيقولون ليس كاستقرارنا، وليس على ما نعرف.

ليس لهم مستند فيما نعلم إلّا التشبّث بالظواهر، وقد علمت أنَّ حمل المتشابهات فى الصفات على ظواهرها، مع

۱- انظر: عقيدة أهل السنّة والجماعة.

۲- انظر: رسالة النقول الصحيحة الواضحة الجلية عن السلف الصالح فى معنى المعيّة الإلهية الحقيقية؛ ورسالة الأقوال السلفية النقية فى الردّ على مَن قال إنّ معيّة الله ذاتية.

ص: ۱۰۶

القول بأنَّها باقيـة على حقيقتهـا، ليس رأيـاً لأحـد من المسـلمين، وإنّمـا هو رأى لبعض أصـحاب الأديان الأُخرى، كاليهود والنصارى، وأهل النِحل الضالّة، كالمُشبِّهة والمُجسِّمة) (۱)

وإذا كان ابن تيميّة يدَّعى التمسُّك بنهج السلَف.

والألبانى يدَّعى التمسّك بنهج السلف.

وابن عثيمين يدَّعى التمسّك بنهج السلف.

والرادّين عليه يدَّعون التمسّك بالسلف.

وكلّ هؤلاء مختلفون متصادمون ..

فأين الحقيقة إذن؟!

ومَن مِن هؤلاء يمثِّل السلف؟

والجواب هو: أنَّ جميع هؤلاء لا يمثّلون السلف، بل يتمسّحون بهم.

وإذا كان الوهابيّون قد تبرَّؤوا من الأشاعرة والماتريدية والفلاسفة وأهل الكلام، والمذاهب من أهل السنّة فى الماضى، إتِّباعا لنهج ابن تيميّة، فهم قد تبرَّؤوا فى الحاضر من التيّارات والجماعات الإسلامية، والكتّاب والمفكّرين الذين يخالفونهم من أهل السنّة.

وحالهم فى هذا كحال ابن تيميّة الذى لم يرضَ عن أحد، ولم يعجبه أحد، وكلّ مَن خالفه فهو مُبتدع ضالّ.

من هنا، هاجم الوهابيّون جماعة الإخوان المسلمين،

۱- انظر: مناهل العرفان فى علوم القرآن، ج ۲، ص ۱۸۷.

ص: ۱۰۷

وإمامهم حسن البنا.

وهاجموا سيّد قطب.

وهاجموا جماعة التبليغ والدعوة.

وهاجموا المُنشقّين عليهم.

وهاجموا المقلّدين للمذاهب.

وهاجموا كل مَن لم‌يلتزم بعقائدهم.

وكل هؤلاء من أهل السنّة.

واعتبروا هؤلاء من الضالّين المبتدعين، المعطّلين للصفات والنافين لها، السائرين على نهج الجهميّة والمُعطّلة (۱)

والسؤال هو: مَن الذى يمثِّل أهل السنّة: الوهابيّون، أم هذه المذاهب والتيارات التى يناصبونها العداء؟

والجواب هو أنَّ هذه المذاهب والتيّارات هى التى تمثِّل أهل السنّة؛ لارتباطها بعقائدهم وسلفهم. أمّا الوهابيّون، فيتّبعون عقيدة ابن تيميّة الشاذّة، التى نبذها أهل السنّة وحاربوها.

وقد تبنّى الوهابيّون بدعة ابن تيميّة بتقسيم التوحيد إلى ثلاث أقسام، هى:

توحيد الإلوهية.

۱- انظر مثال ذلك: تنبيهات فى الردّ على مَن تأوّل الصفات، من إصدار الرئاسة العامّة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ ورسالة المورد الزلال فى التنبيه على أخطاء الظلال، أى كتاب فى ظلال القرآن لسيد قطب، الذى ذكر فيه: إنّ الله لا يتحيّز فى مكان. وقال صاحب الرسالة فى الردِّ عليه: وهذا قول أهل البدع، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة؛ وانظر: منشور حقيقة الدعوات الإسلامية فى جزيرة العرب.

ص: ۱۰۸

وتوحيد الربوبيّة.

وتوحيد الأسماء والصفات.

وهى بدعة لم‌يقل بها أحد من السلف، ولم تقرّها عقيدة أهل السنّة.

والهدف من هذا التقسيم هو إرهاب المخالفين، والضحك على البسطاء وضعاف العقول؛ عن طريق إيهامهم أنَّ الإيمان لا يكتمل إلّا بتبنّى أفكارهم حول أسماء وصفات الله. والهدف منه أيضاً، تبرير تكفير المخالفين.

وهو ما أقرَّه ابن تيميّة والتزم به ابن عبد الوهاب، من أنَّ المشركين كانوا يُقرّون بتوحيد الربوبيّة دون توحيد الإلوهية، وتمَّ تطبيق هذا المنظور على المسلمين المخالفين الذين أجازوا التوسّل بالرسول (ص)، والاستغاثة به وبالأولياء، والذين اعتُبروا فى منظور ابن تيميّة وتابعه ابن عبد الوهاب من المشركين، لكونهم يقرّون بتوحيد الربوبيّة دون توحيد الإلوهية.

وفكرة كون المشركين والكفار كانوا يوحّدون الربوبيّة من مغالطات ابن تيميّة؛ فكلّ نصوص القرآن تؤكّد أنَّهم لم‌يكونوا يقرّوا بالربوبيّة ولابالإلوهية.

كذلك الأمر بالنسبة لما أسموه توحيد الأسماء والصفات؛ فكل مَن خالف معتقدهم فيها كان من الخارجين عن الدين.

من هنا .. رفع الوهابيّون شعار التوحيد، وربطوا بين مُشركى الأمس ومخالفيهم؛ كى يموِّهوا على المسلمين،

ص: ۱۰۹

ويبرِّروا لأنفسهم تكفير المخالفين، بل وإراقة دمائهم واستحلال أموالهم؛ باعتبارهم من المشركين.

قال ابن تيميّة عن الفلاسفة والفقهاء: (أخرجوا من التوحيد ما هو منه، كتوحيد الإلهية وإثبات حقائق أسماء الله، ولم يعرفوا من التوحيد إلّا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنَّ الله خالق كل شيء، وهذا التوحيد كان يقرّ به المشركون، الذين قال الله عنهم: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ (۱)

وهو ما قام بتطبيقه على المسلمين ابن عبد الوهاب، حين ظهر ببدعته في جزيرة العرب، واستخدم سيوف آل سعود في إراقة دماء المسلمين، من الفقهاء والأشراف والعامّة، الذين عدَّهم من المشركين المستباحين (۲)

والنتيجة التي نخرج بها من وراء ذلك كلّه، هي أنَّ الوهابيّين يكذبون على أهل السنّة، ويدَّعون تمثيل السلَف والتلحّف بالتوحيد.

۱- سوف يتمّ استعراض هذه النصوص في الفصل القادم. وانظر: التنديد بمَن عدَّد التوحيد للسقاف، وبحوثه الرائعة الأخرى في هذا المجال.

۲- انظر: شرح كتاب التوحيد، ص ۱۱۹ وما بعدها، ورسائله الأخرى.؛ وانظر خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام؛ والدرر السنيّة لزيني دحلان و تفصيل ذلك في كتابنا ثقافة الإرهاب في كتب الوهابية.

ص: ۱۱۰

ص: ۱۱۱

أكاذيبهم حول القبور والتوسُّل

اشارة

اعتاد المسلمون منذ قرون طويلة تكريم أئمّتهم ورموزهم، ببناء قبور خاصة بهم، وبناء القباب فوق هذه القبور.

واعتاد المسلمون- أيضاً- الاحتفال بهؤلاء الأئمّة، وإحياء المناسبات الخاصّة بهم، وزيارة مراقدهم والتوسّل بهم عند الله سبحانه.

ولم يبرز من بين الفقهاء مَن يعترض على هذه الظاهرة أو يستنكرها، أو يعتبرها من البِدع والضلالات، حتى برز ابن تيميّة في القرن الثامن الهجرى، وأعلن الحرب على هذه المراقد وعلى أصحابها، وحرّم شدَّ الرحال إليها، ومن بينها قبر الرسول (ص)، واعتبر التوسّل بالرسول وأصحاب هذه المراقد من الشرك، والزيارة والتبرّك بها عبادة لغير الله.

ولم يكن لابن تيميّة من دليل على هذا، سوى بعض الروايات المختلف على صحّتها وعلى تفسيرها بين الفقهاء،

ص: ۱۱۲

وبعض الأقوال الشاذَّة لبعض الحنابلة؛ وهو ما أدَّى إلى تصدّى الفقهاء له، وإعلان الحرب عليه من قِبلهم، بسبب تبنّيه لمثل هذه الأمور.

وتبنّى ابن عبد الوهّاب أفكار ابن تيميّة، وفرضها على المسلمين فى جزيرة العرب بسيوف آل سعود، وجعلها من أساسيّات التوحيد، وحكم على مخالفيه من المسلمين بالشرك والكفر، واستحلَّ دمائهم وأموالهم.

ومنذ ذلك الحين، حمل الوهابيّون راية المواجهة مع المسلمين، متسلّحين بهذه الأفكار، التى عدّوها من المسلَّمات، لتُصبح شغلهم الشاغل، وأرهبوا بها العامّة والبسطاء من الناس.

وفى دائرة هذا الباب، سوف نستعرض موقف الفقهاء من هذه المسألة، ليتبيَّن لنا أنَّ دعوى الوهابيّين فى تحريم زيارة القبور والتوسّل دعوى شاذَّة، نقضها فقهاء أهل السنّة، وهى ليست سوى أكذوبة تضاف إلى أكاذيبهم الكثيرة.

موقف الفقهاء

كان تفجير ابن تيميّة لمسألة التوسّل وزيارة قبر النبى (ص)، وقوله بتحريمها، قد دفع بفقهاء أهل السنَّة إلى التصدّى له، وتبيين موقف أهل السنّة منها.

وعلى رأس فقهاء أهل السنَّة الذين تصدّوا له، القاضى الفقيه الشافعى تاج الدين السبكى، بكتابه الشهير (شفاء

ص: ۱۱۳

السقام فی زیارة خیر الأنام).

قال فی مقدِّمته: (أمّا بعد .. فهذا کتاب سمَّیته شفاء السقام فی زیارة خیر الأنام، ورتّبته علی عشرة أبواب:

* الأوّل: القول فی الأحادیث الواردة فی الزیارة.

* الثانی: فی الأحادیث الدالَّة علی ذلک، وإن لم یکن فیها لفظ الزیارة.

* الثالث: فیما ورد فی السفر إلیها.

* الرابع: فی نصوص العلماء علی استحبابها.

* الخامس: فی تقریر کونها قربة.

* السادس: فی کون السفر إلیها قربة.

* السابع: فی دفع شُبه الخصم وتتبُّع کلماته.

* الثامن: فی التوسّل والاستغاثة.

* التاسع: فی حیاة الأنبیاء.

* العاشر: فی الشفاعة، لتعلّقها بقوله (ص): (مَن زار قبری وجبت له شفاعتی).

وضمَّنت هذا الکتاب الردّ علی مَن زعم أنَّ أحادیث الزیارة کلها موضوعة، وأنَّ السفر إلیها بدعة غیر مشروعة، وهذه المقالة أظهر فساداً من أنْ یردّ العلماء علیها، ولکن جعلت هذا الکتاب مستقلًّا فی الزیارة وما یتعلّق بها، مشتملًا من ذلک علی جملة یعزّ جمعها علی طالبها، وکنت سمّیت هذا الکتاب: (شنُّ الغارة علی مَن أنکر الزیارة)، ثُمَّ اخترت التسمیة المتقدّمة).

ص: ۱۱۴

ويبدو لنا من خلال فصول الكتاب، أنَّ السبكى يقرّر معتقد أهل السنّة وموقفهم فى مسألة الزيارة والتوسل، وهو المعتقد الذى خالفه ابن تيميّة، وتبعه الوهابيّون عليه.

وحنابلة الماضى، من المتطرّفين الذين تبعوا ابن تيميّة، قاموا بالهجوم على السبكى، دفاعاً عن ابن تيميّة، وتبعهم الوهابيّون فى هذا الهجوم (۱)

وقام الشيخ التقى ابن الأخنائى المالكى (۲) بالردِّ على ابن تيميّة فى مسألة الزيارة برسالة:

(المقالة المرضيَّة فى الردِّ على مَن أنكر الزيارة المحمديَّة).

فردَّ على ابن تيميّة واستجهله، وأعلمه أنّه قليل البضاعة فى العلم.

قال الأخنائى فى مقدِّمة رسالته: (أمّا بعد .. فإنَّ العبد لمّا وقف على الكلام المنسوب لابن تيميّة، المنقول عنه من نسخة فُتياه، ظهر لى من صريح ذلك القول وفحواه مقصده، فعند ذلك شرح الله صدرى للجواب عمّا نقل فيه من مقالته،

۱- انظر: الصارم المنكى فى الردّ على السبكى، لمحمد بن عبد الهادى بن قدامه المقدسى الحنبلى، المتوفّى عام ۷۴۴ ه. وهو من منشورات الوهابيّين.

۲- هو محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران، الإمام قاضى القضاة علم الدين الأخنائى، كان عالماً ديناً نزيهاً، وافر الجلالة حميد السيرة. انظر: ترجمته فى الوافى بالوفيات، ج ۲، ص ۱۹۴؛ وحسن المحاضرة، ج ۱، ص ۴۶۰؛ وطبقات الشافعية: ج ۲، ص ۲۸۳؛ والدرر الكامنة، ج ۱، ص ۶۶. قيل توفّى فى عام ۷۳۲، أو ۷۵۰، أو ۷۶۳، أو ۷۷۷ ه. ق.

ص: ۱۱۵

وسارعت لإطفاء بدعته وضلالته.

فأقول وبالله التوفيق، وأن يوصلنا إليه من أسهل طريق: لقد ضلَّ صاحب هذه المقالة وأضلّ، وركب طريق الجهالة واستقلّ، وحاد فى دعواه عن الحق وما جاد، وجاهر بعداوة الأنبياء وأظهر لهم العناد، فحرَّم السفر لزيارة قبر الرسول وسائر القبور، وخالف فى ذلك الخبر الصحيح المأثور.

لكن كم لصاحب هذه المقالة من مسائل خرق فيها الإجماع، وفتاوى أباح فيها ما حرم الله من الاستبضاع، وتعرّض لتنقيص الأنبياء، وحطّ من مقادير الصحابة والأولياء، فتعيَّن مجاهدته والقيام عليه، والقصد بسيف الشريعة المحمدية إليه، وإقامة ما يجب بسبب مقالته نصرةً للأنبياء والمرسلين، ليكون عبرة للمعتبرين، وليرتدع به أمثاله من المتمرّدين). ا ه

وتلقَّف الوهابيّون ردّ ابن تيميّة، وقاموا بتحقيقه ونشره وإشاعته بين المسلمين (۱)

وممّا يؤكّد كذب الوهابيّون فيما يتعلّق بمسألة القبور والتوسّل، نصوص كتب عقائد أهل السنّة التى لم تُشر من قريب أو بعيد لهذه المسألة. وعلى رأس هذه الكتب كتاب (اعتقاد الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل)، وهو من الكتب التى

۱- قُدّم التحقيق لجامعة الملك سعود لنيل درجة الماجستير، وطُبع فى الرياض، ويُعدّ هذا الردّ من آخر ما كتب ابن تيميّة فى حبسه الأخير الذى مات فيه، وقد قام الأخنائى بشكوى ابن تيميّة للسلطان، الذى أمر بإخراج ما عنده من الكتب والأوراق والدواة والقلم، ومنع من الكتابة والمطالعة. انظر: تاريخ ابن كثير، ج ۱۴، حوادث عام ۷۲۶ ه، عام وفاة ابن تيميّة.

ص: ۱۱۶

تبنّاها الوهابيّون، وقد قال فيه ابن حنبل بجواز الكرامات على الأولياء، ووجوب التفريق بينهما. وكذلك فى رسالة السـنّة لولده عبد الله، بينها وبين المعجزة. وأنكر على مَن ردَّ الكرامات وضلَّله.

وفى أُصول السنّة- له أيضاً- لم‌يُشر إلى شىء يتعلَّق بالتوسّل والقبور.

والطريف أنَّ ابن حنبل كان له قبر يزوره أتباعه ومحبّيه، وغمرته المياه مع غمرته من مشاهد و مزارات بعد فيضان دجلة وعزمه بصداق (۱)

ومن الغريب أنَّ ابن تيميّة نقل عن ابن حنبل قوله عن الدعاء عند قبر الرسول (ص):

(.. وسلِ الله حاجتك، متوسّلًا إليه بنبيّه، تُقض من الله عزّ وجلّ ..) (۲)

وإذا كان ابن حنبل، الذى يعدّونه إمامهم، لم‌يُشر لمسألة القبور والتوسّل، فمن أين أتى الوهابيّون بهذه المسالة، وكيف ضـخّموها كل هذا التضخيم، حتى حكموا على المسلمين المخالفين بالكفر والشرك على أساسها؟!

والجواب هو: أنّهم أتوا بها من ابن تيميّة، الذى لم‌يتمرّد

۱- انظر: أنظر البداية والنهاية ج ۱۲، ص ۱۰۹، حوادث عام ۴۶۶ ه- وانظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ۸، ص ۴۰۲، حوادث عام ۴۶۰ ه-، وأنظر ذيـول العبر للـذهبى، ج ۱، ص ۱۳۷. وقـال ابوالفـداء فى أنبـاء الغمر فى أنبـاء العمر، ج ۱، ص ۸۰، وصارت الرصافة ومشهد احمد و مشهد أبى‌حنيفة وغيرها من المشاهد والمزارات لا يول اليها الا بالمراكب ...

۲- انظر: الردّ على الأخنائى، ص ۱۶۸.

ص: ۱۱۷

على أهل السنّة وحدهم، بل تمرّد على إمامه ابن حنبل أيضاً.

وفى العقيدة الواسطية لابن تيميّة، لم يُشر- أيضاً- فيها لمسألة القبور والتوسّل، بل قال فى افتتاحيّتها: (أما بعد .. فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنّة والجماعة ..). والعقيدة الطحاوية لا توجد بها أيّة إشارة لهذه المسألة، ورغم ذلك قام الوهابيّون بتحقيقها ونشرها (۱)

وحتى فى كتب الاعتقاد الحنبلية وغير الحنبلية، التى يقوم الوهابيّون بنشرها، لا توجد إشارة لهذه المسألة، سوى فى بعض الكتب المتأخّرة بعد ظهور ابن تيميّة (۲)

وجميع كتب العقائد عند أهل السنّة تركّز على مسألة صفات الله تعالى، والسمعيّات، ومسألة الصحابة، وهى تُجمع على عدم تكفير أهل القبلة بذنب كبير أو صغير (۳)

واستند الوهابيّون على حديث يقول: (لا تُشدّ الرحال إلّا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا).

وبمناقشة هذا الحديث نخرج بما يلى:

أنَّ هذا الحديث فيه وقفات:

أوّلًا: إنَّ المسجد الحرام ومسجد الرسول به قبور.

۱- انظر: باب أكاذيبهم على التراث.

۲- انظر كمثال على ذلك: رسالة السنة للبربهارى؛ واعتقادات أهل الحديث لأبى بكر الإسماعيلى؛ والتحفة المدنية فى العقائد السلفية لحمد آل معمر؛ والأربعين فى دلائل التوحيد لعبد الله الهروى؛ ولمعة الاعتقاد لابن قدامة.

۳- عدا ابن حنبل الذى يكفِّر تارك الصلاة، والقائلين بخلق القرآن.

ص: ۱۱۸

ثانياً: إنَّ المسجد الأقصى غير معروف مكانه.

ثالثاً: إنَّ أهل السنّة لم‌يفهموا هذا الفهم الذى فهمه الوهابيّون من الحديث، فهم لا يقولون بتحريم زيارة القبور.

رابعاً: إنَّ الوهابيّين يفرّقون بين زيارة مسجد الرسول وزيارة قبر الرسول، فهم يُقرِّون بجواز زيارة المسجد لا القبر.

وإذا كان محور الإشكال فى زيارة قبر الرسول (ص)، فلماذا طلب الرسول شدَّ الرحال إلى مسجده وهو يحوى قبره؟!

وكيف يكون الحديث بهذا اللفظ الذى يوحى بمنع شدّ الرحال مطلقاً إلّا لهذه المساجد الثلاث؟!

قضيَّة التوسّل

ومن الأكاذيب الفاضحة للوهابية، أنَّهم عمدوا إلى أمور من الفقه والمستحبّات فجعلوها من المعتقدات، وبَنوا عليها مواقف تكفيرية وشركيّة وتبديعيّة استخدموها ضدّ المخالفين.

ومن بين القضايا التى استثمرها الوهابيّون وجعلوها من العقائد، قضية التوسّل.

والسؤال هنا هو: هل التوسّل حقّاً من مباحث الاعتقاد؟

يُعرِّف الشيخ الدومى التوسّل بقوله: (لا يخرج التوسّل فى الحقيقة عن كونه سبباً من الأسباب العادية، التى نصبها الله تعالى مقتضيات لمُسبّباتها، وجعل بينهما مقارنة فى الوجود، مع كون التأثير له وحده جلَّ وعلا، فيكون حكمه حكم بقية الأسباب العادية، التى يضمر فيها الإفراط والمغالاة كما يقع

ص: ۱۱۹

من بعض الجُهّال.

والتفريط كما يقع من أهل القسوة والجفاء، المنكرين لخواص أولياء الله تعالى الثابتة، وكرامتهم الواقعة بالمشاهدة والعيان، إذ ليس من المستحيل، بل ولامن البعيد أن يعلّقالله تعالى قضاء حاجة من الحوائج، كشفاءٍ من مرض، أو سعة فى رزق، على التوسّل بأحد عباده الصالحين. وفى هذه الحالة لا يمكن أن يحصل المطلوب من الشفاء وغيره من غير طريق التوسّل بحال، لا لأنَّ التوسَّل مؤثِّراً بذاته، ولالأنَّ النبى أو الولىّ هو الذى خلق الشفاء وأوجده، بل لما سبق فى علمه تعالى القديم من تعليق هذا الشفاء على التوسّل المذكور) (۱)

ويقول الدكتور عيسى الحميرى: (يعتقد بعض الناس أنَّ التوسّل من مباحث العقيدة، ويترتَّب على القول به تكفير أو تبديع أو تفسيق وتضليل. ولو نظرنا إلى هذه القضية بعين الإنصاف، لعلمنا أنَّ التوسّل ليس مبحثاً من مباحث الاعتقاد، وأمره يدور بين الجواز والندب، وما كان أمره كذلك فهو من موضوعات الفقه، وإقحام مباحث الفقه فى العقيدة خطأ جسيم، وقلب للحقائق وصرف للأمور عن وجهها، والأصل أن ينزّل كل بحث فى منزلته الصحيحة وفنِّه اللائق به. علماً بأنَّ جميع الفقهاء، على اختلاف مذاهبهم الفقهية، يذكرون

۱- انظر: من نفحات الدومى، ص ۳۳۴ وما بعدها نقلًا عن التأمّل فى حقيقة التوسّل، ص ۵۶.

ص: ۱۲۰

التوسّل فی باب صلاة الاستسقاء، أو عند زيارة القبر النبوی الشريف، ولم نرَ أحداً من علماء أصول الدِّين يذكر التوسّل فی التوحيد إطلاقاً) (۱)

وينقل عن ابن تيميّة كلاماً مناقضاً لدعوی الوهابيّين، مثل قوله حول أقسام التوسّل:

(القسم الثالث: وهو أن يقول: اللّهم بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان، أو بحرمة فلان عندك، أفعل بی كذا وكذا ..

فهذا يفعله كثير من الناس، لكن لم‌ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلَف الأمّة أنّهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغنی عن أحد من العلماء فی ذلك ما أحكيه، إلّا ما رأيت فی فتاوی الفقيه أبی محمد بن عبد السلام، فإنّه أفتی أنَّه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك، إلّا للنبی ۹، إنْ صحَّ الحديث فی النبی ۹ ومعنی الاستفتاء.

وقد روی النسائی والترمذی وغيرهما أنَّ النبی ۹ علَّم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: (اللّهم إنِّی أسألك وأتوسّل إليك بنبيِّك نبی الرحمة، يا محمد يا رسول‌الله، إنِّی أتوسّل بك إلی ربی فی حاجتی ليقضيها لی، اللّهم فشفِّعه فیّ).

فإنَّ هذا الحديث قد استدلَّ به طائفة علی جواز التوسّل بالنبی ۹ فی حياته وبعد مماته.

قالوا: وليس فی التوسّل دعاء المخلوقين، ولااستغاثة بالمخلوق، وإنّما هو دعاء واستغاثة بالله، لكن فيه سؤال

۱- انظر: التأمّل فی حقيقة التوّسل، ص ۵۶ و ص ۵۷.

ص: ۱۲۱

بجاهه، كما فی سُنن بن ماجه عن النبی ۹ أنّه ذكرَ فی دعاء الخارج للصلاة أن يقول: (اللّهم إنّی أسألك بحقِّ السائلين عليك، وبحقَّ ممشای هذا، فإنّی لم‌أخرج أشراً ولابطراً، ولارياءً ولاسمعةً؛ خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تُنقذنی من النار، وأن تغفر لی ذنوبی، فإنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت.

قالوا فی هذا الحديث: أنَّه سأل بحقِّ السائلين عليه، وبحقِّ ممشاه إلی الصلاة، والله تعالی قد جعل علی نفسه حقّاً؛ قال الله تعالی: (وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين)، ونحو قوله: (كان علی ربِّك وعداً مسؤولًا).

والتوسّل إلی الله بغير نبيّنا، سواء سُمّی استغاثة أم لم‌يُسمّ، لا نعلم أحداً من السلف فعله ولاروی فيه أثراً، ولانعلم فيه إلّا ما أفتی به الشيخ من المنع.

وأمّا التوسّل بالنبی ۹، ففيه حديث فی السُنن رواه النسائی والترمذی وغيرهما: أنَّ أعرابياً أتی النبی فقال: يا رسول‌الله، إنِّی أُصبت فی بصری، فادع الله لی، فقال له النبی: (توضَّأ وصلِّ ركعتين، ثُمَّ قل: اللّهم أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد، يا محمد إنِّی أتشفّع بك فی ردِّ بصری، اللّهم شفّع نبيّك فیّ)، وقال: (فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك)، فردَّ الله بصره، فلأجل هذا الحديث استثنی الشيخ التوسّل به.

وللناس فی معنی هذا قولان:

أحدهما: أنَّ هذا التوسّل هو الذی ذكره عمر بن الخطاب لمّا

ص: ۱۲۲

قال: كنّا إذا أجدبنا نتوسّل بنبيّنا إليك فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمِّ نبيّنا، فاسقنا.

فقد ذكر عمر أنَّهم كانوا يتوسّلون به فى حياته فى الاستسقاء، ثُمَّ توسّلوا بعمّه العباس بعد موته، وتوسّلهم به هو استسقاؤهم به، بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله، وهذا لم يفعله الصحابة بعد موته ولافى مغيبه، والنبى كان فى مثل هذا شافعاً لهم، داعياً لهم، ولهذا قال فى حديث الأعمى: (اللّهم فشفّعه فىّ)، فعُلم أنَّ النبى شفع له، فسأل الله أن يشفِّعه فيه.

والثانى: أنَّ التوسّل يكون فى حياته وبعد موته، وفى مغيبه وحضرته، ولم يقل أحد أنَّ مَن قال بالقول الأوّل فقد كفر، ولاوجه لتكفيره؛ فإنَّ هذه مسألة خفيّة ليست أدلّتها جليّة ظاهرة، والكفر إنّما يكون بإنكار ما عُلم من الدِّين ضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة والمُجمَع عليها، ونحو ذلك، واختلاف الناس فيما يشرع من الدعاء ومالا يشرع، كاختلافهم هل تشرع الصلاة عليه عند الذبح، وليس هو من مسائل السب عند أحد من المسلمين.

وأمّا مَن قال: إنَّ مَن نفى التوسّل الذى سمّاه استغاثة بغيره كفر، وتكفير مَن قال بقول الشيخ عزّ الدِّين وأمثاله، فأظهر من أن يحتاج إلى جواب، بل المكفِّر بمثل هذه الأمور يستحقّ من غليظ العقوبة والتعزير، ما يستحقّه أمثاله من المُفترين على الدِّين، لا سيّما مع قول النبى: (مَن قال لأخيه

ص: ۱۲۳

كافر، فقد باء بها أحدهما) (۱)

واعتبر الشيخ حسن الإحسائی، وهو من الوهابيّين، أنَّ التوسّل من مسائل الفقه (۲)

وقال الشيخ صديق القنوجی: (ومسألة التوسّل بالأنبياء والصالحين ممّا اختلف فيه أهل العلم، وبلغت النوبة فيه إلى أن كفَّر بعضهم بعضاً، أو بدَّع أو ضلَّل، والأمر أيسر من ذلك وأهون ممّا هنالك ..) (۳)

وقال الدكتور الحميری معلّقاً: (وبالجملة، ليست المسألة مستحقّة لمثل هذه الخصومات والخلافات، ولكن أصبح أهل هذا الزمن طوائف، يستوی فی الإنكار علی أهل الله جاهلهم وعارفهم، ومنهم مَن يعلم أنَّك علی الحق، وفعلك موافق لما جاء به النبی (ص)، ويجحده ويُماری ويجادل) (۴)

وكان ابن حبّان، صاحب السُّنن، يُكثر من زيارة قبر الإمام الرضا (ع)، ويتوسّل به كلّما ألمَّت به شدّة، قال عن قبره: (وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يُزار، بجنب قبر الرشيد، قد زرته مراراً كثيرة، وما حلت بی شدّة فی وقت مقامی بطوس، فزرت قبر علی بن موسی الرضا (صلوات الله علی جدِّه وعليه)، ودعوت الله إزالتها عنّی، إلّا أستُجيب لی، وزالت

۱- انظر: كتب ورسائل وفتاوی ابن تيميّة فی الفقه: ج ۲۷، ص ۸۳ وما بعدها، ولاحظ فی العنوان كلمة الفقه، وهو إشارة لكون هذه المسائل من أمور الفقه، لا من أمور الاعتقاد.

۲- التأمّل فی حقيقة التوّسل، ص ۵۸، نقلًا عن كتابه روضة الأفكار والأفهام.

۳- انظر: نزل الأبرار، ص ۳۷.

۴- انظر: التأمّل فی حقيقة التوسّل، ص ۵۹.

ص: ۱۲۴

عنّى تلك الشدّة. وهذا شيء جرّبته مراراً فوجدته كذلك. أماتنا الله على محبّة المصطفى وأهل بيته، صلّى الله عليه، وسلّم الله عليه وعليهم أجمعين) (۱)

وقال الحاكم فى تاريخ نيسابور، عن الإمام الرضا (ع): (أشخصه المأمون من المدينة إلى البصرة، ثُمَّ إلى الأهواز، ثُمَّ إلى فارس، ثُمَّ إلى نيسابور، إلى أن أخرجه إلى مَرو. وكان ما كان، يعنى من قصّة استخلافه، قال: وسمع على بن موسى أباه وعمومته، إسماعيل، وعبدالله، وإسحاق، وعلى بنى جعفر، وعبد الرحمن بن أبى الموالى، وغيرهم من أهل الحجاز، وكان يُفتى فى مسجد رسولالله صلّى الله عليه وسلّم، وهو ابن نيف وعشرين سنة. روى عنه من أئمّة الحديث: آدم بن أبى إياس، ونصر بن على الجهضمى، ومحمد بن رافع القشيرى، وغيرهم ..

استشهد على بن موسى بسناباذ فى طوس، ليلة الجمعة من شهر رمضان من سنة ۲۰۳، وهو ابن ۴۹ سنة وستّة أشهر، ثُمَّ حُكى من طريق أُخرى أنَّه مات فى صفر.

قال: وسمعت أبا بكر، محمد بن المؤمّل بن الحسن بن عيسى، يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبى بكر بن خزيمة، وعديله أبى على الثقفى، مع جماعة من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر على بن موسى الرضا بطوس. قال: فرأيت من تعظيمه- يعنى بن خزيمة- لتلك

۱- انظر: الثقات: ج ۸، ص ۴۵۷. وابن حبّان توفّى عام ۳۵۴ ه.

ص: ۱۲۵

البقعة، وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيَّرنا!) (۱)

وقال أبو سعد بن السمعانى فى الأنساب: (قال أبو حاتم بن حبان، يروى عن أبيه العجائب، كأنَّه كان بهم يخطب: ومات يوم السبت، آخر يوم من صفر، وقد سُمّ فى ماء الرمّان وسقى ..

قلت: وأورد له ابن حبان بسنده عن آبائه مرفوعاً: السبت لنا والأحد لشيعتنا، والاثنين لبنى أُميَّة والثلاثاء لشيعتهم، والأربعاء لبنى العباس والخميس لشيعتهم، والجمعة للناس جميعاً.

وبه: لمّا أُسرى بى إلى السماء، فسقط إلى الأرض من عرقى، فنبت منه الورد، فمَن أحبّ أن يشمّ رائحتى فليشمّ الورد.

وبه: ادهنوا بالبنفسج؛ فإنّه بارد فى الصيف، حار فى الشتاء.

وبه: مَن أكل رمّانة بقشرها حتى يستتمّها، أنار الله قلبه أربعين يوماً.

وبه: الحنّاء بعد النورة أمان من الجذام.

وبه: كان (صلّى الله عليه وسلّم) إذا عطس، قال له على: يرفع الله ذكرك، فإذا عطس على قال له: أعلى الله كعبك.

وفيه: مَن أدَّى فريضة، فله عند الله دعوة مستجابة.

وكان الرضا من أهل العلم والفضل، مع شرف النسب) (۲)

۱- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلانى، ج ۷، ص ۳۳۹.

۲- المرجع السابق، ج ۷، ص ۳۳۹.

ص: ۱۲۶

وروى عن الخلال قوله: (ما همَّنى أمر فقصدت قبر موسى ابن جعفر الكاظم (ع) فتوسَّلت به، إلّا سهّل الله لى ما أُحب) (۱)

وروى عن النبى (ص) قوله: (حياتى خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، فإذا متُّ كانت وفاتى خير لكم، تُعرض علىّ أعمالكم، فإن وجدت خيراً، حمدت الله، وإنْ وجدت شرّاً استغفرت لكم) (۲)

۱- انظر: تاريخ بغداد، ج ۱، ص ۱۲۰.

۲- رواه البزار فى مسنده، ج ۵، ص ۳۰۸؛ والهيثمى فى مجمع الزوائد، ج ۹، ص ۲۴، باب ما يحصل لأمته من استغفاره بعد وفاته، والسيوطى فى الخصائص، ج ۲، ص ۴۹۱، باب اختصاصه بعدم بلاء جسده.

ص: ۱۲۷

أكاذيبهم على التُراث

اشارة

كانت سنَّة الوهابيّين على الدوام هى العمل على تطويق خصومهم، وسدّ منافذ المعرفة أمامهم، كى يصبحوا صيداً سهلًا لهم.

من هنا عمل الوهابيّون على تصيّد الكتب النافعة لهم، والتى تخدم أفكارهم وتدعم عقائدهم، من أصحاب المذاهب السنّية الأُخرى، التى يناصبونها العداء ويكفّرونها.

أمّا الكتب الأُخرى، التى تفضح عقائدهم وتكشف أكاذيبهم وتُعرِّيهم، فقد قاموا بالسطو عليها وتحريفها، وحذفوا منها النصوص والعبارات التى يمكن الاحتجاج بها عليهم، وأعادوا نشرها من جديد.

وقد وقع العديد من الباحثين، قليلى الاطلاع والمعرفة بالتراث، فى فخِّ الوهابيّة، وتقبّلوا هذه الكتب المزيَّفة واعتمدوها.

ص: ۱۲۸

وفی مصادر الوهابیّین العدید من التحذیرات والتخویف والإرهاب، والتی تصل لحدِّ التحریم من کتب المخالفین، وفی مقدِّمتها کتب الفلسفة، والمنطق، وعلم الکلام، بالإضافة إلی کتب التیّارات والمذاهب.

والجدیر بالذکر هنا، أنَّ کتاب منهاج السنّة لابن تیمیّة، الذی یعدّونه السَند الأکبر لهم فی مواجهة الشیعة، قد اکتشفوا وجود العدید من العورات فیه، خاصةً المآخذ والسقطات التی وقع فیها ابن تیمیّة فی ردِّه علی الحلّی، والتی نبّه إلیها ابن حجر العسقلانی؛ وهو ما دفع بهم إلی تحقیقه والإضافة علیه، لیصل حجمه إلی عدّة مجلّدات.

وسوف نعرض فی دائرة هذا الباب العدید من کتب التراث التی قام الوهابیّون بالسطو علیها، وتحریفها وحذف نصوصها، والتی یمکن تحدیدها فیما یلی:

* فتح الباری، شرح البخاری، لابن حجر العسقلانی.

* التُحف فی مذاهب السلَف، للشوکانی.

* العقیدة الطحاویة، للطحاوی الحنفی.

* الأذکار، للنووی.

* منهج السالک إلی بیت الله المُبجَّل فی أعمال المناسک، لأبی عیاشة.

* مطارق النور تبدّد أوهام الشیعة، لمال الله.

* مناظرة الإمام جعفر الصادق مع الرافضی.

* نهج البلاغة.

** العواصم من القواصم، لأبی بکر بن العربی.

ص: ۱۲۹

فتحُ الباری

امتـاز فتـح البـاری عن شـروحات البخـاری الأُـخری بالتوسّع فی شـروحاته، والإکثار من نقولاته، مّما جعله مرجعاً هامّاً، یضـمّ بین دفّتیه عشرات الروایات والنصوص التی قلّما نجدها فی مرجع آخر.

ونظراً لشـیوعه وانتشاره بین الفقهاء والمؤسَّسات؛ تصـدَّی کبیر الوهابیّین (ابن باز) للکتاب، وقرّر العمل علی إصـدار طبعـة جدیدة منه، خالیه من الشُبهات والأخطاء حسب تعبیره.

یقول ابن باز فی مقدّمته لطبعته: (لمّا کانت الطبعات السابقة من فتح الباری غیر خالیة من الأخطاء، رأیت من المصلحة العامّة أن اجتهد فی المقابلـة والتصـحیح لهـذا الکتاب، علی ما أمکن من النُسخ المعتمدة، وأن أُعلّق علی بعض المواضع التی تمسّ الحاجة إلی التعلیق علیها.

وقد وجدنا للشارح "ابن حجر "أخطاء لا یحسن السکوت علیها، فکتبنا علیها تعلیقات تتضمَّن تنبیه القارئ علی الصواب، وتحذیره من الخطأ.

وأخبرت فضیلة الشیخ أخانا محبّ الدین الخطیب بهذا العزم، وطلبت منه أن یکون طبع هذا الکتاب فی مطبعته، المطبعة السلفیة، فحبَّذ الفکرة ولبّی الطلب، ووعد بالاجتهاد

ص: ۱۳۰

فی إبراز هذا الکتاب بالمظهر اللائق به) (۱)

وهنا تُطرح التساؤلات التالیة:

ما هی هذه الأخطاء التی اکتشفها ابن باز، ولماذا لم یحدِّدها لنا؟!

وهل ابن باز یفوق ابن حجر قدراً وعلماً، حتی یمکنه تخطئته؟!

أم أنَّ هذه الأخطاء لا تخرج عن کونها أموراً تخالف معتقداته؟!

ولماذا اختار ابن باز مُحبّ الدین الخطیب لیقوم بمهمّة طبع ونشر الکتاب؟!

والجواب علی هذه التساؤلات یمکن معرفته من خلال الصورة المُشوَّهة التی خرج بها کتاب فتح الباری، والتی لم یقبلها حتی السلفیِّین من أتباعه، والذین أخذوا یبحثون عن الطبعات الأُخری الکاملة.

لقد تمَّ حذف العدید من النصوص والشروحات المتعلّقة بالأحادیث الخاصّة بصفات الله سبحانه، وکذلک النصوص المتعلّقة بالتوسّل والقبور. حتی أنّک تجد العدید من الأحادیث ولاتجد الشروحات الخاصّة بها.

وقد قام محبّ الدین الخطیب بعرض الأحادیث علی هیئة مجموعات مرقَّمة، فی کل باب وکل مجموعة تحتها شرحها، بحیث أنَّ القارئ العادی لا یلحظ أنَّ بعض الأحادیث من بین

۱- أنظر: فتح الباری، ط المطبعة السلفیة ومکتبتها بالقاهرة، ج ۱، ص ۳.

ص: ۱۳۱

المجموعة لا ذكر لها فی الشرح.

ولم يكن ابن باز ليجد شخصية يمكن الوثوق بها للقيام بهذه المهمّة سوى محبّ الدين الخطيب، الذی جاء إلى مصر فارّاً من وجه العثمانيّين، ليقوم بنشر العديد من الكتب الموجَّهة ضدّ الشيعة، وكُتب ابن تيميّة وابن القيم والذهبی، تلميذی ابن تيميّة، ويُعلن ولاءه للدولة الوهابيّة (۱)

وقام ابن باز أيضاً بالسطو على كتاب (التُحف فی مذاهب السلَف) للشوكانی، لوجود العديد من النصوص بالكتاب التی لم‌تُعجبه، فأصدر أمره بطبعه فی صورة جديدة، تحوی تعليقاته وبصمته الوهابية عليه.

يقول فی مقدِّمته: (وقد رأيت الأمر بطبعها على حساب رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد؛ لتعميم نفعها، مع العقيدة الواسطية لابن تيميّة، ليستفيد طلبة العلم وغيرهم من الرسالتين، ويعلموا عقيدة أهل السنّة فی هذا الباب. وقد وقع فی آخر التحف كلام للمؤلّف فی المعيّة غير جيد، فبيَّنت الصواب فيه لمزيد من الفائدة).

أمّا كلام الشوكانی، فكان حول النصوص القرآنية التالية:

قوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم).

وقوله: (إنَّ الله مع الصابرين).

۱- من بين هذه الكتب: الخطوط العريضة، ومؤتمر النجف الذی أدُّعی فيه إعلان فقهاء الشيعة بأفضلية أبو بكر وعمر على الإمام على، ومنهاج الاعتدال للذهبی، وهو مختصر منهاج السنّة لابن تيميّة، وغيرها من كتب الوهابيّين. ويُعدّ محبّ الدين الخطيب أوّل مَن نشر هذه الكتب فی مصر فی فترة العشرينيات.

ص: ۱۳۲

وقوله: (إنَّ الله مع الذين اتّقوا ..).

قال الشوكانى: (هكذا جاء القرآن، إنَّ الله سبحانه مع هؤلاء، ولانتكلّف تأويل ذلك كما يتكلَّف غيرنا، بأنَّ المراد بهذا الكون وهذه المعيّة هو كون العلم ومعيّته؛ فإنَّ هذه شعبة من شُعب التأويل، تخالف مذهب السلف).

ورفض ابن باز فكرة التأويل وقال: (إنَّ الله سبحانه فوق العرش، وعلمه فى كل مكان ..).

العقيدة الطحاويَّة

واكتشف الوهابيّون أنَّ العقيدة الطحاوية، للطحاوى الحنفى (ت ۳۲۱ ه)، واسعة الانتشار بين المسلمين، فقام ابن باز بالتعليق على متنها، وتوزيعها على المسلمين على هيئة كُتيّب صغير. ومن بين المسائل التى لم تُعجب ابن باز فى العقيدة الطحاوية، مسألة العُلو، كما لم يُعجبه تحقيق واحد من كبار المحقّقين لها، وهو المحقّق أحمد شاكر.

وباستعراض شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز، الذى تمَّ نشره مؤخّراً عن طريق الوهابيّين، سوف يتبيَّن لنا ما يرتكبه الوهابيّون من جرائم فى حقّ تراث المسلمين، ومحاولاتهم الدائمة مصادرة الحقيقة والتعتيم عليها، بالإضافة إلى اللَعب بعقول المسلمين.

وعقيدة الطحاوى، الحنفى المذهب، تسير وِفق معتقد الأشعرى، وقد أقرَّها الفقهاء وأهل المذاهب، وتلقّوها بالقبول

ص: ۱۳۳

وأثنوا عليها، فكيف تبنّاها الوهابيّون وقاموا بنشرها، وهم خصوم الأشعرى وأعداء الأشاعرة؟

والجواب: هو أنّهم لم‌يتبنّوها، وإنّما زيّفوها ليخدعوا بها المسلمين، ويمرّروا من خلالها عقائدهم المنحرفة الباطلة.

ويتّضح ذلك بجلاء من خلال تتبع سيرة ابن أبى العز، الذى قام بشرحها، والتى تكشف لنا أنَّه لا صلة له بالأحناف ولابالأشاعرة، وإنّما هو حنبلى متعصّب، قام بالسطو على العقيدة والانحراف بها من خلال الشرح، نحو تأكيد معتقدات الحنابلة فى التجسيم والتشبيه.

وهذا هو السرُّ وراء تبنّى الوهابيّون لهذه العقيدة والتحمّس لنشرها، بل إنَّ الناشر، ربيب الوهابية، قام بوضع بعض التعليقات فى الهامش زادت الطين بلّة.

قال الناشر فى مقدِّمته: (إنّ هذا الكتاب القيِّم يقلّ نظيره فى التحقيق والبيان، والعمق والإحاطة والتزام منهج الحق، الذى كان عليه السلف الصالح، لذلك لاقتْ هذه العقيدة مدح عدد كبير جداً من العلماء، شرحها عدد كبير منهم أيضاً. وكان أحسن شروحها المعروفة هذا الشرح، وهو يمثِّل عقيدة السلف أحسن تمثيل. والمؤلّف يُكثر من النقل عن ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم، من غير إحالة عليها، ولعلَّ له عذراً فى ذلك، وهو أنَّ عقيدة السلف كانت تُحارب من المتعصّبين والحشويِّين وعلماء السوء، الذين كان لهم تأثير كبير على بعض الحكّام؛ ممَّا جعل بعض أصحاب هذه العقيدة لا

ص: ۱۳۴

يتظاهرون بهاغالباًفی تلك الأيام، التی كان فيها بعض الناس مُغرماً بإتلاف كُتب ابن تيميّة.

وظنّی أنَّ هـذه المحنة، وهذا العداء لعقيدة السلف الصالح، كانا وراء خفاء اسم المؤلّف لهذا الشرح المبارك، وكانا وراء خفاء اسم ابن تيميّة وابن القيم من الشرح). اه

ويبدو من كلام الناشر التضليل والتزييف.

تضليل المسلمين بوصفه كلام الشارح على أنَّه يمثّل عقيدة السلف الصالح.

وتزييفه لمدح العلماء لهذه العقيدة، حيث أنَّ العلماء مدحوا العقيدة ولم يمدحوا شرح ابن أبی العز، وهو ما يتَّضح لنا من خلال تزييفه لكلام السبكی الذی نقله فی الهامش.

نسب الناشر فی الهامش للسبكی قوله: (وهـذه المـذاهب الأربعة فی العقائد واحدة، إلّا مَن لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم، وإلّا فجمهورها على الحقّ يُقرّون عقيدة أبی جعفر الطحاوی، التی تلقّاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول).

وبمراجعة قول السبكی، تبيَّن أنَّه نص على ما يلی:

(وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة، ولله الحمد، فی العقائد يد واحدة، كلّهم على رأی أهل السنّة والجماعة، يدينون لله تعالى بطريق شيخ السنّة أبی‌الحسن الأشعری، لا يحيد عنها إلّا رُعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورُعاع من‌الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرَّأ الله المالكية، فلم نرَ مالكياً إلّا أشعرياً عقيدةً.

ص: ۱۳۵

وبالجملة، عقيدة الأشعرى هى ما تتضمّنه عقيدة أبى جعفر الطحاوى، والتى تلقّاها علماء المذهب ورضوها عقيدة) (۱)

ومن الواضح أنَّ البون شاسع بين نص كلام السبكى وما نسبه إليه الناشر الوهابى، الذى حرَّف كلامه ليخدم به معتقده، ويُبعد عنه الشبهات.

وممَّا يتّضح من مقدّمة الناشر، أنَّ الشارح استعان بأقوال ابن تيميّة وابن القيم.

والسؤال هنا هو: كيف للشارح الحنفى المذهب، الأشعرى المُعتقد، أن يستعين فى شرحه بكلام ابن تيميّة وابن القيم، وهما خصوم ألداء للأشعرى والأشاعرة؟!

وكيف لعقيدة تلقى كل هذا القبول والمدح من العلماء، وهى تعتمد على كلام ابن تيميّة وابن القيم، المجرَّمين من قِبل العلماء والحكّام، وكتبهما محظورة ومحلّ إتلاف؟!

وما الذى يدفع بالشارح إلى إخفاء اسميهما واسمه أيضاً؟!

وهل لو كان الشارح يعبِّر حقّاً عن عقيدة السلف، ويمثّلها أحسن تمثيل- كما قال الناشر الوهابى-؛ يضطرّ إلى ذلك، ويلقى كلّ هذا الاضطهاد والمحاربة من العلماء والحكام؟!

ونقل الناشر حادثة وقعت لابن أبى العز فى عام ۷۸۴ ه.

۱- انظر: رسالة معيد النعم ومبيد النقم. وقريب من قوله هذا ذكره فى: طبقات الشافعية، ج ۳، صص ۳۷۷- ۳۷۸.

ص: ۱۳۶

بدمشق، حين انتقدَ قصيدةً فی مدح النبی (ص) للأديب علی بن أيبک الصفدی، وأنكر أموراً منها: التوسّل بالنبی، والقدح فی عصمته، وغير ذلک، ممّا أدّی إلی قيام العلماء والقضاة ضدّه، والمطالبة بتعزيره.

وأُحضر خطّ ابن أبی العز، فوُجد فيه قوله: حسبی رسول‌الله. وهذا لا يُقال إلّا لله، وقوله: اشفع لی. قال: لا تُطلب منه الشفاعة، ومنها توسّلت بک. فقال: لا يتوسّل به. وقوله: المعصوم من الزلل، قال: إلّا من زلّة العتاب. وقوله: يا خير خلق الله، قال: الراجح تفضيل الملائكة.

فسُئل فاعترف، ثُمَّ قال: رجعت عن ذلک (۱)

لقد قدَّم لنا الناشر الوهابی، من خلال كلامه ونقله لهذه الحادثة، الدليل القاطع علی كون الشارح ليس حنفياً ولاصلة له بالأحناف، إنّما هو حنبلی متعصّب، يسير علی نهج ابن تيميّة، وقد عبث بالعقيدة الطحاوية وحاول تحريفها واستخدامها فی دعم عقائد الحنابلة، المجسِّمة والمشبِّهة، المخالفة لعقائد أهل السنّة والسلَف.

وما يدعم هذا أنَّ ابن أبی العز له كتاب بعنوان (سفر المغلوب)، انتقد فيه عقيدة الأشاعرة. وقد ذكر الناشر أنَّ وفاته كانت فی عام ۷۹۲ ه، بينما ذكرت المصادر التی ترجمت لابن أبی العز أنَّه توفِّی فی عام ۶۹۹ ه وهذه إشارة

۱- انظر تفاصيل هذه الحادثة فی: أنباء الغمر، ج ۱، ص ۲۵۸، و ج ۲، ص ۷۵؛ والضوء اللامع فی أعيان القرن التاسع: ج ۵، ص ۶۶۵؛ والنجوم الزاهرة: ج ۶، ص ۱۳۸.

ص: ۱۳۷

إلى كون الشارح شخص آخر، يتشابه اسمه مع اسم ابن أبى العز الحنفى، شارح الفقه الأكبر لأبى حنيفة، والذى أعلن براءة الأحناف من الآخر، وعدّوه من المُبتدعين، كما ذكر ابن حجر أنَّ علماء عصره أنكروا عليه (۱)

وقد دعم الناشر طبعته بأقوال العديد من فقهاء الوهابيّة، على رأسهم ابن باز والألبانى، وعبد الرازق عفيفى وغيرهم ..، ثُمَّ أدلى بهذا الاعتراف:

ولم اجزم بطبعتنا بنسبة الشرح لابن أبى العز، غير أنَّ أُستاذى الألبانى أُهديت إليه فى المغرب رسالة مصوّرة عن مخطوطة، ذُكر تحت عنوانها أنَّ مؤلّف شرح الطحاوية هو ابن أبى العز الحنفى.

وينقل الناشر قول الألبانى فى مقدّمته لشرح الطحاوية: (فإنَّ عقيدة أبى جعفر الطحاوى الحنفى هى عقيدة أهل السنَّة والجماعة، المتَّفق على اتّباعها من قِبل علماء الملّة؛ لأنَّها وافقت معتمَد علماء هذه الملّة خلال قرون متعدِّدة، ومنهم: أبو حنيفة النعمان، ومالك، والشافعى، وأحمد بن حنبل، وأكثر أتباعهم. كما أنَّها عقيدة الإمام أبى الحسن الأشعرى، ولم يشذّ عنها إلّا مَن أشرب فى قلبه نوع من الاعتزال والجهمية ومناصبة السنَّة العداوة.

وقد امتنَّ الله علىَّ فيسَّر لى شرح العقيدة الطحاوية،

۱- انظر ترجمة ابن أبى العز الحنفى فى: الطبقات السنيّة فى تراجم الحنفية: ج ۱، ص ۳۲۵؛ وأنباء الغمر: ج ۲، ص ۹۶؛ وانظر: شرح الفقه الأكبر.

ص: ۱۳۸

للعلامة ابن أبى العز الحنفى، بعد حصولى على مخطوطة قيّمة).

ويعدّ هذا اعترافاً صريحاً من الألبانى أنَّ متن العقيدة الطحاوية يمثِّل عقيدة أهل السنَّة، ومحلّ اتّفاق علماء الأمّة، وهو موافق لعقيدة الأشعرى.

إلّا أنَّ تبنِّيه التعليق، وتخريج الأحاديث التى جاء بها الشارح، يعدّ تناقضاً وتعتيماً على حقيقة هذه الأحاديث، التى تقود إلى التجسيم والتشبيه، بالإضافة إلى أقوال الشارح التى تصطدم بعقيدة الأشعرى.

الأذكار

وقام الوهابيّون أيضاً بالسطو على كتاب الأذكار للنووى، وقاموا بتحريف الفصل الأخير منه، الذى حمل عنوان: (فصل فى زيارة قبر الرسول (ص) وأذكارها)، إلى: (فصل فى زيارة مسجد رسول‌الله ..).

وبالطبع، لم‌ينسوا حذف كلام النووى المتعلِّق بهذا الفصل، الذى يوجب توجّه كل حاج لزيارة قبر الرسول (ص)، معتبراً ذلك من أهمِّ القُربات وأفضل الطلبات.

منهج السالك

ورسالة منهج السالك إلى بيت الله الحرام شكَّلت إزعاجاً كبيراً للوهابيّين وفضحاً لهم؛ لكون مؤلّفه من أتباع المذهب

ص: ۱۳۹

الحنبلی، الذی یدَّعون التمسّک به.

وقد قام الوهابیّون بتغییر اسم الرسالة، حتی یموِّهوا علی المسلمین، فسمّوها: (تنبیه زائر المدینة علی الممنوع والمشروع فی الزیارة).

قال الوهابی المحقِّق فی مقدّمته: (وأشرت إلی أنَّ ما جاء به فیما أسماه بالخاتمة فی زیارة قبر النبی (ص)، لا یتَّفق مع ما قرَّره علماء السلف، فصوَّبت ما ذکره من أخطاء فیما استند إلیه من أدلّة واهیة).

وقد بیّنّا سابقاً أنَّ ما قرَّره علماء السلف هو مشروعیة زیارة قبر الرسول (ص)، لا منع هذه الزیارة وتحریمها کما یقول الوهابیّون، وهو ما یعنی أنَّ نسبة هذا الأمر لعلماء السلف من أکاذیب الوهابیة.

أمّا ما قصده الوهابی بالأدلّة الواهیة، فهی روایة: (مَن حجَّ ولم یزرنی فقد جفانی).

وروایة: (مَن حجَّ فزار قبری، فکأنّما زارنی فی حیاتی).

ونقل المؤلّف استحسان ابن حنبل التمسّح بالمنبر، ونقل قوله: (لا بأس بالتمسّح بالقبر).

وکل ذلک عدَّه الوهابی من الأدلّة الواهیة. ولو لم یعدّها من الأدلّة الواهیة، لضاع مذهبه وسقطت عقیدته.

مطارق النور

وقام واحد من الوهابیِّین الباکستانیین باستخراج نصوص

ص: ۱۴۰

من أقوال ابن تيميّة التى يردّ بها على العلامة الحلّى فى منهاج السنَّة، وصنع محاورة مزعومة بينهما أسماها: (مطارق النور تبدِّد أوهام الشيعة) (۱)

وكان الفائز فى هذه المناظرة- بالطبع- هو ابن تيميّة، أمَّا الحلّى، فلم يكن يكاد يردّ، وكثيراً ما كان يلوذ بالصمت.

إلّا أنَّ صانع المناقشة لم‌يكن ذكياً؛ فقد اقتطع أقوال ابن تيميّة ولم يُحسن ترتيبها ولادعمها بالأدلة، ممّا جعل القارئ يشكّك فيها.

ومن الثابت تاريخياً أنَّ ابن المطهّر الحلّى لم‌يلتقِ ابن تيميّة ولم يناظره، على الرغم من كونهما أبناء عصر واحد. وابن تيميّة فى مقدّمة منهاج السنّة يقطع بأنَّ ردَّه على الحلّى كان غيابياً؛ إذ يقول: (أحضر إلىَّ طائفة من أهل السنّة والجماعة كتاباً صنّفه بعض شيوخ الرافضة فى عصرنا، منفقاً لهذه البضاعة، يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية مَن أمكنه دعوته من ولاة الأمور، وغيرهم من أهل الجاهلية ... وذكر مَن أحضر لى هذا الكتاب أنَّه من أعظم الأسباب فى تقرير مذاهبهم، وطلبوا منّى بيان ما فى هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب ...).

ويتّضح لنا من خلال كلام ابن تيميّة، أنَّ المناقشة المزعومة هى من صُنع خيال هذا الوهابى، الذى لم‌يُحسن

۱- طبع القاهرة، عام ۱۹۷۸ م و قد استعرضناه بالتفصيل فى كتابنا: المناظرات بين فقهاء الشيعة وفقهاء السنة.

ص: ۱۴۱

إتقانها وسدّ عوراتها، فبدت مهلهلة واهية، لترتدّ فى نحره وتكون حجَّة عليه وعلى الوهابيّين (۱)

مناظرة الرافضى

ونشر الوهابيّون مؤخّراً ما أسموه: (مناظرة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضى .. فى التفضيل بين أبى بكر وعلى).

وهو منشور مثل سابقه، بدا فيه الإمام الصادق وكأنَّه واحد من فقهاء السنّة، يذود عن الشيخين ويستحضر الدليل من هنا وهناك ليُثبت أفضليتهما على الإمام على (ع)، والأدلّة التى يستحضرها هى أدلّة أهل السنّة المعتادة، التى يعتمدون عيها دائماً فى إثبات أفضلية الشيخين على الإمام على.

وبدا الرافضى أمامه ضعيف الحجَّة مُستسلِم على الدوام.

ويبدو فى هذه المناظرة المزعومة الكثير من أوجه الخلل، التى تشير إلى كونها من وضع أحد خصوم الشيعة فى الماضى. ومثل هذا المنشور يهدف لضرب الشيعة بالإمام الصادق. ومحقِّقه الوهّابى يعرض فى مقدّمته رواية منسوبة للصادق، رواها الذهبى فى تاريخه عن سالم بن أبى حفصة، تقول: (سألت أبا جعفر وابنه محمد عن أبى بكر وعمر، فقال: يا سالم، تولّهما وابرأ من عدوّهما، فإنّهما كانا إمامَى هدى ..)

وعلَّق المحقّق الوهابى على هذه الرواية بقول الذهبى:

۱- انظر المناقشة الواسعة لهذا المنشور الوهابى فى كتابنا: المناظرات بين فقهاء السنّة والشيعة.

ص: ۱۴۲

(هـذا إسـناده صـحيح، وهـذا الخبر يظهر موقف أهل البيت الطاهرين من الخلفاء الراشـدين، وأنَّ كل ما يُنسب إليهم من أقوال تخالف ذلك، فهو محض افتراء عليهم).

ثُمَّ علَّق بقوله: (وهـذا النص يـدين الرافضـة من جهـة إسـناده ومتنه؛ فهم رواته، وهو قول إمامهم الخامس والسادس، وهذا يهدم أصـلًا عظيماً من أُصول القوم الذى يعتقدونه فى وزيرى نبيّنا محمد (ص)، ومن ثمَّ فى بقيّة جماهير الصحابة ..).

نهج البلاغة

كان الوهابيّون دائماً يشكّكون فى كتاب نهج البلاغة، ويعتبرونه منسوباً للإمام على، وأنَّه من وضع الشريف الرضى.

وسرُّ هـذا التشـكيك يكمُن فى ذلـك الكم من النصوص المتعلِّقـة بالصـحابة التى يحويهـا الكتـاب، وغيرهـا من النصوص التى تمسّ معتقـداتهم. إلّا أنَّهـم أمـام الانتشـار الواسـع للكتـاب بين المسـلمين، اضـطرّوا إلى تحقيقه ونشـره من جديـد، محـذوفاً منه العديـد من النصوص التى اعتبرها المحقّق ضعيفة.

ومادام الأمر قـد دخل فى الصـحيح والضـعيف، فهـذا يعنى أنَّ نهج البلاغة قد تمَّ الاعتراف به من قِبلهم، ككتابٍ جامع لخُطب وأقوال الإمام على.

وهذا من تناقضات الوهابية التى تكشف أكاذيبهم؛ فبعد أن

ص: ۱۴۳

كانوا يشكِّكون فى الكتاب، عادوا ليعترفوا به ويصحِّحوه.

وبالطبع، فإنَّ هذا التصحيح إنّما يخضع لقواعدهم ومعتقداتهم، لا للمنهج العلمى والموضوعيۀ.

وعلى رأس ما تمَّ حذفه من نهج البلاغۀ (الخطبۀ الشَقشَقيَّۀ)، التى يتعرّض فيها الإمام للخلفاء الثلاثۀ: أبو بكر، وعمر، وعثمان. وكذلك الخطبۀ التى تتعلَّق بأصحاب وقعۀ الجمل (۱)

العَواصِم من القواصِم

كانت الطبعۀ الكاملۀ من كتاب العواصم من القواصم، لأبى بكر بن العربى (ت ۵۴۳ ه)، تَصلُ إلى الأربع مئۀ صفحۀ، واستغرق ابن العربى أكثر من نصف الكتاب فى مناقشۀ العديد من القضايا الكلاميۀ والفلسفيۀ والعرفانيۀ، والردّ على أصحابها.

وكان الفصل أو الموقف الأوّل من الكتاب- كما سمّاه- يحمل عنوان: فى بيان قول مَن أنكروا الحقائق المحسوسۀ.

والثانى تركَّز حول: ما يُفاض على العبد من عرفان يستغرق الأدلّۀ والبيان.

والثالث كان فى: قول طائفۀ لا معلوم إلّا بالمحسوس.

والرابع- وهو أطول فصول الكتاب- حمل عنوان: فى قول

۱- انظر: نهج البلاغۀ، طبعۀ قطر، تحقيق: عبد السلام هارون. وقد تمَّ اختصار الكتاب إلى النصف تقريباً.

ص: ۱۴۴

إنَّ العلم لا يُؤخذ إلّا من المعصوم،

والردّ على هذه الطائفة.

وعاصمةٌ بعنوان: ليس فى نصوص الشرع ما يُصادم العقل.

وعاصمة: فيما يعارض ظاهره العقل.

وجعل ابن العربى فصلًا فى كتابه للردِّ على أبى يعلى الحنبلى المجسِّم، فى كتابه إبطال التأويلات، الذى كفَّره بسببه، وغيره من الموضوعات التى تتعلّق بهذه الأمور.

أمَّا القسم الثانى من الكتاب، فقد تركَّز حول خلافات الصحابة، وما دار بينهم من حوادث ووقائع، عملَ ابن العربى على تبريرها، بطُرق تصطدم بالعقل والمنطق وحركة التاريخ، معتبراً أنَّ مخالفة مثل هذه التبريرات يعدّ قاصمة، والامتثال لها يعد عاصمة.

وهو القسم الذى اقتطعه محبّ الدين الخطيب من الكتاب، وقام بتحقيقه ونشره للمرة الأُولى عام ۱۳۷۱ ه. فى مصر، وأسماه (العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى)، وتلقَّفه منه الوهابيّون، وقام بالتعليق عليه العديد من رموز الوهابيّة، الذين زادوا بتعليقاتهم الطين بلّة، وزادوا الكتاب حدَّة فوق حدّته، ثُمَّ نشروه بين المسلمين فى كل مكان وبلغات عدّة؛ ليُصبح من أهمِّ المصادر التى يُعتمد عليها فى مواجهة الشيعة، ومَن يتعرَّض للصحابة.

وكان العواصم من القواصم قد قام بطبعه الشيخ عبد الحميد بن باديس عام ۱۳۴۷ ه. فى جزأين، عن مخطوطة

ص: ۱۴۵

جامع الزيتونـة. وقام ابن الخطيب بأخذ قسـماً من الجزء الثانى- من صـفحة ۹۸ إلى صفحة ۱۹۳- ونشـره، معتمداً على هذه المخطوطة فقط، ولم يلتفت إلى أىِّ مخطوطة أُخرى (۱)

وقـام الوهـابيّون مؤخّراً بتحقيق العديـد من كتب التراث وإعـادة طبعهـا من جديـد، بعـد أن حـذف منها العبارات التى توهن من بعض الصحابة، أو ترفع من مقام أهل البيت:.

ومن بين ما تمَّ حـذفه من هذه الكتب، عبارة: (عليه السـلام)، التى كانت تُكتب عادة عند ذكر الإمام على أو فاطمة الزهراء، أو الحسـن والحسين: (۲)

وقـاموا أيضـاً بتحقيق العديـد من كتب ابن تيميّـة ورسائـل ابن عبـد الوهـاب، ودعمها بالأسانيـد، وسـدّ الثغرات التى بها وستر عوراتها، وإعادة نشرها من جديد (۳)

وقـد امتـدَّت أكـاذيب الوهـابيّين إلى كتب التاريـخ، فشـكَّكوا المسـلمين فيهـا، عـدا تاريـخ ابن كـثير؛ لكونه يسـير على نهجهم ويلتزم بعقائدهم. ومن بين الكتب التاريخية التى شكَّكوا فيها:

* تاريخ الطبرى.

* مروج الذهب للمسعودى.

* الإمامة والسياسة لابن قتيبة.

* تاريخ اليعقوبى.

* الفتوح لابن الأعثم.

۱- انظر: مقدمة الطبعة المصرية. وكان الكتاب قد نشره بعد ذلك كاملًا فى قسمين للدكتور عمار طالبى، الأستاذ بجامعة الجزائر.

۲- كانت هـذه العبارة منتشـرة فى كتب التراث، مثل: الطبعات القديمة من البخارى، وشـرحه فتح البارى، وكذلك فى مسـلم وشـرحه للنووى، بالإضافة إلى كتب التاريخ وغيرها.

۳- على رأس هذه الكتب منهاج السنّة لابن تيميّة، الذى تمَّ تحقيقه وطبعه فى ثمانِ مجلّدات.

ص: ۱۴۶

ص: ۱۴۷

أكاذيبهم على الشيعة

اشارة

مثَّل الشيعة عُقدة للحنابلة القدامى، ولازالوا يمثّلون عُقدة للوهابيّين اليوم، وعقبة كؤود تقف فى طريقهم، بعد أن فرضوا أنفسهم على أهل السنَّة وتغلغلوا فى مؤسّساتهم، واستقطبوا العديد من رموزهم، وأصبح صوتهم هو الأعلى وسطهم.

إلّا أنَّ صوت الشيعة ارتفع أيضاً، وعلا نجمهم بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران، وهو ما شكَّل إزعاجاً كبيراً لهم، ودفع بهم إلى العمل بكلِّ طاقتهم وإمكانيّاتهم، من أجل تشويه الشيعة وتأليب المسلمين عليهم فى كل مكان.

واللغة التى يستخدمها الوهابيّون فى مقاومة الشيعة هى لغة قديمة، تعتمد على أقوال الحنابلة وابن تيميّة، أى أنَّ الوهابيّين يواجهون الشيعة فى الحاضر بعقل الماضى.

من هنا، فإنَّ حربهم هذه لم تأتِ بنتيجة تُذكر، بل إنَّها

ص: ۱۴۸

أسهمت فی إلقاء الضوء علی الشیعة أکثر، وما نراه من تواتر الشباب السُنِّی علی الشیعة وإعلان تشیّعه هو الدلیل علی ذلک.

والوهابیّون رغم علوِّ صوتهم، لیسو سوی مجرّد نقَلَة لکلام ابن تیمیّة، ولایمثّلون شیئاً فی واقع المسلمین، وهم فشلوا- علی ما هو ظاهر- فی دفع أغلبیة المسلمین للتخلّی عن زیارة المراقد، والاحتفاء بأصحابها والتوّسل بهم، وهذا یشکّل فشلًا ذریعاً لهم؛ لکون قضیة الزیارة والاحتفال والتوسّل هی قضیّتهم الکبری، التی نهض بها إمامهم محمد بن عبد الوهاب.

والهجمة علی الشیعة من قِبل الوهابیّین تمثّلت فی عشرات المنشورات، التی لیس لهم جهد یذکر فیها، وإنّما هی منقولة بالکامل من کُتب الحنابلة القدامی، وکُتب ابن تیمیّة، وکتب بعض المعاصرین من خصوم الشیعة. حتی أنَّ کل ما ینطقون به فی خطبهم وقنواتهم الفضائیة، هو منقول من هذه الکتب. وهذا الأمر إنْ دلَّ علی شیء، فإنّما یدلّ علی إفلاس الوهابیّین، وضحالة عقولهم وضعف لُغتهم، فی مواجهة خصومهم الشیعة.

ولایمکن القول إنَّ حرب الوهابیّین ضدَّ الشیعة، ونشرهم الأکاذیب حولهم، تنحصر فی الدائرة المذهبیة، إنَّما حربهم هذه لها وجه آخر، أمنی وسیاسی، لا مجال للخوض فیه هنا.

ص: ۱۴۹

والحقّ أنَّ الوهابيّين- منذ بروزهم فى جزيرة العرب- ليسو سوى أداة لجهات أجنبية متربّصة بالإسلام والمسلمين، استخدمتهم من قَبلُ فى ضرب الدولة العثمانية، واستخدمتهم فى تفريق المسلمين وتوطين الخلافات والنزاعات فيما بينهم، واستخدمتهم فى اللعبة الأفغانية، وتستخدمهم الآن فى لعبة الإرهاب العالمى، وزعزعة استقرار العديد من الدول، ثُمَّ ضدّ إيران والشيعة.

وما سوف نستعرضه من خلال هذا الباب، هو كمّ الاتّهامات والطعون والشُبه التى يثيرونها من خلال هذه المنشورات، التى تؤكِّد أنَّ الوهابيّين يعيشون أزمة كبيرة، بسبب شعورهم بالخطر من قِبل الشيعة. وهى تؤكِّد من جهة أُخرى صِدق ما قلناه.

ويمكن حصر القضايا التى تركَّزت حولها منشورات الوهابيّين فيما يلى:

* ابن سبأ.
* تحريف القرآن.
* سب الصحابة.
* نكاح المتعة.
* الوصيَّة والتقيَّة والرجعة والعصمة والغيبة.
* الشيعة والتتار.
* الشيعة والصليبيِّين.

ص: ۱۵۰

ابن سَبأ

فی منشورٍ وهّابی تحت عنوان: (توضیح النبأ عن مؤسِّس الشیعة عبد الله بن سبأ)، أجهد صاحبه الیمنی نفسه، فی محاولة إثبات وجود ابن سبأ، من خلال مصادر السنّة والشیعة، وهو یهدف من وراء ذلک إدانة الشیعة وربطها بمقالة ابن سبأ. وما دام قد ثبت ذلک حسب تصوّره، فهذا یؤکِّد یهودیة التشیّع.

ومن الواضح أنَّ صاحبنا حاله کحال بقیّة الوهابیّین، یفتقد إلی أدوات البحث العلمی، وتحصیل النتائج من خلال المصادر.

وبغضِّ النظر عن اتّجاه البعض، الذی یؤکِّد أنَّ شخصیة ابن سبأ وهْمیَّة، فإنَّ الأمر هنا لا یتعلّق بوجوده من عدمه، وإنّما یتعلّق بمقالته.

والسؤال هنا: ما هی مقالة ابن سبأ؟

وهل تقول بها الشیعة أم لا؟

والجواب هو: أنَّ المصادر التاریخیة والعقائدیة نسبت له العدید من الأقوال، إلّا أنَّ ما یعنینا هنا هو ما قاله ابن تیمیّة- مَرجِع الوهابیّة- بشأنه.

قال ابن تیمیه: (وکان ظهور البدع بحسب البُعد عن الدار النبویة، فلّما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان، ظهرت بدعة الحروریة (الخوارج)، وتقدَّم بعقوبتها الشیعة من الأصناف

ص: ۱۵۱

الثلاثـة الغاليـة، حيث أحرقهم على بالنار. والمفضّـلة، حيث تقـدَّم بجلـدهم ثمانين. والسَبَئيّـة، حيث توعَّدهم وطلب أن يُعاقَب ابن سـبأ بالقتل أو بغيره، فهرب منه) (۱)

ويظهر من خلال كلام ابن تيميّة أنَّ السبئيّة هم الصنف الثالث من الغلاة، الذين لا يقولوا بإلوهيّته، والذين لا يقولوا بأفضليّته.

السؤال هنـا هو: إذا كـانت السبئيّـة لم‌تقـل بإلوهيّـة على، ولم تقـل بأفضـليّته، فبماذا قالت حتى توعّـدهم الإمام على، وطلب أن يعاقبهم بالقتل أو بغيره، حسب قول ابن تيميّة؟

والراجح أنَّهم قالوا بإمامته، فهى الفكرة الباقية التى تُنسب للشيعة بخصوص الإمام على.

والسؤال هو: هل القول بالإمامة هو غُلوّ فى الدِّين؟

والجواب: عند الحنابلة والوهابيّين: بلى بالطبع.

إلّا أنَّ الإمامة عند الشيعة لها أدلّتها من الكتاب والسنّة، وما دامت لها أدلّتها، فقد خرجت من دائرة الابتداع والغُلو.

وبالطبع هذا الكلام لا يرضى حنابلة العصر من الوهابيّين، الذين يتعبَّدون بالروايات وأقوال الرجال.

قال ابن تيميّة: (ذكر أهل العلم أنَّ مبـدأ الرفض إنّما كان من الزنـديق عبـد الله بن سـبأ، فإنّه أظهر الإسـلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يفسد الإسلام. كما فعل بولص النصرانى، الذى

۱- مجموع الفتاوى، ج ۲۰، ص ۳۰۱.

ص: ۱۵۲

كان يهوديا، فى إفساد دين النصارى) (۱)

وما يظهر لنا من هذا الكلام، أنَّ ابن سبأ أظهر مبدأ الرفض، وحاول أن يفسد به الإسلام، ويفعل به كما فعل بولس بالمسيحية.

ومبدأ الرفض فى مفهوم أهل السنَّة وابن تيميّة، يُقصَد به تقديس الإمام على والقول بإمامته، كما تقول الشيعة، الذين أطلقوا عليهم اسم الرافضة.

وتُجمع المصادر التاريخية والعقائدية على أنَّ تسمية الشيعة بالرافضة ارتبطت بزيد بن على بن الحسين؛ حين تمرَّد عليه الشيعة بسبب قوله بتولّى أبى بكر وعمر.

قال الزبيرى عن زيد: (ولحقته الشيعة فسألوه الرجوع معهم والخروج فقبل، فتفرَّقوا عنه إلّا نفراً، فنُسبوا إلى الزيدية، ونُسب مَن تفرَّق عنه إلى الرافضة. يزعمون أنَّهم سألوه عن أبى بكر وعمر فتولّاهما، فرفضته الرافضة) (۲)

وهذا الكلام لنا معه وقفات.

أوّلًا: من الواضح، من خلال هذه الرواية، أنَّ الشيعة متواجدون قبل زيد، ولهم موقفهم الثابت من أبى بكر وعمر.

ثانياً: أنَّه لا يوجد مُبرِّر منطقى لتوجيه هذا السؤال لزيد من قِبل أتباعه.

ثالثاً: إنَّ ابن سبأ يسبق فترة زيد بأكثر من قرن، وهذا يعنى

۱- مجموع الفتاوى، ج ۲۸، ص ۴۶۸ وما بعدها.

۲- انظر: نسب قريش، ج ۲، ص ۶۱، لمصعب الزبيرى المتوفّى عام ۲۳۶ ه.

ص: ۱۵۳

أنَّ الرافضة برزوا من بعده، فلا يوجد مُبرِّر لربطه بهم.

رابعاً: إنَّ الرواية تؤكِّد أنَّ المسألة تتعلَّق بأبى بكر وعمر، لا بأُصول الدِّين.

وقال ابن السكّيت: (الرفض مصدر رفضتُ الشيء أرفضه، إذا تركته. قال الأصمعى: ومنه سُمِّيت الرافضة، لأنّهم تركوا زيداً) (۱)

وقال ابن كثير حول قصّة زيد بن على: (فلهذا سُمّوا الرافضة، ومَن تابعه من الناس على قوله سمّوا الزيدية. وغالب أهل الكوفة منهم رافضة، وغالب أهل مكّة إلى اليوم على مذهب الزيدية، وفى مذهبهم حقّ وهو تعديل الشيخين، وباطل وهو اعتقاد تقديم على عليهما. وليس على مقدَّم عليهما، بل ولاعثمان، على أصحِّ قولَى أهل السنّة الثابتة، والآثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة) (۲)

وروى ابن حنبل عن الرسول (ص) قوله: (يكون فى آخر الزمان قوم يُنبزون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم إنّهم مشركون) (۳)

وفى رواية: (يكون فى آخر الزمان قوم يُنبزون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم إنَّهم مشركون.

۱- انظر: ترتيب إصلاح المنطق: ج ۱، ص ۱۷۶؛ وانظر: مقالات الإسلاميين، الأشعرى؛ وكُتب الفرق والملل والنحل.

۲- انظر: البداية والنهاية، ج ۹، حوادث عام ۱۲۱ ه.

۳- انظر: فضائل الصحابة، ج ۱، ص ۴۱۷؛ والمسند، ج ۱، ص ۱۰۳؛ وتاريخ البخارى، ج ۱، ص ۲۷۹؛ وفى كتاب السنّة لابن حنبل قال: إنَّه ضعيف.

ص: ۱۵۴

قلت: یا رسول‌الله، ما العلامة فیهم؟

قال: یقرضونک بما لیس فیک، ویطعنون علی أصحابی یشتمونهم).

وفی روایة ثالثة: (یکون فی آخر الزمان قوم یُنبزون الرافضة، یرفضون الإسلام ویلفظونه، فاقتلوهم فإنَّهم مشرکون، لا یشهدون جُمعة ولاجماعة، ویطعنون فی السَلَف) (۱)

ویبدو التناقض واضح بین الروایات الثلاثة. ومنذ متی وردت کلمة سلَف علی لسان رسول‌الله (ص)؟!!

وما یؤکّد هذا التناقض، استحضار صاحبنا الیمنی لروایة تقول: (یا علی، یکون فی آخر الزمان قوم لهم نبز یعرفون به، یُقال لهم الرافضة، فإنْ أدرکتهم فاقتلهم، قتلهم الله تعالی، فإنَّهم مشرکون).

وهذه الروایة لا تتناقض فقط مع الروایات السابقة، بل تنسفها نسفاً؛ إذ أنَّها تربط مقاومة الرافضة بعلی، وهذا یعنی أنَّهم لیسوا من أتباعه.

إلّا أنَّ المعروف تاریخیاً أنَّ علیّاً قاتل عائشة والزبیر وطلحة، ومعاویة، وغیرهم من الصحابة. فهل هذا یعنی أنَّ هؤلاء هم الرافضة الذین أشار إلیهم الرسول (ص)؟

والعجیب أنَّه أراد بهذه الروایة أن یضرب الشیعة بالإمام علی!

۱- انظر: السنَّة لابن أبی عاصم: بابٌ فی ذکر الرافضة.

ص: ۱۵۵

وقد اعترف صاحب المنشور بأنَّ حكاية ابن سبأ رويت عن طريق سيف ابن عمر، المتَّهم بالوضع والكذب عند علماء الرجال، إلّا أنَّه أراد أن ينفى هذا بقوله: (والصحيح أنَّه متروك). ولكن قد اشتهرت روايته عن ابن سبأ اشتهاراً زائداً مستفيضاً!

ونقل قول ابن حجر العسقلانى عنه: (ضعيف الحديث عهدة فى التاريخ). وقول ابن حجر لا يمثِّل حجَّة على الشيعة، وهو إشارة لغباء الاستدلال عند الوهابيّين؛ لكون ابن حجر ليس من فقهاء الشيعة، فقوله لا يمثِّل حجَّة عليهم.

وما يجب الإشارة إليه هنا، هو أنَّ فقهاء أهل السنّة دقَّقوا كثيراً فى سند الرواية النبوية وأهملوا متنها، وحتى تدقيقهم فى السَند قام على أُسُس مذهبية متعصّبة؛ كانت نتيجته رفض الرواة الذين يخالفون معتقداتهم ومذاهبهم، والتشكيك فيهم.

ومن صور ذلك، أنَّ يحيى بن سعيد القطان شكَّك فى الإمام جعفر الصادق (ع)، وقال: (فى نفسى منه شىء، ومجالد أحبّ إلىّ منه).

وجاء البخارى فتبنَّى مقولة القطان، ولم يروِ للصادق فى كتابه.

وجاء ابن تيميّة من بعدهم فى كتابه منهاج السنَّة، الذى يردّ فيه على كتاب العلّامة الحلّى منهاج الكرامة، فشكَّك فى

ص: ۱۵۶

الصادق على أساس موقف البخارى منه (۱)

هذا فى الوقت الذى يقرّ فيه الفقهاء بصدق الخوارج وقبول رواياتهم!

والفقهاء ركّزوا على الرواية النبوية من حيث السند، وأهملوا الرواية التاريخية مع أهمّيتها، ممّا فتح الباب على مصارعه لدخول الإسرائيليّات والخرافات والموضوعات، ومنها حكاية ابن سبأ، والخوارق التى تتعلّق بما سُمِّى بالفتوحات (۲)

من هنا .. اعتُبر سيف بن عمر وأمثاله فى عهدة التاريخ.

ادِّعاءات

وتُنسَب لابن سبأ فكرة الرجعة والوصية والبداء، التى تقول بها الشيعة. وفكرة الرجعة ليست من الأُصول العقيديّة عند الشيعة، وهى لا تخرج عن كونها مجرَّد تصوّر يرتبط بدور أئمَّة أهل البيت وقيمتهم؛ حيث يُعتقد أنَّ هناك حشر فى الدنيا يسبق حشر الآخرة، وذلك للَّذين ظلموا أهل البيت وانتهكوهم، وكذلك عقاب يسبق عقاب الآخرة لهم.

وهذا المعتقد له ما يبرِّره من نصوص القرآن.

مثل قوله تعالى: يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً

۱- زكّى فقهاء أهل السنّة الإمام الصادق، أمّا مجالد، فقد جرحه العديد منهم. انظر: كتب التراجم.

۲- انظر أمثلة من هذه الخرافات فيما أُطلق عليه الفتوحات فى: تاريخ الطبرى، وكتب التاريخ عندهم.

ص: ۱۵۷

وقوله: يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً

وقوله: فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً

وقوله: رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ..

أمّا فكرة الوصية، فالشيعة يعتقدون بأنَّ الرسول (ص) أوصى لعلى بالإمامة من بعده. وعلى ضوء هذا المعتقد، تُعتبر خلافة أبى وبكر وعمر وعثمان باطلة وغير شرعية، وهذا يعدّ من نقاط الخلاف الجوهرية بين الشيعة والسنّة، والتى قامت على أساسها فكرة الإمامة، التى اعتُبرت أصلًا من أُصول الدين، بجانب الشهادتين.

وفكرة الوصية أو الإمامة لا تصطدم بجوهر الدين أو ثوابته، إنّما ضُخِّمت من قِبل أهل السنّة والحنابلة الوهابيّين خاصة، لكونها تصطدم مع معتقداتهم التى تتعلَّق بالصحابة وأبى بكر وعمر، المقدَّمين على الأُمّة.

أمّا البداء، فهو فكرة تتعلّق بقوله تعالى: يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (۱)

وهى فكرة تُشبه فكرة النسخ، وتتعلَّق بالقدر المكتوب على ابن آدم.

والوهابيّون وخصوم الشيعة يشيعون عنهم أنَّهم يقولون بأنَّ الله سبحانه يبدى ويظهر أمراً لم‌يكن يعلمه.

وليست فكرة البداء عند الشيعة بهذه الصورة.

يقول الشيخ السبحانى: (لو كانوا واقفين على مراد

۱- الرعد: ۳۶.

ص: ۱۵۸

الشيعة من تجويز البداء على الله، لتوقَّفوا عن الاستنكار، ولأعلنوا الوفاق) (۱)

والواضح من روايات أهل البيت: أنَّ فكرة البداء تشير إلى غير المعنى الذى تلقَّفه خصوم الشيعة ويُعلنه الوهابيّون.

رُوى عن الصادق (ع) قوله: (مَن زعم أنَّ الله بدا له فى شىء ولم يعلمه أمس، فأبرأ منه).

وفى رواية أُخرى: (مَن زعم أنَّ الله بدا له فى شىء بداء ندامة، فهو عندنا كافر بالله العظيم).

ويعدّ عِلم البداء فى منظور الشيعة من العلوم الخاصّة بآل محمد:. إلّا أنّ الوهابيِّين لا يعجبهم مثل هذا الكلام، وهم الذين يعتقدون أنَّ الدين مجرّد قوالب جامدة، لا مجال فيه للعلم الخاصّ والكشف وما شابه.

ومن الغريب أنْ تُنسب هذه الأفكار الثلاثة لابن سبأ! مع كونها أفكار لا تصطدم بجوهر الدِّين ولاتضّره فى شىء، بل هى من الأفكار الإيجابية النافعة.

وإذا كانت أفكار ابن سبأ تفسد الإسلام، وفعلت به كما فعل بولس بالنصرانية، كما قال ابن تيميّة، فهل أفسدت هذه الأفكار الإسلام حقّاً؟!

أم هى فى الحقيقة أحرجت أهل السنَّة لمخالفتها عقائدهم؟!

۱- انظر: مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم؛ وانظر: الحقّ والحقيقة بين الشيعة والسنّة، ص ۳۱۴.

ص: ۱۵۹

ويظهر لنا أنَّ كاتب منشور توضيح النبأ قد خرج عن الموضوع، كما هى عادة الوهابيّين، وانطلق يلتقط الروايات من هنا وهناك، لينال بها من الشيعة، وليُصبح كحاطب ليل.

نُقل من العقد الفريد رواية تقول: (كان معنا على سفينة شيخٌ شرس الأخلاق، إذا ذُكر له الشيعة غضب وعقد حاجبيه، ولمّا سُئل لماذا تكره الشيعة؟

قال: ما أكره فيهم إلّا هذه الثِنتين فى أوّل اسمهم؛ فإنّى لم أجدها قط إلّا فى كلِّ شرّ، مثل: شؤم، وشيطان، وشقاء، وشهوه، وشتم، وشُح، ... الخ).

قال الراوى: فما ثبت لشيعى بعدها قائمة.

والسؤال هنا: هل حرف سين، الذى تبدأ به كلمة سُنِّى، لا يشير إلى شيءٍ من الشرّ؟!

وقال فى منشوره: (وذمّ الرافضة متواتر بين المسلمين، متكاثر فى كتبهم مدوّن فى سجلّاتهم، حتى عند الجن).

ولاتعليق على مثل هذا الاستدلال الجاهل الغبى، والمُضحِك أيضاً.

ويُجاهر الوهابيّون بقولٍ منسوب للسيّد الخمينى، التقطوه من كتاب الحكومة الإسلامية: (إنَّ لأئمّتنا مكانة لم يصل إليها نبى أو مَلَك مقرَّب).

وهذا الكلام لا يفهمه إلّا العارفين، أمّا الجهلاء من الوهّابيين، فيستنكرونه ويشنِّعون بصاحبه؛ لكون الدين فى منظورهم صخرة صمّاء.

ص: ۱۶۰

ومن المعروف أنَّ الأنبياء درجات، وهم غير الرُسل، وقد يعلو عليهم الأوصياء أو الحواريّون؛ لعظيم دورهم ومهّمتهم. ودور أهل البيت: ومكانتهم فى الإسلام، تعلو بهم فوق مصاف الأنبياء.

أمّا الملائكة، فهم أقلّ من ابن آدم فى الأفضلية، وهو ما يقرّ به فقهاء أهل السنّة.

يقول ابن حنبل: (إنَّ بنى آدم أفضل من الملائكة، ويُخطئ مَن يفضِّل الملائكة على بنى آدم) (۱)

وهناك من أهل السنَّة مَن يفضِّل الأولياء على الأنبياء، وقد ردَّ ابن تيميّة هذا القول، والوهابيّون ليسوا سوى مردِّدين لكلامه (۲)

وإذا كان ابن آدم- على عمومه- أفضل من الملائكة، فكيف الحال بأئمَّة أهل البيت:؟!

ويحاول الوهابيّون دائماً التأكيد على ربط الشيعة باليهود، سَيراً على سنَّة ابن تيميّة، على أساس شخصية ابن سبأ، وادّعاء تشابه بعض المعتقدات الشيعية مع المعتقدات اليهودية.

وقد نصّ قول ابن تيميّة على ما يلى:

(وقد أشبهوا اليهود فى أمور كثيرة، لا سيّما السامرة من اليهود، فإنَّهم أشبه بهم من سائر الأصناف؛ يشبهونهم فى

۱- انظر: اعتقاد الإمام المُبجّل أحمد بن حنبل، ص ۲۰۶، وانظر العقيدة رواية الخلال، ص ۱۲۶.

۲- انظر: مجموع الفتاوى، ج ۲، ص ۲۲۲ وما بعدها.

ص: ۱۶۱

دعوى الإمامـة فى شـخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكلِّ مَن جاء بحقٍّ غيره يدعونه، وفى اتِّباع الأهواء أو تحريف الكَلِم عن مواضـعه، وتأخير الفطر وصلاة المغرب، وتحريم ذبائح غيرهم.

ويُشبهون النصارى فى الغُلو فى البشر، والعبادات المُبتدعة، وفى الشرك، وغير ذلك ..) (۱)

وما يجب ذكره هنا هو أنَّ هذه المقالة للشعبى، وابن تيميّة استعار جزءاً منها.

قال الشعبى: (إنَّ محنة الرافضة محنة اليهود.

قالت اليهود: لا تصلح الأمَّة إلّا لرجل من آل داود.

وقالت الرافضة: لا تصلح الأمَّة إلّا لرجل من وُلد على.

وقالت اليهود: لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح وينزل سبب من السماء.

وقالت الرافضة: لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدى وينادى مناد من السماء.

واليهود يؤخِّرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة.

واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود يستحلّون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون على النساء عدَّة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون الطلاق الثلاث شيئاً، والرافضة كذلك.

واليهود حرَّفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرَّفوا القرآن.

۱- مجموع الفتاوى، ج ۲۸، ص ۴۷۹.

ص: ۱۶۲

واليهود يُبغضون جبريل ويقولون: هو عدوّنا من الملائكة، وكذلك صنف من الرافضة يقولون: غلط بالوحى إلى محمد) (۱)

والوهابيّون لو عرفوا كلام الشعبى لاستدلّوا به، فهو أوسع وأشدّ من كلام ابن تيميّة. لكنّهم ينقلون لا يبحثون.

وغفل هؤلاء أنَّ الأديان تتشابه فى معتقداتها وشرائعها، وقد تبنَّى الإسلام العديد من شرائع الأديان السابقة.

فاليهودية والمسيحية قد حرَّمت القتل والزنا والسرقة.

والإسلام قد حرَّم ذلك ..

وجميع الأديان التزمت بالوصية.

والإسلام التزم بها.

وكل نبيٍّ كان له وصىّ وأصفياء، أو نخبة صالحة، للقيام بأعباء الدِّين. والرُسل والأنبياء سنّتهم واحدة.

والرسول (ص) كان له وصى (على)، ونُخبة (أهل البيت).

وإذا كان أهل السنَّة لم يلتزموا بالوصيّة ولم يعترفوا بالنخبة، فهو أمر يعود إليهم.

وإذا كان الشيعة قد آمنوا بالوصيّة واقتدوا بالنخبة، فهل هذا يعنى أنَّهم يقلّدون اليهود ويسيرون على خُطاهم؟!

والباحث المدقِّق يكتشف الدور اليهودى المتمثّل فى الإسرائيليات فى تراث أهل السنّة بارزاً وواضحاً. ويكتشف ما

۱- انظر: السنّة للخلال: باب ذكر الروافض؛ وانظر مناقشة هذا الكلام فى كتابنا: ثقافة الإرهاب فى كتب الوهابيّة.

ص: ۱۶۳

هو أدهى وأمرّ، وهو أنَّ هؤلاء الوهابيّين المـدَّعين، هم الذين تتشابه عقائدهم مع عقائد اليهود، فيما يتعلَّق بصـفات الله تعالى. مثل رُؤية الله والعرش، والاسـتواء والتكلّم بالصوت، والنزول وسائر عقائدهم التجسيميّة والتشبيهيّة التى عرضنا لها سابقاً، والتى تتطابق مع نصوص التوراة. وها هى الأمثلة:

جاء فى سفر الملوك، الإصحاح رقم ۲۲، ما يلى: (قد رأيت الربَّ جالساً على كرسيّه).

وفى سفر التكوين، الإصحاح رقم ۱، جاء ما يلى: (فخلق الله الإنسان على صورته).

وفيه أيضاً، الإصحاح رقم ۳: (وسمعنا صوت الربِّ فى هذا المكان).

والإصحاح رقم ۱۱: (فنزل الربُّ لينظر المدينة).

وفيه، الإصحاح رقم ۲۸: (حقّاً إنَّ الربَّ فى هذا المكان).

وفيه، الإصحاح رقم ۳۳: (لأنّى رأيت وجهك كما يُرى وجه الله).

وفيه، الإصحاح رقم ۴۶: (فقال أنا الله، إله أبيك ... أنا انزل معك إلى مصر).

وفى سفر التثنية، الإصحاح رقم ۵، جاء ما يلى: (وجهاً لوجه، تكلَّم الربُّ معنا).

وفيه أيضاً: (إن عدنا نسمع صوت الربِّ، إلهنا).

وفى سفر الخروج، الإصحاح رقم ۱۹، جاء ما يلى: (وموسى يتكلَّم والله يجيبه بصوت ..).

ص: ۱۶۴

وفيه: (ونزل الربُّ على جبل سيناء).

وفى سفر أشعيا، الإصحاح رقم ۲۵، جاء ما يلى: (لأنَّ يد الربِّ تستقرّ على هذا الجبل).

وفى سفر المزامير، الإصحاح رقم ۲، جاء ما يلى: (يضحك الربُّ).

وفيه، الإصحاح رقم ۴۴: (أنت بيدك استأصلت الأُمم وغرستهم).

وفيه، الإصحاح رقم ۴۷: (الله جلس على كرسىّ قدسه).

وهذه النصوص التوراتيۀ تتطابق تماماً مع روايات التجسيم والتشبيه، التى تبنّاها الحنابلۀ وابن تيميّۀ فى الماضى، ويتبنّاها الوهابيّون اليوم. ولنستعرض مقالۀ واحد من الوهابيِّين المعاصرين، يؤكِّد فيها مشابهۀ نصوص التوراۀ لرواياتهم. قال: (وأيضاً، فهذا المعنى عند أهل الكتاب، من الكتب المأثورۀ عن الأنبياء، كالتوراۀ؛ فإنَّ فى السفر الأوَّل منها، (سفر التكوين): (سنخلق بشراً على صورتنا، يشبهنا).

ثُمَّ يقول: (فمن المعلوم أنَّ هذه النُسخ الموجودۀ اليوم من التوراۀ ونحوها، قد كانت موجودۀ على عهد النبى (ص)، فلو كان ما فيها من الصفات كذباً وافتراءً، ووصفاً لله بما يجب تنزيهه عنه، كالشُركاء والأولاد، لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً فى كلام النبى، أو الصحابۀ أو التابعين، كما أنكروا عليهم ما دون ذلك. وقد عابهم الله فى القرآن بما هو دون ذلك، فلو كان هذا

ص: ۱۶۵

عیباً، لکان عیب الله لهم به أعظم، وذمّهم علیه أشدّ) (۱)

وهـذا الکلام یؤکِّد تطابق عقائـد الوهـابیّین مع عقائـد الیهود، وهو بمثابـة اعتراف صـریح منهم بـذلک. ومـا قـدَّمه لتبریر التشـابه بین عقائـدهم ونصوص التوراة، یدلّ علی ضـیاع العقل وأزمة النقل التی یعیشونها، وهو ترد ید لقول ابن تیمیّة: (إنَّ التوراة لم تبدَّل ألفاظها، وإنّما وقع التحریف فی تأویلها).

وجاء صاحبنا الوهابی لیزید الطین بلّة بقوله: إنَّ التوراة الموجودة لم یعترض علیها الرسول (ص)، ولاأحد من الصحابة أو التابعین. وهذا کذب واضح.

وفی منشور لیمنیٍّ آخر، حمـل عنوان: (اذهبوا فـأنتم الرافضـة)، أکَّد فیه صـاحبه علی عصـمة الکتاب والسـنَّة معاً، وأنّهما أساس ومیزان الخوض فی شأن الصحابة، وأنَّ عید الغدیر وعاشوراء من البِدع والضلالات، ودافع فیه عن معاویة.

وقال: (إنَّ الشیعة لم یهتمّوا بعلوم الحدیث، ولایلقون أیّ بال لعلم الجرح والتعدیل).

وقال: (إنَّ کُتب السُنن لیس فیها حدیث واحد فیه انتقاص أو تجریح لأحد من أهل البیت).

وأصدر فتواه القاتلة التی تقول: إنَّ الشیعة محرومون فی الدنیا والآخرة. وأنَّ ابن حنبل قال: (ما علمت أنَّ رافضیاً ختم الله له بخیر).

هذا غیر صور السبِّ والشَتم الأُخری، التی یحشو بها

۱- انظر: عقیدة أهل الإیمان فی خلق آدم علی صورة الرحمن، للتویجری.

ص: ۱۶۶

الوهابيّون كُتبهم عادة.

أمّا ما طرحه من عصمة الكتاب والسنّة، فهو غُلو وكلام باطل لم‌يقل به أحد من الفقهاء، الذين أجمعوا على عصمة الكتاب وحده دون السنّة. وكتب السُنن، بما فيها البخارى، تعرَّضت للعديد من صور النقد والتهذيب على مرِّ التاريخ. بل إنَّ العديد من الوهابيّين المعاصرين تعرّض لهذه الكُتب بالنقد والتهذيب، وقام بتصفيتها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة (۱)

أمّا كون الكتاب والسنّة هما الأساس والميزان فى شأن الصحابة، فهذا صحيح، وهو ما تقول به الشيعة وتُبرهن به على مواقفها تجاه الصحابة، وتعتمد على العديد من الروايات الثابتة فى كتب السُنن، لا فى كتب الشيعة (۲)

ومسألة إنكار عيد الغدير وعاشوراء واعتبارهما بدعة، لا يعنى شيئاً؛ لكون الوهابيّين يُنكرون إحياء المناسبات والاحتفال بالأموات، حتى الاحتفال بمولد الرسول (ص)، وموقفهم هذا مرفوض من قِبل أهل السنّة قبل أن يكون مرفوض من الشيعة.

وفيما يتعلَّق بمعاوية، فهذه مسألة تتعلَّق بالموقف من الصحابة.

أهل السنَّة يعدّون معاوية صحابياً، بينما الشيعة لا تعترف به. ولايمكن القول بضلال الشيعة بهذا الموقف، إلّا إذا اعتبرنا

۱- انظر: هدى السارى، مقدّمة فتح البارى؛ وانظر: كتب المحدّث الوهّابى ناصر الألبانى.

۲- انظر: المراجعات لشرف الدين؛ ومعالم المدرستين للعسكرى.

ص: ۱۶۷

معاوية رُكناً من أركان الإسلام.

ويُجمع أهل السنّة على أنّه لم تصح فى معاوية منقبة، ورغم ذلك يعتقدون فى صُحبته وعدالته، وهو أمر يعود لتعريف الصحابى الذى أجمعوا عليه، والذى ينصّ على أنَّ الصحابى هو كلّ مَن رأى رسول‌الله ولو ساعة، أو سلَّم عليه، أو وُلد فى حياته ومات على الإيمان. حتى أنَّ بعضهم أدخل الجِنّ فى دائرة الصحبة؛ لكونهم شاهدوا الرسول (ص) (۱)

وادّعاء صاحب المنشور أنَّ الشيعة لم يهتمّوا بعلوم الحديث أو الجرح والتعديل، يدلّ على جهله وكذبه، وكونه يُلقى بعبارات منقولة عن غيره بدون وعى.

وكتب الحديث وعلومه كثيرة ومشهورة عند الشيعة، يعرفها الجميع، بل إنَّ شروط الشيعة فى الراوى هى أدقّ من شروط السنّة، وهم ينتقدون الرواية من حيث السند والمتن معاً، ويرون عرض الرواية على القرآن والعقل (۲)

وكتب السُنن تكتظّ بالرواة من الشيعة. فإذا كان الشيعة على هذه الصورة التى يصوّرها الوهابيّون، فلماذا روى السابقون لهم واعتمدوهم (۳)؟!

۱- انظر: مقدّمة الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلانى، ط بيروت، ص ۵.

۲- انظر: رجال الطوسى، ورجال الكشّى، ومعجم رجال الحديث للخوئى، وصحيح الكافى، والموضوعات فى الآثار والأخبار للحسنى.

۳- انظر: هدى السارى، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى. ووجود الرواة من الشيعة فى كُتب السُنن يكشف أكذوبة الوهابيّين التى نقلوها عن ابن تيميّة، الذى وصف الشيعة بالكذب وعدم المعرفة بالمنقول والمعقول.

ص: ۱۶۸

وفيما يتعلَّق بتحريف القرآن، فالمنشورات الوهابيـة تتصيَّد العديد من الروايات الشـيعية التى تقول بزيادة القرآن ونقصانه. ويعتمدون- بالإضافة إلى ذلـك- على كتـاب من وضع أحـد رجـال الشـيعة، وهو كتاب (فصل الخطاب فى تحريف كتاب ربِّ الأرباب) للنورى. وكتاب النورى ليس حجَّة على الشيعة، كما أنَّ العديد من كتب أهل السنّة ليس بالضرورة أن تكون حجّة عليهم.

والفرق بين الروايات التى توجد فى تراث الشيعة، والروايات التى توجد فى تراث السنّة، هو أنَّ هذه الروايات ضعيفة ومرفوضة من قِبل فقهاء الشيعة، بينما هى صحيحة ومقبولة عند فقهاء السنَّة.

ومن جهة أُخرى، فإنَّ هذا الكتاب قد جمع الروايات المتعلِّقة بالتحريف من تراث السـنَّة والشيعة على السواء، لكنَّ الوهابيّين المُغرضين عتَّموا على الروايات المتعلّقة بالسنّة، وركّزوا على روايات الشيعة.

والأهـمّ من ذلك كلّه، هو أنَّ التراث السـنّى حوى الكثير من الروايات التى تتعلَّق بتحريف القرآن، ومن أخطر هـذه الروايات، ما رُوى حول جمع القرآن وتدوينه، وهو ما يشـكِّل معتقد أهل السـنّة حول القرآن. ذلك المعتقد الذى ينصّ على أنَّ الرسول (ص) مات دون أن يجمعه ويبيّنه للناس، وأنَّ الذى تولَّى أمر الجمع هو أبو بكر وعمر.

وهذا الاعتقاد يصطدم بنصوص القرآن، ويفتح الباب للشكّ

ص: ۱۶۹

فيه. ويصطدم بقوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) (۱)

ويشكِّك فى دور الرسول (ص)، الذى يعيش فى كَنف الوحى ويلتزم بتوجيهاته.

كيف له أن يترك القرآن غير مجموع وغير مبيَّن، وهو يعلم أنَّه خاتم الرُسل والأنبياء؟!

ويفتح الباب للشكِّ فى نصوصه؛ من خلال قصّة الجمع، كما رواها البخارى وغيره، والتى تكشف لنا أنَّه لا أبو بكر ولاعمر كان لهما دور فى هذا الجمع، إنَّما وكَّلا المهمّة لزيد بن ثابت، وليس لأحد من كَتَبة الوحى المعروفين، مثل أُبى بن كعب، أو ابن مسعود.

ومن جهة أُخرى، تكشف الروايات أنَّ زيداً لم‌يكن كفؤاً لهذه المهمّة؛ إذ كان إذا اختلفت عليه الآية، يستشهد شاهدين ليشهدا بصحّتها، كى يُثبتها فى المصحف، ولم يجد الآية الأخيرة من سورة التوبة إلّا فى حوزة أبى خزيمة الأنصارى، أى لم‌يشهد هذه الآية ولم يعرفها سوى واحد فى المدينة بأكملها.

وهذا يعنى اتّهام الرسول (ص) بالتقصير فى تبليغ القرآن (۲)

أمّا معتقد الشيعة، فهو أنَّ الرسول (ص) ترك القرآن مجموعاً ومبيّناً، سيراً مع خطّ القرآن، وهو ما تشير إليه رواياتهم،

۱- القيامة: ۱۷- ۱۹.

۲- انظر: البخارى، كتاب فضل القرآن؛ وتفاصيل هذه القصة فى: فتح البارى، ج ۸.

ص: ۱۷۰

وحتى روايات أهل السنَّة الأُخرى (۱)

وما هو أخطر من ذلك، ما رُوى عن وجود سورتين، غير سور القرآن، لم‌يدوّنا فيه، وهما: (سورة الحفد) و (سورة الخلع)!

روى الطبرانى: (أمَّنا أُميّة بن عبد الله بن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنّا نستعينك ونستغفرك ونُثنى عليك ولانكفرك).

وروى البيهقى وأبو داود: نزل جبريل بذلك على النبى (ص) وهو فى الصلاة، مع قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شىء).

وهناك العديد من الروايات التى تشير إلى أنَّ هناك آيات سقطت من القرآن. والمصاحف التى كانت بحوزة الصحابة، قبل أن يحرقها عثمان، كانت تختلف عن بعضها (۲)

ورغم ذلك، يدَّعى الوهابيّون أنَّ لدى الشيعة سورة تحمل اسم الولاية، وأُخرى تسمَّى ذو النورين، لا يظهرونها فى مصاحفهم. كما يدّعون أنَّ لهم مصحفاً سريّاً يسمَّى (مُصحف فاطمة).

۱- وردت فى كُتب السُنن عشرات الأحاديث التى تحضّ على حفظ القرآن، والتى تدلّ على أنّ القرآن كان معروفاً بآياته وسوره فى عهد الرسول، منها: خيركم مَن تعلّم القرآن وعلّمه و تعاهدوا القرآن و مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال و ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلّا حفّتهم الملائكة و كان صحابة رسول‌الله يتغنّون بالقرآن .. هذا بالإضافة إلى الحديث المشهور، الذى أوصى فيه الرسول بالكتاب، فى حجّة الوداع. وكيف يوصى بالكتاب وهو غير مجموع؟!

۲- انظر: الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى؛ والمصاحف للسجستانى؛ والناسخ والمنسوخ.

ص: ۱۷۱

وهـذا من أكـاذيبهم وعـدم أمـانتهم فى النقـل، فلاـ وجود لسورة الولايـة أو سورة النورين فى مصـاحفهم، كما لا وجود لشـيءٍ اسـمه مُصحف فاطمة.

والباحث المـدقِّق فى مصادر الشـيعة لا يجـد أثراً لهـذه السور، أو هـذا المصـحف المزعوم، وكل ما فى الأمر أنَّ خصوم الشـيعة تلقَّفوا السورتين المزعومتين من كتاب فصل الخطاب، ثُمَّ تلقّفها منهم الوهابيّون.

إلّا أنَّ هؤلاء تغافلوا مصـدر هـاتين السورتين، الـذى ذكره النورى فى كتـابه، وهو كتـاب (دبسـتان مـذاهب)، المنشور فى الهنـد أيّام الاستعمار الإنجليزى (۱)

أمّـا مصـحف فاطمـة، فهـو مجموعـة من الوصايـا والنصوص الـتى جمعتهـا السـيدة الزهراء عن أبيهـا (ص)، المتنـاثرة فى شـتّى الكتب والمصادر، والتى لا يجمعها كتاب واحد.

وقد اسـتغلَّ هؤلاء كلمة (مصحف)، التى أطلقها بعض الشيعة على كتاب فاطمة، وغاب عنهم لجهلهم أنَّ كلمة مصحف تُطلق على أىِّ كتاب، وهى كلمة ليست خاصة بالقرآن، وإنّما هى من المسمَّيات التى التصقت به بعد الرسول (ص).

ومن المعتقدات التى يدين بها أهل السنّة والوهابيّون حول القرآن، ما يسمّونه بالموافقات. ويُقصَد بها الآيات التى تنزّلت

۱- التقط محبّ الدِّين الخطيب سورة الولاية المزعومة ونشرها فى رسالته الخطوط العريضة، ومنه نقلها الوهابيّون.

ص: ۱۷۲

موافقـة لرأى عمر لاـ للرسول، وهم يفتخرون بهـذه الموافقـات، على الرغم من كونهـا تضـرب القرآن فى مقتل، وتشـكِّك فى الرسول (ص) (۱)

ومعنى ذلـك أنَّ القرآن كـان يتنزّل على رأى عمر، وأنـه يشـارك الرسـول فى أمر الـوحى، وأنَّ اختيـار الرسـول (ص) لم‌يكن دقيقـاً، بحيث أنَّ الوحى قد اختار عمر إلى جواره، ليذكّره ويسانده بآرائه. والأخطر من ذلك أنّه يتبّه السماء أيضاً، فتنزل الآيات على رأيه.

ويحـاول الوهابيّون، من خلال منشوراتهم، التفرقـة بين أهل البيت والشـيعة؛ بـدعوى أنَّهم لا يمثّلونهم، بل يكـذبون عليهم. وهـذا يعنى أنَّهم هم الممثِّلون لأهل البيت، الحاملين لخُلقهم وعقائدهم. فهل هذا صحيح حقاً؟!

وقضـيّة سبّ الصـحابة هى بدعة حنبلية، تبنّاها ابن تيميّة، وتلقّفها منه الوهابيّون، مستغلّين موقف الشيعة من مُعتقَد عدالة الصحابة، الذى يتبنّاه أهل السنّة، ويدينون به فى تحريض المسلمين عليهم.

وأصل الخلاف فى هذه المسألة يعود إلى الخلاف فى تعريف الصحابى.

ومُعتقِد عدالة الصحابة يصطدم بنصوص القرآن، التى صنَّفت مَن حول الرسول (ص)، وكشفت المنافقين والمتآمرين

۱- انظر: مناقب عمر فى البخارى ومسـلم وكتب السُـنن؛ وانظر: الإتقان فى علوم القرآن؛ والدرّ المسـتطاب فى مناقب عمر بن الخطاب للعمارى؛ وانظر: دفاع عن الرسول. وهو أمر مشهور عند الفقهاء.

ص: ۱۷۳

على الإسلام والرسول من بينهم (۱)

ومادام هذا حال صحابة الرسول، فهذا ينفى عدالتهم بتلك الصورة المطلَقة التى يعتقدها أهل السنّة، والتى تساويهم ببعضهم وتضعهم فى درجة واحدة.

وقد عدَّ القدامى من أهلِ السنَّة توجيه النقد للصحابة، والخوض فى الخلافات والوقائع التى جرت بينهم، خاصة الشيخين (أبو بكر وعمر)؛ عدّوه سباً لهم، يوقع صاحبه فى دائرة الردّة التى توجب الاستتابة أو القتل (۲)

والشيعة لا يعتقدون بعدالة جميع الصحابة، ويوجِّهون النقد لهم، وهذا ما يثير أهل السنّة عليهم. ليس فقط بسبب مُعتقَد العدالة، وإنّما لكون الصحابة يمثّلون الركيزة الأساس فى عقيدتهم، ومحاولة النيل منهم أو المساس بهم، قد يهدم معتقداتهم ويضيّع مذهبهم، الذى يقوم على الرجال أكثر ممّا يقوم على النصوص.

وإذا كان أهل السنّة يؤمنون بعدالة الصحابة، فإنَّ الشيعة يعتقدون بعصمة أهل البيت الاثنى عشر، بدايةً من الإمام على، وحتى الإمام المهدى (ع).

وفكرة تكفير الصحابة التى تُلصق بالشيعة، ليست سوى

۱- انظر: سورة التوبة، كمثال يفضح مَن حول الرسول.

۲- انظر: كتب العقائد؛ وانظر: فتوى السبكى فى جواز قتل سابّ الصحابة؛ وفى الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى، ص ۱۲۸ وما بعدها؛ وانظر فتوى أُخرى فى: رسائل ابن عابدين. وقد تمَّ قتل الكثير من الشيعة بتهمة سبّ الشيخين. انظر: حوادث عام ۷۵۵ ه فى البداية والنهاية.

ص: ۱۷۴

محاولـة من الوهابيّين لإثارة المسـلمين ضدّ الشـيعة، فالفرق كبير بين أن يكون لهم موقف من بعض العناصـر التى كانت حول الرسول (ص)، والتى يعدّها أهل السنّة من الصحابة، وبين الموقف من عموم الصحابة.

والأزمة تكمُن فى أنَّ أهل السنّة لا يفرّقون بين مَن كان حول الرسول، والشيعة يفرِّقون بينهم.

وأساس الإشكال يكمُن فى معاوية ووالده وأُمّه، ومَن كان على شاكلتهم. فالشيعة يعتقدون بعدم إسلام معاوية ووالده وأُمّه، وأنَّهم من الطلقاء. ويكمُن أيضاً فى أصحاب السقيفة، وأصحاب الجمل، وأصحاب صفِّين.

وبالجملـة، يتَّخـذ الشـيعة الإمام على وأهل البيت مقياساً فى مواجهة الآخرين؛ فمَن كان موالياً لهم، كان مقبولًا عندهم، ومَن خاصـمهم وعاداهم، كان مرفوضاً.

وأهل السـنَّة يعتقـدون بأنَّ خير الناس بعد رسول‌الله أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ على فى المرتبة الرابعة. وهو الاعتقاد الذى يرفضـه الشيعة، مقدِّمين عليّاً على الجميع.

قال الأشعرى: (وشذَّ قوم منهم أى من أهل السنَّة فقال: إنَّ علياً أفضل من الشيخين) (۱)

وقال ابن حزم: (ذهب بعض أهل السنّة، وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة، وجميع الشيعة، إلى أنَّ أفضل الأُمّة بعد

۱- انظر: مقالات الإسلاميّين، ج ۲، ص ۱۳۱.

ص: ۱۷۵

رسول‌الله على) (۱)

والسؤال هنا: ما هو الضرر من الاعتقاد بأفضلية على وأهل البيت: على الجميع؟

والجواب: أنَّه ليس هناك ضرر، لا على الإسلام، ولاعلى المسلمين، وإنّما الضرر يقع على مَن جعل الصحابة رُكن من أركان الدِّين.

أمّا مسألة التكفير، فتوجد فى بعض مصادر الشيعة، وقال بها البعض من متطرِّفيهم. إلّا أنَّها لا تعبِّر عن المعتقَد العام للتشيّع، تماماً كما لا تعبّر أفكار ومواقف ابن تيميّة وابن عبد الوهاب التكفيريّة عن أهل السنَّة.

وفكرة العصمة من الأمور التى وضعت الشيعة فى دائرة الاستهداف؛ لكونها فكرة غير مفهومة من قبل الخصوم، كما هو حال فكرة الغيبة.

إلّا أنَّ الشيعة يُبرهنون على عصمة الأئمّة بالعديد من النصوص القرآنية والنبوية، منها:

قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ) (۲)

وقوله تعالى: إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۳)

۱- انظر: الفصل فى المِلل والنِحل، ج ۴، ص ۱۱۱.

۲- النساء: ۵۹.

۳- الأحزاب: ۳۳.

ص: ۱۷۶

وأقوال الرسول (ص) التى تحضّ على الكتاب والعترة.

والآيـة الأُولى ربطهـا أهـل السـنّة بـالحُكّام، وجعلوها دليلًا على وجوب طاعتهم. بينما يرى الشـيعة أنَّ ربط طاعـة أُولى الأمر بطاعـة الله والرسول يعنى عصمتهم، وتقيّدهم التام بهذه الطاعة؛ الأمر الذى ينطبق على أهل البيت لا على الحُكّام.

والآية الثانية خصّصها أهل السنّة فى نساء النبى. بينما اعتبرها الشيعة من الأدلّة القاطعة على عصمة أهل البيت:.

وفيمـا يتعلّق بأحاديث الكتاب والعترة، فهى متّفق عليها بين الشـيعة والسـنّة، إلّا أنَّ السـنَّة لا يعتبرونها مِيزة لأهل البيت، فى الوقت الـذى يعتقد الشيعة أنَّ ربط العترة بالكتاب يعنى عصمتهم؛ لكون الرسول (ص) لا يربط بالكتاب إلّا مَن كان طاهراً أميناً عليه.

وكذلك فكرة غيبة الإمام المهدى لها شواهدها من القرآن والسنَّة.

القرآن ذكر أنَّ نوحاً لبث يدعو قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، وذلك بالإضافة إلى سنيِّ عمره. وذكر كذلك قصّة يأجوج ومأجوج، المنتظرين خلف السـدّ النحاسـى الذى بناه ذو القرنين من آلاف السـنين. وذكر قصّة عُزير الذى أماته الله مائة عام ثُمَّ أحياه. وقصّة أهل الكهف الذين أماتهم الله ثلاثمائة عام ثُمَّ بعثهم.

وأهل السنّة يعتقدون فى حياة الخضر، وأنَّه العبد الصالح

ص: ۱۷۷

الذى رافق موسى (ع).

وطول عمر الإنسان ليس قضيهٔ مُستهجَنهٔ، والاعتقاد فيها لا يمسّ ثوابت الدِّين فى شىء، فقط إنَّ هذا الاعتقاد يصطدم بمعتقدات بعض مذاهب أهل السنّهٔ، وعلى رأسهم الوهابيِّين.

وفيما يتعلَّق بنكاح المُتعهٔ، فهو قضيهٔ فقهيهٔ لا صِلهٔ لها بأُصول الدِّين. الشيعهٔ يُبيحونه وأهل السنّهٔ يحرّمونه. وهو نكاح ضرورهٔ أمر به الرسول (ص) لرفع الضرر عن صحابته فى الغزو والترحال، والخلاف يدور حول نَسخه أو استمرار العمل به.

أهل السنّهٔ يقولون إنَّ الرسول نهى عنه قبل وفاته، وبذلك انتهى أمره. بينما الشيعهٔ يقولون باستمراره من بعد الرسول (ص).

إلّا أنَّ روايات أهل السنّهٔ لا تقطع بنسخ هذا النكاح، بل تُشير إلى استمراره والعمل به من قِبل الصحابهٔ بعد الرسول (ص). ومن هذه الروايات:

عن جابر: (كنّا نستمتع على عهد رسول‌الله وعهد أبى بكر، وسنين من عهد عمر).

وأُخرى تقول: (نزلت آيهٔ المتعهٔ فى كتاب الله، ولم ينهِ عنه أى الرسول- حتى مات). والآيهٔ هى: فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ .. (۱)

وروايهٔ أُخرى تقول: (خطب ابن الزبير بمكَّهٔ فقال: إنَّ أُناساً

۱- النساء: ۲۴.

ص: ۱۷۸

يقولون بالمتعـة، أعمى الله أبصارهم. فسـمعه ابن عبّاس وكان قد فقد بصـره، فأمر سائقه بالتوجّه نحوه، وقال له: إنّما المتعة كانت على عهد إمام المتّقين. فقال ابن الزبير: لئن فعلتها لأرجمنَّك بالحجارة).

وابن عبّاس كان من القائلين بالمتعة، واستمرّ على قوله حتى مات (۱)

ويتحصّن فقهاء أهل السـنّة بموقف عمر الناهى عن المتعـة، بينما هو فى الحقيقـة يدلّ على اسـتمرارها بعد رسول‌الله، وفى عهد الخليفة الأوّل.

والسؤال هنا: هل من حقِّ عمر أن ينهى عن حكم شرعى أباحه رسول‌الله؟

ويبرهن أهل السنّة على حرمة نكاح المتعة بروايتين، هما:

* رواية خيبر التى تقول: (نهى رسول‌الله عن المتعة والحمر الأهليّة).

* وروايةِ فتح مكّة التى تقول:) إنِّى قد أبحت لكم المتعة، ألا إنّى أنهى عنها إلى يوم القيامة (.

هذا، بينما يقومون بتأويل الروايات الأُخرى التى تُشير إلى إباحته، واستمراره بعد وفاة الرسول (ص)، ويستندون على نهى عمر.

وروايةِ خيبر شكَّك فيها فقهاء الأثر، وقالوا: إنَّ الثابت هو

۱- انظر: مسلم: كتاب النكاح، باب نكاح المتعة. وشرحه ج ۹، ص ۱۸۸ النووى؛ وانظر: كتب الفقه. وابن عبّاس توفّى عام ۶۸ ه. وزمن هذه الرواية بعد استيلاء ابن الزبير على مكّة.

ص: ۱۷۹

تحريم الحمر الأهلية لاالمتعة.

وروايۀ الفتح شكّك فيها البخارى وغيره.

والأمر برمَّته محلّ جذب وشدّ بين الفقهاء، ممّا يشير إلى عدم القطع بحرمته (۱)

تقية

ويَحلو للوهابيّين دائماً- أن يتَّهموا الشيعۀ بتبنّيهم التقيَّۀ فى مواجهۀ أهل السنّۀ، وإظهار غير ما يبطنون من الكفر والزندقۀ حسب دعواهم، وهو اتّهام لاحَقَ الشيعۀ من القدم، ولازال الوهابيّون يردِّدونه حتى اليوم.

والتقيَّۀ مبدأ يلتزم به كلّ مَن يشعر بالخوف على نفسه من بطش الآخرين به، وهو مبدأ الأقلّيۀ المُستضعَفۀ المُضطهدَۀ فى مواجهۀ الأكثريۀ المُستبدَّۀ المُستكبرۀ.

وطوال التاريخ كان أهل السنَّۀ يمثّلون التيار السائد والظاهر فى بقاع المسلمين، ويبطشون- بمساعدۀ الحكّام- بالمخالفين لهم من شتّى المذاهب والتيارات، وفى مقدِّمتهم الشيعۀ. فمن ثَمَّ لم‌يكونوا بحاجۀ إلى التقيّۀ، لشعورهم بالأمن والاستقرار.

من هنا اضطرَّ الشيعۀ وغيرهم لإخفاء عقيدتهم عن العامّۀ، والتظاهر بالتسنّن؛ من أجل تجنّب البطش بهم والحفاظ على حياتهم. وهو حقّ مشروع لهم. وهو المقصود

۱- انظر: زاد المعاد لابن القيّم، باب غزوۀ خيبر؛ وكتب الفقه؛ وانظر: زواج المتعۀ حلال فى الكتاب والسنّۀ.

ص: ۱۸۰

من الأحاديث الواردة عن الإمام الصادق (ع)، مثل: (التقيَّة دينى ودين آبائى)، ومثل: (مَن لاتقيَّة له، لا دين له).

ومثل هذه الروايات كان الهدف منها هو حثّ الشيعة على عدم إبراز عقيدتهم؛ تجنّباً للأذى والملاحقة والقتل.

وعلى الرغم من ذلك، كانت عقائد الشيعة وأحكامهم ظاهرة ومُعلَنة، من خلال كتبهم المنتشرة فى كل مكان، ومن قرون طويلة.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازى: (إنَّ المرء مكلَّف بكتمان عقائده أمام المتعصّب العنيد، الذى لا يفهم المنطق، إذا كان فى إظهارها خطر على حياته أو شىء من هذا القبيل، دون أن يحقِّق من وراء إظهارها أيّة فائدة تُرتجى. ويُطلَق على هذا السلوك اسم التقيَّة، التى أخذناها من القرآن والدليل العقلى) (۱)

ويعتبر فقهاء الشيعة أنَّ التقيَّة قد تكون فى بعض الأوقات من المحرَّمات.

يقول الإمام الخمينى: (تحرم التقيَّة فى بعض المحرّمات والواجبات، التى تمثّل فى نظر الشرع مكانة بالغة، مثل هدم الكعبة، والردّ على الإسلام والقرآن، وغيرها ..) (۲)

والشيعة اليوم ظاهرون فى الأرض بعقائدهم ومراجعهم، ولهم دول تُساندهم وتتبنّى عقائدهم، فما الذى يدعوهم

۱- انظر: عقيدتنا.

۲- انظر: الرسائل. وهدم الكعبة وقع على يد الحجّاج بن يوسف الثقفى، حين حاصر ابن الزبير فى مكّة. وعلى يد السعوديّين والفرنسيّين، الذين استعانوا بهم لإخراج جماعة جهيمان العتيبى، الذين اعتصموا بالحرم عام ۱۴۰۰ ه.

ص: ۱۸۱

لتبنّى التقيَّة فى مواجهة الآخرين؟!

لقد انتهى دور التقيَّة بالنسبة للشيعة اليوم، بعد أن تحقَّق لهم الأمن والاستقرار فى الكثير من البقاع، وبعد أن أصبح صوتهم وكلماتهم تصل لكلِّ مكان.

وبقى على الوهابيِّين، الذين لا زالوا يعيشون بعقل الماضى، أن يُدركوا أنَّ فرقهم المختلفة، من تكفيريّين وجهاديّين وسَلَفيين متطرّفين، هى التى تتبنّى التقيَّة اليوم. وأنَّهم يعيشون فى عصر مفتوح لا يحتمل مثل هذه الأكاذيب الساذجة والدعاوى المتخلِّفة.

ولايستحى الوهابيّون من نسبة التكفير إلى الشيعة، وهم الذين يكفِّرون المسلمين فى كلّ مكان، سنَّة وشيعة، وقد ابتلاهم الله مؤخّراً بالفِرق المتطرّفة التى خرجت من تحت عباءتهم، لتُشهر سلاح التكفير فى وجوههم، حتى ضاقوا بها، وعقدوا مؤتمراً لمواجهتها، وأصدروا البيانات فيها، وتصدَّوا لها بالعديد من المنشورات (۱)

الشيعة والتتار

وتبنَّى الوهابيّون دعوى تآمر الشيعة مع التتار ضدّ دولة الخلافة العباسية، وهى دعوى أثارها إمامهم ابن تيميّة من قبل.

۱- من نماذج هذه المنشورات: التبصير بقواعد التكفير، والتحذير من المجازفة بالتكفير، والأسئلة الشامية واليمنية والقطرية والنجدية فى مسائل الإيمان والتكفير.

ص: ۱۸۲

ومثل هذه الدعوى تكشف لنا مدى حقدهم على الشيعة، الذى أغرقهم فى النقل بلا وعى، والتقاط كل دعوى باطلة أو أكذوبة واهية، لينالوا بها منهم.

وقد أصدر الوهابيّون مؤخّراً منشوراً بعنوان: (خيانات الشيعة وأثرها فى هزائم الأُمَّة الإسلامية)، وبدا من خلال محتوياته أنَّ صاحبه مجرَّد ناقل بلا وعى، ولاعلم له بالتاريخ ولابحوادثه.

ومن نماذج الخيانات التى أبرزها فى منشوره:

* خيانة الوزير على بن يقطين لهارون الرشيد.

* خيانة الخليفة الناصر العباسى.

* خيانة الفاطميّين.

* خيانة القَرامطة والبُويهيّين.

* خيانة الوزير ابن العلقمى للخليفة المُستعصم العباسى.

* خيانة نصير الدِّين الطوسى.

هذا بالإضافة إلى خيانات النصيريّة والدروز، والشيعة فى لبنان والعراق والبلاد العربية والهند.

أمّا ابن يقطين، فبغضِّ النظر عن نوع الاتّهام الموجَّه إليه من قِبل هذا الوهابى، فهو مجرَّد مسؤول، وليس فقيهاً من فقهاء الشيعة.

ومن جهة أُخرى، فقد تمَّ تعيينه وزيراً عن طريق الخليفة (السنّى) هارون، والتعيين من قِبل الحكومات إنّما يقوم على

ص: ۱۸۳

أساس الكفاءة، لا على أساس المذهب.

والسؤال هنا هو: إذا كان ابن يقطين شيعياً خائناً، فلماذا قبله هارون وزيراً له؟!

ولو تبنّينا هذه النظرة القاصرة، التى ينظر بها الوهابيّون لكلِّ شيعى باعتباره خائناً، دون النظر لوضعه ومكانته، لاعتبرنا السنَّة جميعهم خوَنة؛ لوجود الكثير من الوزراء والحُجّاب والأمراء والقادة والولاة، الذين خانوا خلفائهم وبلادهم، على مستوى الماضى والحاضر.

والعقل والمنطق، الذى لا يعرفه الوهابيّون، يقول: إنَّ هؤلاء جميعاً، سواء كانوا من الشيعة أم من السنّة، إنّما تحكمهم المصالح، ولاشأن لهم بالدِّين والمعتقد.

وفيما يتعلَّق بالخليفة الناصر، فقد روى عنه ابن كثير ما يلى: (كان قبيح السيرة فى رعيّته، ظالماً لهم، فخرب فى أيّامه العراق، وتفرَّق أهله فى البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم، وكان يفعل الشىء وضدّه، وإن كان ما ينسب إليه صحيحاً، من أنَّه هو الذى أطمع التتار فى البلاد وراسلهم؛ فهو الطامّة الكبرى الذى يصغر عندها كلّ ذنب) (۱)

والناصر هو خليفة سنّى متعصّب، كما ذكر ابن كثير فى ترجمته، وهو جدّ المستعصم، آخر خلفاء بنى العبّاس، الذى سقط فى قبضة التتار. وصاحب المنشور غاب عنه ذلك بسبب جهله ونقله العشوائى، فنسب الناصر إلى الشيعة

۱- نَقَلَ هذا الكلام عن ابن الأثير. انظر: الكامل، ابن الأثير، ج ۱۳، حوادث عام ۶۲۲ ه.

ص: ۱۸۴

دون تبيّن. وكانت هذه سقطة من سقطاته وأكذوبة من أُكذوباته.

أمّا خيانة الدولة الفاطمية، فيقصد بها عملها على نشر التشيّع ومحو السنّة.

وهـذا الوهابى، كما حال الحنابلة القدامى وإمامه ابن تيميّة، الذين يحتكرون الدِّين ويمثِّلون ربّ العالمين، لا يريد أن يسود مذهب فى الأرض إلّا مذهبهم، وسيادة المذاهب الأُخرى، حتى ولو كانت مذاهب سنّية، فهو يعدّ خيانة للدِّين وللمسلمين!

والقرامطة الذين ذكرهم لا شأن لهم بالشيعة، وإنّما هى سنّة ابن تيميّة التى يتعبّد بها، والتى ألصقت كل الفرق بالشيعة، من باب تزييف الحقائق وتسهيل تشويه الشيعة.

والبُويهيّون أو (آل بويه) هم من الفُرس الذين استعان بهم خلفاء بنى العباس، وقد برزوا فى بغداد وأعلنوا التشيّع وأحيوا الشعائر الشيعية من بعد غياب طويل، ممّا اسـتفزّوا الحنابلة المتربّصـين بهم، والذين غاظهم هذا الأمر؛ فأعلنوا الحرب على الشيعة، واستكثروا عليهم هذا البروز، والأمن الذى حُرموا منه طويلًا (۱)

ولمّا كان الحنابلة يعتبرون الخليفة العباسى هو ظلّ الله فى الأرض، فقد اعتُبر الشيعة البويهيّون خونة؛ لاغتصابهم

۱- انظر ترجمـة آل بويه فى: يتيمـة الـدهر فى محاسن أهل العصـر للثعالبى، ج ۲، ص ۲۵۵؛ ووفيـات الأعيان لابن خلكان، ج ۵، ص ۱۲۴؛ والفخرى فى الأحكام السلطانية لابن طباطبا؛ وانظر أيضاً فى كتب التأريخ: حوادث عام ۳۲۰ ه، وعام ۳۵۲ ه.

ص: ۱۸۵

السلطة من هذا الخليفة. وكذلك اعتبر حنابلة العصر، من الوهابيّين، هذا الحدث خيانة عظمى.

ويأتى دور الحديث عن ابن العلقمى والطوسى.

ومرة أُخرى نعيد السؤال: إذا كان ابن العلقمى شيعياً خائناً، فلماذا جعله المستعصم وزيراً له؟!

والجواب سوف يتّضح من خلال سرد الحوادث التى سبقت سقوط بغداد، والحوادث التى واكبت السقوط.

تُشير المصادر التاريخية أنَّ المسلمين كانوا فى حالة انقسام وتناحر فى البلاد المحيطة ببغداد، وقد فقد الخليفة نفوذه، وخرجت الأمور من تحت سيطرته. وكانت الشام فى قبضة الأيوبيّين، من أبناء صلاح الدِّين، الذين تحوَّلوا إلى فِرق متناحرة ودول متصارعة.

كان الملك الصالح إسماعيل، صاحب بعلبك وبُصرى والشام، وملك دمشق بعد أخيه الملك الأشرف، ثُمَّ انتزعها منه أخوه الملك الكامل، ممّا أدَّى به إلى الاستعانة بالإفرنج على حرب أخيه.

ونقول للوهابى صاحب المنشور: أليست هذه خيانة؟!

وكان وزيره أبو الحسن السامرى، ما كان مسلماً ولاسامرياً- حسب تعبير الذهبى فى تاريخه-، بل كان يستتر بالإسلام، ويُبالغ فى هدمه.

ومرّة أُخرى نقول للوهابى الحاقد: ما رأيك فى هذا الكلام، أليس هو خيانة أيضاً؟!

ص: ۱۸۶

قال الذهبى: (واعتضد الصالح إسماعيل بالإفرنج وسلَّم إليهم القُدس، وطبريهٔ، وعسقلان. وجناياته على المسلمين ضخمهٔ) (۱)

وكانت (حُماهٔ) فى يد الملك المنصور.

و (الكُرك) فى يد المُغيث ابن العادل.

و (الموصل) فى يد لؤلؤ.

وفى عام ۶۵۱ ه نزح الكثير من الجند من بغداد إلى الشام؛ بسبب قطع أرزاقهم.

وفى عام ۶۵۴ ه، أى قبل دخول التتار بعامين، كان حال المسلمين كما يلى:

* كان التتار فى خراسان وبلاد ما وراء النهر.

* وكان الخوارزم فى بلاد المشرق، بالقرب من العراق.

* والشام مقسَّمهٔ بين أبناء صلاح الدِّين.

* ودولهٔ المماليك قد بدأت فى الظهور بمصر.

* وبغداد وبعض مناطق العراق للمُستعصم.

* وكانت هناك صدامات بين الخوارزم والأيوبيّين.

* وبين المماليك فى مصر والأيوبيّين فى الشام.

* والتتار كانوا يراقبون كل ما يجرى.

۱- انظر: ترجمته فى حوادث عام ۶۴۸ ه- فى تاريخ الإسلام الذهبى، ج ۴۷، ص ۳۸۲ وما بعدها، وقال الذهبى عنه: وبدت منه هنات عديدهٔ واستعان بالافرنج على حرب أخيه ... وقال أيضاً: فلما سلطن الصالح اسماعيل واعطى الفرنج الشقيف وصفد نال منه الغربن عبد السلام على المنبر فعزله الصالح وحبسه ...، ج ۴۸، ص ۴۱۷.

ص: ۱۸۷

* والخليفة فى بغداد لا حول له ولاقوَّة .. (۱)

وكان التتار يرسلون رُسلهم وجواسيسهم إلى بغداد، من غير تحاشى ولاخيفة، والخليفة والناس فى غفلة عمّا يُراد بهم، وذلك قبل دخولهم بغداد بعام كما ذكر الذهبى.

ووصف الذهبى حال الشام فى ذلك العام بقوله: (أنْ ارتفعت منها البركات، وأُحيط بها الظلم والظلمات، والأسواق كاسدة، والرعايا فاسدة، وظهرت الخيانات، وعلَت المُنكَرات) (۲)

وهنا نتوجَّه للوهابى صاحب المنشور بالسؤال التالى: مَن المسئول عن هذا الانقسام والخراب والفساد والخيانات، السنَّة أم الشيعة؟!

والجواب حسب طريقته هو، أنَّ السنّة هم المسئولون. إلّا أنَّ الحقيقة هى أنَّ كل ما كان يجرى لا صلة له بالسنّة، فضلًا عن كونه لا صلة له بالشيعة، إنّما هو صراع نفوذ ومصالح، لا صلة له بالدِّين من الأصل.

وهذا ما كان يجب أن يفهمه الوهابيّون.

وبالطبع، يمكن القول أنَّ العلقمى لا صلة له بما يجرى، ولادور له فيه.

وفى العام السابق لغزو التتار بغداد، غزو بلاد خوارزم،

۱- انظر: حوادث عام ۶۵۳ ه و ۶۵۴ ه ج ۴۷، ص ۳۳۸ وما بعدها، وج ۴۸، ص ۱۷ وما بعدها، وانظر كتب التاريخ الاخرى.

۲- انظر: حوادث عام ۶۱۵ و ۶۱۶ ه فى المختصر فى أحوال البشر، ج ۳، وغيره من كتب التاريخ.

ص: ۱۸۸

واستولوا عليها، وهرب من أمامهم شاه خوارزم، ثُمَّ أغاروا بعد ذلك على الموصل.

قال ابن كثير عن المستعصم: (كان رحمه الله سنّياً على طريقة السلَف واعتقاد الجماعة، كما كان جدّه وأبوه، ولكن كان فيه لِين وعدم تيقّظ، ومحبَّة للمال وجمعه. ومن جملة ذلك أنَّه استحلَّ الوديعة التى استودعها إيّاه الناصر داود، وكانت قيمتها نحو مئة ألف دينار، فاستُقبح هذا من مثل الخليفة، وهو مستقبح ممَّن هو دونه بكثير، بل من أهل الكتاب مَن إنْ تأمنه بقنطار يؤدِّه إليك) (۱)

وقال: (... ولم تكن أيدى بنى العبّاس حاكمة على جميع البلاد، كما كانت بنى أُمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار، فإنَّه خرج عن بنى العبّاس بلاد المغرب. وقارن بنى العبّاس دولة الفاطميّين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب وما هنالك، وبلاد الشام فى بعض الأحيان، والحرمين فى أزمان طويلة، وكذلك أُخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر، وتداولها الملوك دُولًا بعد دول، حتّى لم يبقَ للخليفة منهم إلّا بغداد وبعض بلاد العراق؛ وذلك لضعف خلافتهم، واشتغالهم بالشهوات وجمع المال فى أكثر الأوقات) (۲)

وقال الذهبى: (لمّا توفِّى المستنصِر- والد المُستعصِم، لم‌ير الدويدار والشرابى والكبار تقليد الخفاجى شقيق المستعصم الذى يوصَف بالشجاعة والشهامة الأمر، وخافوا

۱- انظر البداية والنهاية، ج ۱۳، حوادث عام ۶۵۶ ه.

۲- انظر البداية والنهاية، ج ۱۳، حوادث عام ۶۵۶ ه.

ص: ۱۸۹

منه وآثروا المُستعصِم؛ لما يعلمون من لينه وانقياده وضعف رأيه؛ ليكون الأمر إليهم، فأقاموا المُستعصِم، ثُمَّ ركن المستعصم إلى وزيره ابن العلقمى، فأهلك الحرث والنسل، وحسُن له جمع الأموال والاقتصار على بعض العساكر، وقطع الأكثر. فوافقه على ذلك. وكان فيه شـحّ وقلّة معرفة وعدم تدبير، وحبّ للمال وإهمال للأمور، وكان يتّكل على غيره، ويَقدم على مالا يليق وعلى ما يُستقبَح، وكان يلعب بالحمام ويُهمِل أمر الإسلام ..) (۱)

ومن خلال ما سبق، يتبيّن لنا ما يلى:

إنَّ المستعصم لم‌يكن مؤهّلًا لتولّى الخلافة، ولم يكن على دين أو خُلق، وقد خان الأمانة. ورغم ذلك يعتبره ابن كثير سنّياً سلَفياً على معتقَد أهل السنَّة.

ويبدو من خلال رواية الذهبى أنَّ رجال البلاط أو الحاشية هم الذين اختاروه ونصَّبوه، رغم ضعفه وعدم كفاءته، وأهملوا شقيقه الأجدر منه، والذى كان يقول- حسبما روى الذهبى-: إنْ ملَّكنى الله، لأعبُرنَّ بالجيوش نهر جيحون، وانتزع البلاد من التتار واستأصلهم.

وهذا يشير إلى أنَّ هذه الحاشية كانت تخدم مصالحها، لا مصالح الإسلام والمسلمين، ولم يكن يعنيها الخطر التَترى الذى يقترب من دولتهم.

وإذا كان العلقمى هو الذى زيَّن للمستعصم جمع المال

۱- تاريخ الاسلام للذهبى، ج ۴۸، ص ۲۶۰.

ص: ۱۹۰

وتسريح الجند، فذلك لكون طبيعته تميل إلى ذلك. فهو كما وصفه ابن كثير والذهبى، كان فيه غفلة وحبّ للمال وميل للشهوات.

يروى الذهبى: (كان تاج الدين بن صلايا، نائب إربل، يُحذِّر الخليفة ويحرِّك عزمه، والخليفة لا يتحرَّك ولايستيقظ).

وهذا دليل على إهمال الخليفة وتقاعسه عن الاستعداد لمواجهة التتار.

ويروى: (وركب هولاكو إلى العراق .. وفى جيشه خلق من الكرخ ... ومَدَد من صاحب الموصل (الملك لؤلؤ)، مع ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل ...

وحصلا منه هولاكو- على فرمان بتولّى القضاء، إلّا أنَّ صدر الدين توفّى، فقام ابن الزكى بانتزاع المدارس لنفسه وأصحابه، وبقى على هذا الحال إلى أن زالت دولة الطاغية هولاكو من الشام ... فبذل أموالًا للمماليك على أن يقرّ القضاء والمدارس فى يده، فأُقرَّ على ذلك شهراً ثُمَّ عُزل) (۱)

وهذه صورة أُخرى من صور الخيانة لاثنين من فقهاء أهل السنّة تغافل عنها الوهابيّون، أو لم يعلموا بأمرهما من الأصل؛ لكونهم مجرَّد ناقلين.

ويروى ابن كثير فى حوادث عام ۶۵۶ ه: (استهلّت هذه السنة وجنود التتار قد نزلت بغداد، وجاءت إليهم إمدادات صاحب الموصل يساعدونهم على البغادَّة، خوفاً من التتار

۱- انظر: الذهبى، حوادث عام ۶۵۷ ه.

ص: ۱۹۱

ومصانعة لهم، قبّحهم الله، وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كلِّ جانب، حتى أُصيبت جارية كانت تلعب بين يدى الخليفة وتُضحكه، وكانت من جُملة حظاياه. وكانت مولّدة تسمَّى (عرفة) جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها، وهى ترقص بين يدى الخليفة).

ومثل هذه الروايات إنّما تفضح أكاذيب الوهابيّين، وتكشف غبائهم وجهلهم بحوادث التاريخ، وتضليلهم للمسلمين.

وكيف يُعقل أنَّ هناك خليفة محاصَر من قِبل عدوّه، بينما هو يلهو ويلعب مع جواريه؟!

وهل مثل هذا يستحقّ أن يُبكى عليه، أو على دولته التى كانت مرشَّحة للسقوط منذ عقود؟!

وهل بعد هذا كلّه يمكن لنا أن نُلقى بتبعة سقوط بغداد على العلقمى؟!

وهل مثل هذه الدولة المنهارة فى حاجة لمثل العلقمى ليُسقطها؟!

وهل لو كان العلقمى سنّياً، كانوا وجَّهوا له مثل هذا الاتّهام، وركَّزوا عليه كل هذا التركيز؟!

وهل يمكن لقائد محنَّك، مثل هولاكو، أن تحرِّكه رسالة من العلقمى، دون أن يكون قد أحاط بالأمر وتيقَّن من النصر؟!

إنَّ الذى أسقط بغداد هم الخوارزميّون السنّة، والأيوبيّون السنّة، وحاشية المُستعصم السنَّة، وليس ابن العلقمى سوى الضحية التى قدَّموها كبش فداء؛ ليُداروا بها فشلهم

ص: ۱۹۲

وخياناتهم.

قال ابن تيميّة: (وكان من أسباب دخول هؤلاء التتار ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع) (۱). ونقل قول ابن دقيق العيد: (إنّما استولت التتار على بلاد المشرق، لظهور الفلسفة فيهم، وضعف الشريعة) (۲)

أمّا الطوسى، فقد أثنى عليه المؤرِّخون عدا ابن تيميّة، الذى يعادى الفلاسفة والمناطقة. ولم يُشيروا إلى شيءٍ يتعلّق بخيانته، فكلّ تركيز المؤرّخين كان على ابن العلقمى (۳)

ويحاول الوهابيّون الربط بين سقوط بغداد فى الماضى على يد التتار، وسقوطها فى الحاضر على يدى الأمريكان، مؤكّدين أنَّ المتسبِّب فى الحالتين هم الشيعة.

وهذه حجّة البليد، إذ أنَّ هذا يعنى أنَّ صدام الذى أسقطه الأمريكان، مساوٍ للمُستعصم، وهو عند الوهابيّين يجب أن يتساوى مادام سنّياً، ومادام الأمر يتعلّق بالشيعة.

والقوات الأمريكيّة التى غزت العراق، انطلقت من قواعدها فى معقل الوهابيّة التى استوطنت فيها، بفتاويهم التى أجازت الاستعانة بالمشركين.

۱- انظر: مجوع الفتاوى، ج ۱۳، ص ۱۸۰.

۲- المرجع السابق، ج ۲، ص ۲۴۱ وما بعدها.

۳- انظر تزكية المؤرّخين للطوسى، وفى مقدّمتهم ابن كثير والذهبى، تلميذى ابن تيميّة، فى: البداية والنهاية: ج ۱۳، ص ۳۷۶، حوادث ووفيات عام ۶۷۲ ه؛ وتذكرة الحفاظ، ج ۴، ترجمة رقم ۱۴۹۴؛ والوافى بالوفيات، ج ۱، ص ۱۷۹. وكتب التاريخ الأُخرى.

ص: ۱۹۳

أليس هذا يعدّ خيانة للإسلام والمسلمين؟!

وبعد كل هذا، يتحدَّث الوهابيّون عن خيانات الشيعة؟!

وفيما يتعلّق بالصليبيّين، فقد تبنّى الوهابيّون موقف ابن تيميّة، وأخذوا فى تصيّد بعض المواقف للفاطميين، وبعض الفرق المنسوبة للشيعة فى بلاد الشام، من الصليبيّين. وخرجوا منها بنتيجة تؤكِّد عمالة الشيعة للصليبيّين.

والمسألة، كما تبدو من ظاهرها، عدم وعى بقراءة التاريخ، وعدم فهم لحوادثه، كما هو حالهم فيما يتعلّق بربط الشيعة بالتتار.

والدول والحكومات لا يجوز اعتبار مواقفها وممارساتها دليلًا على المعتقد؛ فإنَّ الدول تحكمها المصالح لا العقائد. وهذا الأمر ينطبق على الدولة الفاطمية، المحسوبة على الشيعة، وغيرها من الدول المحسوبة على السنّة.

وقد ذكرنا فيما سبق صور لخيانات بعض أبناء صلاح الدين فى الشام، وتعاونهم مع الصليبيّين ضدّ أشقّائهم وضدّ المسلمين، واعتبرنا أنَّ هذا الموقف لا صِلة له بالسنّة ولابالمُتسنّنين.

وكذلك مواقف الدولة الفاطمية، أو الصفوية، أو الجمهورية الإسلامية. إن صحَّت فهى لا صلة لها بالشيعة والتشيّع.

الدول الشيعية ليست حجَّة على التشيّع. والدول السنّية ليست حجَّة على التسنّن. وكذلك النصيرية أو الدروز، أو غيرهم من الفرق البعيدة عن الشيعة الإمامية. لا يجوز لنا أن

ص: ۱۹۴

نربطها بهم.

إلّا أنَّ الوهابيّين لا يُميّزون، سيراً مع سنّة ابن تيميّة، الذى خلط ما بين الشيعة الإمامية والنصيريّة والإسماعيلية، وسائر الباطنيّين، وجعل الجميع حُزمة واحدة.

وإذا كان الوهابيّون حريصون على الإسلام والمسلمين، ويلقون بتُهمة الخيانة على الشيعة ما بين الحين والآخر، فلماذا يتغاضون عن خيانات السنَّة عبر التاريخ؟!

ولماذا يتغاضون عن خيانات آل سعود، وتعاونهم الفاضح والمُعلَن مع المشركين الصليبيّين؟!

وخيانات الأنظمة الحاكمة الأُخرى، فى مصر والخليج والمغرب والأردن، وغيرها من البلدان التى تعدّ سنّية فى منظورهم؟!

ولماذا يغفلون صور البطولة والجهاد التى قام بها سيف الدولة الحمدانى (الشيعى) ضدّ الصليبيّين، والتى تغنَّى بها الشعراء؟!

والجواب ببساطة: أنَّهم ينقلون لا يبحثون. ويكفِّرون ولايبصرون.

ألألاعيب

ولم يكتفِ الوهابيّون بإصدار المنشورات التى تنشر الأكاذيب حول الشيعة، بل قاموا، بالإضافة إلى ذلك، ببعض الألاعيب التى تُثير الرأى العام ضدّهم.

ص: ۱۹۵

ومن هـذه الألاـعيب .. قيامهم بإصـدار منشورات بأسـماء شخصـيات وهميّـة منسوبـة للشـيعة، تعلن خروجها من دائرة الشـيعة، وكفرها بعقائدهم.

ومن بين هـذه المنشورات، منشور صـدر بعنوان: (لله ثُمَّ للتاريخ). وهو منشور صـغير، (۱۱۲) صـفحة، نسبه الوهابيّون لشخصيّة مزعومة، نسبوها لعلماء الشيعة فى النجف، وهو حسين الموسوى.

كانت أُمنيته أن يُصـبح مرجعاً يتزعّم الحوزة الدينيـة، عرض فيه تجربته مع الشـيعة، بعـد أن قرأ جميع مصادرهم المُعتبَرة وغير المعتبَرة، وكل كتاب وقع فى يـده، وأخذ يكتب تعليقاته على ما يقرأ، ولمّا انتهى من قراءاته للمصادر المُعتبرة؛ وجد عنده أكداساً من قصاصات الورق، فاحتفـظ بهـا، عسـى أن يـأتى يوم يقضـى الله فيه أمراً كـان مفعولًا. وكانت له علاقات حسـنة مع كلِّ المراجع والعلماء والسادة، وكان يخالطهم ليصل إلى نتيجة تُعينه على اتّخاذ القرار الصـعب، الذى اتّخذه رغم انتقام الشـيعة، فأصدر كتابه هذا، وهو على يقين أنَّه سيلقى القبول عنـد طلّاب الحقّ، لا أهل الضـلالة أصـحاب المُتعـة والخُمس، الـذين لبسوا العمائم وركَبوا المرسـيدس والسوبر، حسـب تعبيره ..

ويظهر لنا من خلال مقدّمة كاتب المنشور، أنَّ لغته ضعيفة وساذجة، ولاتتناسب مع لُغة عالم كبير، قرأ وتبحَّر فى مصادر الشيعة، والتقى بالكبير والصغير، وناقش وناظر. إذ

ص: ۱۹۶

كيف لمَن خاض هذه التجربة ودرس وقرأ، أن يخرج فى النهاية بهذا المنشور الصغير والضعيف، والذى يُعدّ صورة مكرّرة من منشورات الوهابيّين الأُخرى.

من هنا كشفت الحقيقة وتبيّن أنَّ كاتب هذا المنشور هو واحد من الوهابيّين المتربّصين بالشيعة، وقد تستَّر باسم شيعى لا وجود له.

ولو كانت هذه الشخصية حقيقية، وهى بهذا الوزن والتاريخ، حسبما يبدو من كلامها؛ لأحدث ظهورها ضجَّة كبيرة، ولبرزت أمام الرأى العام، واحتفل بها الوهابيّون.

والطريف أنَّ الشيعة فى الكويت مكان صدور المنشور- اكتشفوا هذه اللعبة، وردّوا على الوهابيّين بمشور يحمل نفس الاسم، ولشخصيَّة سنّية مزعومة أيضاً.

والسؤال هنا هو: ما هى محتويات هذا المنشور؟

والجواب: هو أنَّ هذا المنشور صورة من منشورات الوهابية الأُخرى، وهو ما يُثير الشبهة فيه؛ فقد ركَّز على ابن سبأ وإثبات أنَّه شخصية حقيقية، ثُمَّ تناول نكاح المتعة، ومسألة الخمس، متَّهماً فقهاء الشيعة باستغلاله، وتحدَّث عن الصحيفة الجامعة، والجفر، ومصحف فاطمة؛ باعتبارها من الكتب السريّة عند الشيعة، وحاول أن يؤكِّد على أنَّ الشيعة يعتبرون أهل السنَّة العدوّ الوحيد لهم، ومؤكّداً أيضاً دور العناصر الأجنبية فى صناعة التشيّع. وختم منشوره بقوله: (هل أبقى فى مكانى ومنصبى وأجمع الأموال الضخمة من

ص: ۱۹۷

البسطاء والسذَّج باسم الخمس، والتبرّعات للمشاهد، وأركب السيّارات الفاخرة وأتمتّع بالجميلات، أم أترك عرض الدنيا الزائل، وابتعد عن هذه المحرّمات، وأصدع بالحقّ، إنَّ الساكت عن الحقِّ شيطان أخرس؟!).

ومثل هذا الكلام لا يتلاءم مع شخصية علمية كبيرة، كالتى يحاول المنشور تصويرها، بل يدلّ دلالة قاطعه على أنَّ كاتبه هو واحد من سفهاء الوهابيّة المتربّصين بالشيعة.

وأصدر الوهابيّون العديد من المنشورات التى تطعن فى حزب الله، وتثير الشُبهات من حوله، وعلى رأسها منشور عنوانه: (ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، نصر الله خمينى العرب).

وهى منشورات ساذجة وغبية، ولاتنمّ عن وعى بما يجرى ويدور من حولهم، وهذا يعدّ نتيجة طبيعية لقوم يعيشون ويتعبَّدون بعقل الماضى.

والهجوم على حزب الله من ألاعيب الوهابية، وهو يُظهر مدى الحرج الذى وقعوا فيه؛ نتيجة ما حقَّقه من انتصارات على المستوى السياسى، ومكاسب على المستوى الإسلامى. وهو ما يظهر- أيضاً- مدى موالاة الوهابيّين لأعداء الإسلام والمسلمين، وكونهم أداة طيّعة لهم، يستخدمونهم لضرب الإسلام وتشويهه كلّما استدعت الحاجة لذلك.

والسؤال الذى يردُ على خاطر كلّ مسلم هو:

ص: ۱۹۸

ماذا يفعل حزب الله؟

ولماذا يحاربه الوهابيّون؟

فى منظور الوهابيّين .. حزب الله لا يفعل شيئاً، وهو لا يُجاهد فى سبيل الله، وإنّما يجاهد فى سبيل الشيطان.

وإذا كان هذا هو حال حزب الله عند الوهابيّين، فلماذا لا يتقدّموا هم للجهاد فى سبيل الله والدفاع عن المقدّسات؟!

ولماذا لا يوفّرون رصاصاتهم التى يوجّهونها لصدور المسلمين، وقنابلهم التى يلقونها عليهم ما بين الحين والآخر، لأعداء الله؟!

ولماذا لا نرى لهم أثر، ولانسمع لهم خبر، فى المواجهة مع العدوّ الصهيونى؟!

والجواب ببساطة هو أنَّ الوهابية لم تُوجَد لهذا، وإنّما وُجدت لتفرّق المسلمين، وتوجَّه أسلحتها إلى صدورهم، فهى صناعة أعداء الإسلام والمسلمين.

ومن ألاعيب الوهابية محاولتهم استغلال بعض الآراء النقدية والمواقف الخلافية، من قِبل بعض الشيعة، لضرب الشيعة والطعن فى عقائدهم.

ومثال ذلك استغلالهم لآراء موسى الموسوى، فى كتابه (الشيعة والتصحيح)، وتصويره كمرتدٍّ عن التشيّع. بينما هو فى الحقيقة ظلَّ على تشيّعه ولم يتحوَّل لأهل السنّة (۱)

۱- طبعت الدوائر السعودية والعراقية، أثناء الحرب العراقية الإيرانية، عشرات الآلاف من النُسخ من كتابه الشيعة والتصحيح وكتابه الآخر الثورة البائسة، وكانت توزَّع مجاناً.

ص: ۱۹۹

ويعمل الوهابيّون دائماً على اللَعب بفكرة فارسية التشيُّع، أى أنَّ التشيّع صناعة فارسية لا عربية. وهى فكرة متولّدة من كلام ابن تيميّة وغيره، من خصوم الشيعة القدامى، الذين يحاولون تضخيم دور المجوس بعد سقوط ملكهم فى بلاد فارس، وسعيهم للانتقام من المسلمين. فتظاهروا بالتشيّع لأهل البيت من أجل ضرب الإسلام.

إلّا أنَّ الباحث المدقّق يكتشف أنَّ التشيّع أُصوله عربية هاشمية، تنحصر فى أهل البيت، المتمثّلين فى الإمام على والزهراء والحسن والحسين:، وبقية الأئمّة الاثنى عشر، وهم من أرقى بيوتات العرب وأعلاها.

والشيعة، وعلى رأسهم الإيرانيّون، يدينون لهم، بينما أهل السنَّة، وعلى رأسهم العرب، يُدينون للفُرس ويتلقَّون منهم الفقه والروايات النبويّة، وسائر العلوم الدينية.

والحقيقة هى أنَّ التسنّن هو الذى كان من صناعة الفرس، وهو ما يتَّضح من خلال أصحاب كتب السُنن، ورموز فقهاء السنّة، الذين تعود أُصولهم إلى بلاد فارس. وعلى رأس هؤلاء البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والحاكم، والحسن البصرى، وأبو حنيفة، وطاووس، وابن سيرين، وعكرمة، والغزالى، وغيرهم كثير ..

حتى أنَّ الدولة العبّاسية، التى نشأ الحنابلة فى ظلِّها وباركوها، ويدَّعى الوهابيّون أنَّ الشيعة أسقطوها، قامت على أكتاف الفُرس.

ص: ۲۰۰

ص: ۲۰۱

أكاذيب أُخرى

ابن تيميّة

لم يجد الوهابيّون مَن يحتمون به من بين فقهاء أهل السنّة سوى ابن تيميّة، الذى اعتبروه الأب الروحى لهم، ومنحوه لقب (شيخ الإسلام).

والسؤال هو: لماذا انحاز الوهابيّون لابن تيميّة، من دون بقيّة الفقهاء؟

والجواب عند إمامهم محمد بن عبد الوهاب، الذى اتّخذه له إماماً، وبعث بتراثه الذى طواه النسيان من جديد، بسيوف آل سعود.

وابن عبد الوهّاب لم‌يكن يملك مقوّمات المجتهد أو الفقيه، ولايصلح ليكون مالكياً أو حنفياً أو شافعياً، ولاحتى حنبلياً؛ وذلك لكون اتّباع هذه المذاهب يحتاج إلى أدوات لا يملكها، ومقوّمات لا تتوفّر فيه، وهذا ما دفع به نحو ابن تيميّة؛ لتوافق

ص: ۲۰۲

طباعه الحادَّة المتمرّدة مع طباعه، وميوله المتطرّفة مع ميوله. ولو قُمنا بمقارنة بين الشخصيّتين، فسوف يتبيَّن لنا مدى التطابق بينهما فى الطباع.

وفتاوى ابن تيميّة وكتبه- عموماً- تكتظّ بالعديد من النصوص الحادَّة والمتطرِّفة، والمتصادمة مع عقائد أهل السنّة، التى وجد فيها ابن عبد الوهاب ضالّته، فهو يستطيع بها أن يتميَّز على المذاهب السائدة، التى استراحت من ابن تيميّة وضلالاته قروناً طويلة.

وتسلَّم الوهّابيون تراث ابن تيميّة من إمامهم ابن عبد الوهّاب، باعتباره من المسلّمات. وزاد من يقينهم بصحّة ما فيه، تمسّح ابن تيميّة الدائم بالسلَف والإجماع، وإلصاق أقواله وفتاويه بأهل السنَّة؛ الأمر الذى أراحهم من إتعاب عقولهم الضعيفة القاصرة من البحث والتنقيب، وتركيز جهودهم فى نقل كلام ابن تيميّة، وضرب الخصوم به.

وتاريخ ابن تيميّة رصده لنا الكثير من معاصريه، وعلى رأسهم تلميذه الذهبى الذى انشقَّ عليه، وتلميذه الآخر ابن كثير، وابن حجر العسقلانى، والحصنى، وغيرهم. بما يُفيد شذوذه وتمرّده على الفقهاء، وعدم تقيّده بعقيدة أهل السنّة؛ ممّا ينفى بالتبعيَّة صفة (شيخ الإسلام) التى ألصقها به الوهابيّون، وينفى- من جهة أُخرى- تزكيته والثناء عليه من قِبل بعض الفقهاء (۱)

۱- انظر: ترجمة ابن تيميّة فى تاريخ الذهبى، والبداية والنهاية لابن كثير، والدُرر الكامنة لابن حجر، ودفع شبه مَن شبَّه وتمرَّد للحصنى، وذيل طبقات الحنابلة، ج ۱، ص ۳۳۸؛ وانظر: كتاب ثقافة الإرهاب فى كتب الوهابية. ويحاول الوهابيّون دائماً تجميل ابن تيميّة فى أعين المسلمين، بنشر بعض الكتب التى يُثنى فيها أصحابها عليه ويزكّونه، وهى كتب قليلة، تكاد تعدّ على الأصابع، ولا تخرج عن محيط بعض الحنابلة المتعصّبين له.

ص: ۲۰۳

وكيف لابن تيميّة الذى حاربه الفقهاء وكفَّره البعض، وطالب آخرون بقتله، غير الذين طالبوا بتعزيره وحبسه، وقد مات فى حبسه الأخير، كيف لمَن هذا حاله، أن يُمنَح لقب شيخ الإسلام؟!

ولايوجد من بين المصادر المعتمَدة ما يفيد منحه هذا اللقب، سوى بعض المصادر الحنبلية المتأخِّرة، التى تُنسب للمتطرّفين منهم، الذين تعصَّبوا له.

وممَّا يدلّ على كذب الوهابيّين، إلصاقهم لقب شيخ الإسلام بابن القيّم، وابن كثير، وابن عبد الوهّاب. فلو كان لقب شيخ الإسلام خاصّاً بابن تيميّة، ما منحوه لغيره.

ومن أكاذيب الوهابيّين حول ابن تيميّة اعتباره من المجاهدين، الذين جاهدوا التتار. بينما ابن تيميّة وُلد فى عام ۶۶۱ ه. أى بعد غزو التتار لبلاد المسلمين، وهزيمتهم على يد المماليك فى وقعة عين جالوت.

ومن المُضحك أنَّ محقّق رسالة الردِّ على الأخنائى، وهو يستعرض سيرة ابن تيميّة، نقل عن ابن كثير قوله عنه: (تمَّ الاستيلاء على دمشق من قِبل التتار فى جمادى الأُولى سنة ۶۵۸ ه، وشارك ابن تيميّة مشاركة فعّالة، وكان يجول

ص: ۲۰۴

فی العدوِّ کأعظم الشجعان (۱). ونسی أنّه ذکر فی السطور السابقة أنَّ ابن تیمیّة وُلد عام ۶۶۱ ه.، وهو ما یعنی أنَّه عند غزو التتار لدمشق، لم‌یکن قد وُلد بعد.

والثابت أنَّ ابن تیمیّة جاهد المسلمین لا المشرکین؛ حین حرَّض المماليك فی الشام علی غزو جبل کسروان بجنوب لبنان عام ۷۰۵ ه.، وشارک جنود المماليك فی قتال الشیعة الذین کانوا یقیمون فی هذا الجبل (۲)

وحرَّض المسلمین علی قتال التَتَر، بعد أن أسلموا بفتواه المعروفة بفتوی (الیاثق)، التی قال فیها بجواز مقاتلة معطّلی الشرائع؛ باعتبارهم مرتدِّین عن الإسلام (۳)

التقلید

ومن الدعاوی الکاذبة للوهابیّین، ادِّعاؤهم اتّباع الکتاب والسنّة، ورفض التقلید والمذهبیة. وهم یهدفون من وراء هذه الدعوة، إلی حجب أتباعهم وعزلهم عن المدارس والتیارات الأُخری؛ لیظلّوا فی دائرة مذهبهم، ولایخرجوا عن عقائدهم.

وهی حیلة من حیلهم التی یجذبون بها المسلمین نحوهم؛ إذ أنَّ فکرة التقلید تستفزّ أصحاب العقول، وهی

۱- ذکر ابن کثیر هذا الکلام نقلًا عن تاریخ ابن الأثیر، ج ۷، ص ۱۳. کما ذکر المحقِّق.

۲- قال ابن کثیر: وفی هذا العام عاد شیخ الإسلام منصوراً، بعد قتال الرافضة فی الجبال. انظر: البدایة والنهایة لابن کثیر، حوادث عام ۷۰۵ ه.

۳- انظر نص هذه الفتوی فی: مجموع فتاوی ابن تیمیّة، ج ۲۸، ص ۵۰۹. و الیاثق هو کتاب من وضع جنکیز خان. انظر: ثقافة الإرهاب فی کتب الوهابیة.

ص: ۲۰۵

منبوذة بنصوص القرآن التی یستدلّ بها الوهابیّون علی رفضها (۱)

إلّا أنَّ الوهابیّین لبسوا علی المسلمین بالخلط بین التقلید فی العقائد والتقلید فی الشرائع. والتقلید فی العقائد هو المنبوذ شرعاً، وهو ما نبّه علیه القرآن. أمَّا التقلید فی الشرائع، فلا حرج فیه لمَن لا یملك أدوات الاجتهاد، الأمر الذی ینطبق علی عامّة الناس.

والوهابیّون لا یملکون أدوات الاجتهاد بالطبع، لا هم ولاإمامهم ابن عبد الوهّاب، فکیف لهم أن ینبذوا التقلید؟!

وتشبّثهم بهذه الفکرة یعود لقصورهم وضعف عقولهم، وعجزهم أن یکونوا من أهل العلم والاجتهاد. وهو ما یظهر لنا من خلال رصد عناصر الحنابلة القدامی والمعاصرین من الوهابیّین، الذین یغلب علیهم العَوام والسوَقة وضعاف العقول، ومثل هؤلاء لا یجدون مکاناً فی دائرة التیّارات والمذاهب الأُخری، التی تتبنّی قواعد فقهیة وأدوات عقلیة تُلزم المقلّد وتضبط حرکة تناوله لأحکام الدِّین، وهو ما لا یطیقه الحنابلة، المائلین بطبعهم إلی الفوضی والغلو، وهو ما یدفع بهم أیضاً إلی التعصّب لفکرة التحّرر من التقلید، والتمسّك بها وعدم التخلّی عنها.

والمُتَّبع لدُعاة نفی التقلید، إنّما هو فی الحقیقة مقلِّد

۱- مثل قوله تعالی: وَ إِنَّا عَلی آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ، وقوله: بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَیْنا عَلَیْهِ آباءَنا ...

ص: ۲۰۶

لهم، فهو قـد انتقل من تقليد غيرهم إلى تقليدهم هم. ولذا فإنَّ الوهابيّين هم مقلِّدون لابن تيميّة وابن عبد الوهاب، والذين اتَّبعوهم فى دعواهم هم مقلِّدون لهم.

وفتـح الأبواب على مصارعها أمام الوهابيّين، للخوض فى الكتاب والسـنّة، قـد أوقع الوهابيّين فى أزمـة كبيرة؛ إذ أدَّى الأمر إلى تصدّع الوهابيّـة، وبروز العديـد من الفرق التى تعـدّ نُسـخة عصـرية من فرق الخوارج، على رأس كـلّ فرقـة منها مجتهـد يُشـهر حرابه فى وجه المخالفين.

وقد أخذت هذه الفرق تكفّر بعضها وتلعن بعضها بعضاً، واتَّجه البعض الآخر منها إلى حمل السلاح فى مواجهة خصومه، من الوهابيّين وغيرهم (۱)

وهو ما يبدو لنا من خلال التساؤلات التى تدور فى أذهان شباب الوهابيّين، ولايجدون لها إجابة عند أئمّتهم.

منها سؤال يقول: فى هـذا الزمان عديـد من الجماعات والتفريعات، وكل منها يدَّعى الانضواء تحت الفرقة الناجية، ولاندرى أيّهم على الحقِّ فنتَّبعه، ونرجو من سيادتكم أن تدلّونا على أفضل هذه الجماعات وأخيَرها، فنتبع الحق فيها مع إبراز الأدلّة.

وكان الجواب هو: كلٌّ من هـذه الجماعات تـدخل فى الفرقة الناجية، إلّا مَن أتى منهم بمكفّر يخرج عن أصل الإيمان، لكنّهم تتفاوت درجاتهم قوّة وضعفاً، بقدر إصابتهم للحق

۱- انظر: ملاحق الكتاب، وكتابنا: الحق والحقيقة وفرق أهل السنّة.

ص: ۲۰۷

وعملهم به، وخطئهم فی فهم الأدلّة والعمل. فأهداهم أسعدهم بالدليل فهماً وعملًا. فاعرف وجهات نظرهم، وكن من أتبعهم للحقِّ وألزمهم له، ولاتبخس الآخرين أُخوّتهم فی الإسلام، فتردّ عليهم ما أصابوا فيه من الحق، بل اتّبع الحقّ حيثما كان، ولو ظهر علی لسان مَن يخالفك فی بعض المسائل. فالحق رائد المؤمنين، وقوّة الدليل من الكتاب والسنّة هی الفيصل بين الحق والباطل (۱)

وسؤال آخر يقول: إنَّ كثيراً من الجماعات التی تدعوا إلی الإسلام، كلٌّ منهم يقول: أنا علی نهج السلف، ومعی الكتاب والسنَّة؟!

وجوابه هو: الواجب علی المسلم أن يلتزم الحق الذی يدلّ عليه الكتاب والسنّة، وأن يوالی علی ذلك ويعادی علی ذلك، وكل حزب أو مذهب يخالف الحقّ يجب البراءة منه، وعدم الموافقة عليه (۲)

والفرق الوهابية جميعها لا تختلف فی تحريم شدِّ الرحال والتوسّل، وزيارة القبور والاحتفال بأصحابها. وتقليد ابن تيميّة وابن عبد الوهّاب، فكيف يمكنه التمييز بينها؟!

والظاهر من هذه الأجوبة هو الحفاظ علی الوضع القائم وتبريره، مع إتاحة الفرصة للسائل لمعرفة الدليل وحده، وتمييز الخطأ من الصواب، وسط هذه الفرق الوهابية

۱- فتاوی اللجنة الدائمة، رقم ۷۱۲۲.

۲- مجموع فتاوی ابن باز، ج ۵، ص ۱۵.

ص: ۲۰۸

المتناحرة، الأمر الذى قد يؤدِّى بالسائل إلى اتّباع واحدة من هذه الفرق، أو صنع فرقة جديدة خاصّة به.

ويظهر لنا من كتب الحنابلة القدامى والوهابيّين المعاصرين، أنَّهم يقاومون بشدّة علم الكلام والمنطق والفلسفة. ويعود ذلك إلى خوفهم الشديد من هذه العلوم، التى تنبّه العقول وتؤسّس للتفكير العلمى، ممَّا يؤدِّى إلى تفلّت الأتباع منهم، ويهدم دعواهم بالوصاية على الدِّين.

الفرقة الناجية

رُوى عن الرسول (ص) قوله: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة، وتفرَّقت النصارى على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة. والذى نفسى بيده، لتفترق أُمّتى على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة فى الجنّة واثنتان وسبعون فى النار.

قيل: يا رسول‌الله، مَن هم؟

قال: الجماعة)

وفى رواية قال: ما أنا عليه وأصحابى.

وفى رواية قال: هى السواد الأعظم. (۱)

قال أبو سليمان الخطابى: (قوله: ستفترق أُمّتى على ثلاث وسبعين فرقة، فيه دلالة على أنَّ هذه الفرق كلّها غير خارجين على الدِّين؛ إذ أنَّ النبى جعلهم كلّهم من أُمّته. وفيه

۱- انظر: ابن ماجه، ج ۲، باب افتراق الأُمم؛ وأبو داود: كتاب السنّة؛ والترمذى: باب ما جاء فى افتراق هذه الأُمّة؛ وكتب السُنن الأُخرى.

ص: ۲۰۹

أنَّ المُتأوِّل لا يخرج من الملّة، وإنْ أخطأ فى تأويله) (۱)

وعلى الرغم ممّا قيل فى هذا الحديث، فإنَّ السؤال الذى يجب أن يوجَّه إلى الوهابيّين هو:

أىّ فرقة من فرقهم هى الناجية من النار؟

هل هى الفرق الجهادية، أم التكفيرية، أم السَلَفية؟!

أم هى بمجموعها ناجية من النار؟!

وهل من صفات الفرقة الناجية من النار إراقة دماء المسلمين، وتكفيرهم، وترويع الآمنين، ونشر الفساد فى الأرض؟!

وأئمَّة الوهابيّين يعتبرون كل هذه الفرق ناجية من النار، إلّا مَن أتى منهم بمُكفِّر يخرج عن أصل الإيمان، والمُكفِّر الذى يُخرج عن أصل الإيمان عندهم، هو التوسّل والاستغاثة والنذور.

ومادامت هذه الفرق تلتزم بهذه الأصل، فهى ناجية من النار، ولتفعل ما تفعل بالإسلام والمسلمين، فكلّ ذلك لا يهمّ عند الوهابيّين.

نصرة آل سعود الموالين لليهود والمشركين لا يهم.

إراقة دماء المسلمين وتكفيرهم واستباحتهم لا يهم.

السكوت عن الظلم والفساد، والمؤامرات التى تحيط بالإسلام والمسلمين، لا يهم.

المهم عندهم هو تحريم زيارة القبور والاحتفالات، ووجوب

۱- انظر: سُنن البيهقى، ج ۱۰، ص ۲۰۸.

ص: ۲۱۰

اللحية والجلباب والنقاب، وتعظيم وُلاتهم والتغاضى عن عظائم الأمور.

وإذا كان بعض فقهاء أهل السنّة يفسِّرون الفرقة الناجية بالسواد الأعظم، فهل الوهابيّين يمثِّلون السواد الأعظم من المسلمين؟!

ص: ۲۱۱

ملاحق الكتاب

مُلحق: ۱ موجز مسائل ابن تيميّة التى خالف فيها السُنَّة:

ص التجسيم.

ص التشبيه.

ص تحريم التوسُّل.

ص تحريم شدّ الرحال.

ص تكفير المُخالف.

ص نبذ التأويل.

ص إنكار المجاز.

ص فناء النار.

ص وقوعه فى الصحابة.

مجموعة مسائل فقهية مثل

ص إباحة طواف الحائض.

ص جواز صلاة التطوّع جُنباً.

ص

ص: ۲۱۲

ص المائعات لا تنجس بموت حيوان فيها.

ص مسألة الطلاق.

ملحق: ۲ نماذج من ردود أهل السنّة على ابن تيميّة.

الاعتبار ببقاء الجنَّة والنار للسبكى

المقالة المرضيّة فى الردِّ على مُنكر الزيارة المحمديَّة للأخنائى

الإشارة بطُرق حديث الزيارة لابن حجر العسقلانى

شفاء السقام فى زيارة خير الأنام‌للسبكى

الجوهر المُنظّم فى زيارة قبر النبيِّ المُعظَّم‌ابن حجر الهيتمى

التُحفة المختارة فى الردِّ على مُنكر الزيارة‌للتاج الفكهانى

ابن تيميّة ليس سلفياً منصور عويس

إتحاف الأذكياء بجواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء الغمارى

ص: ۲۱۳

ملحق: ۳ نماذج من كُتب أهل السُنَّة التى تردّ على الوهابيَّة

الوهابية ومقلّدة الظاهريّةإبراهيم بن عثمان السمنودى

السيف الهندى فى إبانة طريقة الشيخ النجدىعيسى بن محمد الصنعانى

فصل الخطاب فى الردِّ على ضلالات ابن عبد الوهابأحمد البصرى الشهير بالقبّانى

صلح الإخوان فى الردِّ على مَن قال على المسلمين بالشرك والكفراندداود الرومى

المنحة الوهبيّة فى الردِّ على الوهابية. داود الرومى

شرح الرسالة الردية على طائفة الوهابيةمحمد عطاء الله الرومى

الردّ على الوهابيةإبراهيم الرياحى

جلاء الظلام فى الردِّ على النجدى الذى أضلَّ العوامعلوى بن أحمد الحدّاد

تبيين الحقّ والصواب بالردِّ على أتباع محمد بن عبدالوهاب توفيق سوقية الدمشقى

ص: ۲۱۴

النفحة الذكية فى الردِّ على شبه الوهابية ... عبد القادر سليم الكيلانى

النقول الشرعية فى الردِّ على الوهابيةمصطفى الشطّى

فضائح الوهابية فتحى الأزهرى

بغية الطلاب فى الردِّ على ابن عبد الوهاب .... عبد الحميد السباعى

التحفة الوهبية فى الرد على الوهابيةداود النقشبندى

* لم‌نذكر هنا الكتب المشهورة والتى ذُكرت بين ثنايا الكتاب.

ملحق: ۴ جدول يبين أهم المسائل المخالفة لأهل السنة عند الوهابيين

المسألة أهل السُنّة الوهابيّون

صفات الله تؤوَّل لا تؤوَّل

التوسُّل جائز غير جائز

شدُّ الرحال جائز غير جائز

المناسبات جائزة بدعة

التكفير غير وارد وارد

دم المسلم معصوم غير معصوم

ص: ۲۱۵

مال المسلم معصوم غير معصوم

القبور جائزة بدعة

التقليد واجب غير واجب

ملحق: ۵ صور من خلافات الوهابيِّين ووقوعهم فى بعضهم

* وقوع الألبانى فى ابن تيميّة.

* وقوع جهيمان فى الوهابيّين.

* وقوع ابن عثيمين فى الألبانى.

* وقوع زهير شاويش فى الألبانى.

* وقوع الوهابيّين فى الألبانى.

* وقوع الإسلامبولى فى الألبانى.

* وقوع التويجرى فى الألبانى.

* وقوع مقبل الوادعى فى الوهابيّين.

* وقوع المدخلى فى الوهابيّين.

* وقوع الوهابيّين فى ابن عثيمين.

* وقوعهم فى البخارى.

* وقوع عبد الرحمن عبد الخالق فى الوهابيّين.

* وقوع التكفير بينهم.

* وقوع الوهابيّين فى آل سعود.

* انظر: وقوع الألبانى فى ابن تيميّة من خلال كتاب السقاف: (البشارة والإتحاف فيما بين الألبانى وابن تيميّة من

ص: ۲۱۶

الخلاف). والحرب التى وقعت بين صاحب المكتب الإسلامى زهير جاويش والألبانى، والتى تجاوزت حدود الأدب والخلق، وكذلك الحرب التى وقعت بين الألبانى وخصومه، وما فصَّله السقاف فى كتابه (قاموس شتائم الألبانى).

وكذلك ظهور حركة (جهيمان العتيبى)، التى تمرَّدت على فقهاء الوهابية والنظام السعودى، واستولت على الحرم المكّى، وأعلنت ظهور المهدى عام ۱۴۰۰ ه.

كذلك وقوع ابن عثيمين فى الألبانى بسبب مسألة المَعيّة.

كذلك وقوع الوهابيّين فى الألبانى، بسبب تصحيحه لبعض الروايات التى تتعلَّق بذمِّ الصحابة، أو تحريم أكل لحم البقر، وتحريم لبس الذهب للمرأة. انظر كتاب: (ردع الجانى المتعدى على الشيخ الألبانى).

ووقوع التويجرى، صاحب كتاب (عقيدة أهل الإيمان فى خلق آدم على صورة الرحمن) فى الألبانى. الذى شكَّك فى رواية (خلق الله آدم على صورة الرحمن).

ووقوع مقبل الوادعى اليمنى، الشديد التطرّف، والذى يعدّونه من المحدّثين، فى الألبانى وغيره من الوهابيّين، وفى آل سعود.

ووقوع المدخلى المتطرّف، الذى أطلق مدافعه نحو الوهابيّين وكفَّر بعضهم، وزندق وبدَّع البعض الآخر، واعتبرهم خارجين عن منهج السلَف. وكوَّن فرقة وهابية أطلق عليها

ص: ٢١٧

خصومه اسم (الخلوف) أو (المداخلة)، واعتبره الوهابيّون من الفتن العظيمة فى هذا الزمان. انظر كتابه: (جماعة واحدة لا جماعات)، وكتبه الأُخرى. وانظر كتاب: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، الذى حذَّر فيه صاحبه من فتنة (المدخلى) واتَّهمه بسوء الفهم وعدم الاتّزان.

وقد وقع العديد من الوهابيّين فى ابن عثيمين، بسبب قوله بالمعيّة.

ووقع الوهابيّون فى البخارى، وقاموا بتهذيبه وحذف العديد من الروايات منه.

ووقعوا فى عبد الرحمن عبد الخالق، أحد أعمدة التيار الوهابى فى الخليج، ووقع فيهم.

ووقع الوهابيّون فى بعضهم، فكفَّر بعضهم بعضاً، وهو ما يظهر من خلال منشوراتهم العديدة التكفيرية، والأُخرى التى تردّ عليها.

ووقع الوهابيّون فى آل سعود، وأعلنوا الحرب عليهم، من خلال العمليات المسلّحة التى تظهر ما بين الحين والآخر فى جزيرة العرب.

وهذه الصور هى قليل من كثير ممّا يجرى فى واقع الوهابيّين، الذين يحاولون شغل المسلمين بالحرب على المخالفين لهم، حتى لا يلفتوا إلى واقعهم المُزرى وضلالاتهم وأكاذيبهم.

ص: ۲۱۸

مراجع الكتاب

۱. الإبانـة عن شـريعة الفرقـة الناجيـة ومجانبـة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى الحنبلى، تحقيق: عثمان عبد الله آدم، دار النشر، دار الراية للنشر، السعودية، ۱۴۱۸ ه، الطبعة الثانية.

۲. ابن تيمية ليس سلفياً، منصور عويس، نشر دار النهضة، القاهرة، عام ۱۹۶۰ م.

۳. إثبات صـفة العلو، عبـد الله بن أحمد بن قدامة المقدسـى أبو محمد، تحقيق: بدر عبد الله البدر، دار النشـر، الدار السـلفية، الكويت، ۱۴۰۶، الطبعة الأولى.

۴. اجتماع الجيوش الإسـلامية على غزو المعطلـة والجهميـة، أبو عبـد الله شـمس الـدين محمـد بن أبى بكر بن أيوب بن سـعد الزرعى الدمشقى، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۴۰۴- ۱۹۸۴، الطبعة الأولى.

۵. الأربعين فى دلائل التوحيد، عبد الله بن محمد بن على بن محمد الهروى أبوإسـماعيل، تحقيق: د. على بن محمد بن ناصر الفقيهى، دار النشر، المدينة المنورة،

۶.

ص: ۲۱۹

۱۴۰۴، الطبعة الأولى.

۷. اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل ذيل طبقات الحنابلة، محمد بن أبى يعلى أبوالحسين، دار النشر، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقى.

۸. إنباء الغمر بأنباء العمر، شهاب الدين ابى الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى، تحقيق محمد عبد المعيد خان، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۴۰۶ ه، الطبعة الثانية.

۹. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبو الفداء، دار النشر، مكتبة المعارف، بيروت.

۱۰. بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبو العباس، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار النشر، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ۱۳۹۲، الطبعة الأولى.

۱۱. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، نشر دار الكتاب العربى، بيروت عام ۱۴۰۷ ه، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى.

۱۲. تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، تحقيق محى الدين عبدالحميد، نشر مطبعة السعادة، القاهرة، ۱۳۷۱ ه.

۱۳. تاريخ الطبرى، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

۱۴. تاريخ المذاهب الإسلامية، شيخ محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربى، القاهرة.

۱۵. تاريخ بغداد، أحمد بن على أبو بكر الخطيب البغدادى، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

۱۶. التأمل فى حقيقة التوسل، عيسى الحميرى، طبع بيروت.

۱۷. تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى

۱۸.

ص: ۲۲۰

الحسن الأشعرى، تصنيف ناصر السنة حجة الحفاظ مؤرخ الشام أبى على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى، دار النشر، دار الكتاب العربى، بيروت، ۱۴۰۴، الطبعة الثالثة.

۱۹. التحف فى مذاهب السلف، الشوكانى، دار النشر،

۲۰. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمى الرازى الشافعى، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۴۲۱ ه- ۲۰۰۰ م، الطبعة الأولى.

۲۱. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، دار النشر، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ۱۴۱۸ ه- ۱۹۹۷ م.

۲۲. تهذيب التهذيب، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى، دار النشر، دار الفكر، بيروت، ۱۴۰۴- ۱۹۸۴، الطبعة الأولى.

۲۳. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، دار النشر، المكتب الإسلامى، بيروت، ۱۴۰۶، الطبعة الثالثة.

۲۴. تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد أيمن الشبراوى، دار النشر، عالم الكتب، بيروت، ۱۹۹۹ م، الطبعة الأولى.

۲۵. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى، تحقيق شرف الدين أحمد، نشر دار الفكر ۱۳۹۵ ه، الطبعة الأولى.

۲۶. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن

۲۷.

ص: ۲۲۱

أحمد الأنصارى القرطبى، دار النشر، دار الشعب، القاهرة.

۲۸. الحجة فى بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمى الأصبهانى، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادى عمير المدخلى، دار النشر، دار الراية، السعودية، الرياض، ۱۴۱۹ ه- ۱۹۹۹ م، الطبعة الثانية.

۲۹. خريدة القصر وجريدة العصر، أبى عبد الله عماد الدين بن محمد بن صفى أبوالفرج محمد بن نفيس الدين الأصبهانى، تحقيق محمد بهجة الأثرى، نشر المجمع العراقى، ۱۳۷۵ ه.

۳۰. خلق أفعال العباد، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخارى الجعفى، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار النشر، دار المعارف السعودية، الرياض، ۱۳۹۸- ۱۹۷۸.

۳۱. درء تعارض العقل والنقل، تقى الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م.

۳۲. الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد العسقلانى، دار النشر، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدراباد، ۱۳۹۲ ه. ق/ ۱۹۷۲ م، الطبعة الثانية.

۳۳. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى الحنبلى، تحقيق: حسن السقاف، دار النشر، دار الإمام النووى، الأردن، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م، الطبعة الثالثة.

۳۴. دفع شبه من شبه وتمرد، تقى الدين أبى بكر الحصنى الدمشقى، دار النشر، المكتبة الأزهرية

۳۵.

ص: ۲۲۲

للتراث، مصر.

۳۶. الرد على الأخنائى واستحباب زيارة خير البرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى، دار النشر، المطبعة السلفية، القاهرة.

۳۷. الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل الشيبانى أبو عبدالله، تحقيق: محمد حسن راشد، دار النشر، المطبعة السلفية، القاهرة، ۱۳۹۳.

۳۸. الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبو العباس، دار النشر، دار المعرفة، بيروت.

۳۹. رسالة فى إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت فى القرآن المجيد، أبىمحمد عبد الله بن يوسف الجوينى، تحقيق: أحمد معاذ بن علوان حقى، دار النشر، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ۱۴۱۹ ه ۱۹۹۸ م، الطبعة الأولى.

۴۰. رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعانى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى، دار النشر، المكتب الإسلامى، بيروت، ۱۴۰۵، الطبعة الأولى.

۴۱. السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: د عطية الزهرانى، دار النشر، دار الراية، الرياض، ۱۴۱۰ ه. ق- ۱۹۸۹ م، الطبعة الأولى.

۴۲. السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيبانى، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطانى، دار النشر، دار ابن القيم، الدمام، ۱۴۰۶، الطبعة الأولى.

۴۳. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسى، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ۱۴۱۳، الطبعة التاسعة.

۴۴.

ص: ۲۲۳

۴۵. السیف الصقیل فی الرد علی ابن زفیل، السبکی، مکتبة زهران، القاهرة ومعه تکملة الرد علی نونیة ابن القیم بقلم: محمد زاهد بن الحسن الکوثری تقدیم: لجنة من علماء الأزهر.

۴۶. شرح العقیدة الأصفهانیة، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی أبو العباس، تحقیق: إبراهیم سعیدی، دار النشر، مکتبة الرشد، الریاض، ۱۴۱۵، الطبعة الأولی.

۴۷. شرح العقیدة الطحاویة، ابن أبی العز الحنفی، تحقیق ناصر الدین الألبانی، نشر المکتب الإسلامی، بیروت.

۴۸. الصفات، علی بن عمر الدارقطنی، تحقیق: عبد الله الغنیمان، دار النشر، مکتبة الدار، المدینة المنورة، ۱۴۰۲، الطبعة الأولی.

۴۹. العرش وما روی فیه، محمد بن عثمان ابن أبی شیبة العبسی أبو جعفر، تحقیق: محمد بن حمد الحمود، دار النشر، مکتبة المعلا، الکویت، ۱۴۰۶، الطبعة الأولی.

۵۰. العقیدة روایة أبی بکر الخلال، أحمد بن محمد بن حنبل الشیبانی أبو عبد الله، تحقیق: عبد العزیز عز الدین السیروان، دار النشر، دار قتیبة، دمشق، ۱۴۰۸، الطبعة الأولی.

۵۱. العواصم من القواصم فی تحقیق مواقف الصحابة بعد وفاة النبی (صلی الله علیه وسلم)، محمد بن عبد الله أبو بکر بن العربی، تحقیق: محب الدین الخطیب ومحمود مهدی الاستانبولی، دار النشر، دار الجیل، بیروت، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م، الطبعة الثانیة.

۵۲. العین والأثر فی عقائد أهل الأثر، عبد الباقی المواهبی الحنبلی، تحقیق: عصام رواس قلعجی، دار

۵۳.

ص: ۲۲۴

النشر، دار المأمون للتراث، لبنان، ۱۴۰۷ ه. ق- ۱۹۸۷ م، الطبعة الأولى.

۵۴. الغنية فى أصول الدين، أبو سعيد عبد الرحمن النيسابورى المتولى، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، دار النشر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ۱۴۰۶ ه. ق- ۱۹۸۷ م، الطبعة الأولى.

۵۵. فتيا وجوابها فى ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف، أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذانى، دار النشر، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ۱۴۰۹ ه، الطبعة الأولى.

۵۶. الفخرى فى الآداب السلطانية، محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى، نشر مكتبة صبيح القاهرة.

۵۷. قطف الثمر فى بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق حسن خان القنوجى، تحقيق: عاصم عبد الله القريونى، دار النشر، شركة الشرق الأوسط للطباعة- ماركا الشمالية الأردن، ۱۴۰۴، الطبعة الأولى.

۵۸. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

۵۹. لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك بن عبد الله الجوينى إمام الحرمين، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار النشر، عالم الكتب، لبنان، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م، الطبعة الثانية.

۶۰. مجموع كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبوالعباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

۶۱. معالم أصول الدين، فخر الدين محمد بن عمر

ص: ۲۲۵

۶۲. الخطيب الرازى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار النشر، دار الكتاب العربى، لبنان، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م.

۶۳. المنتظم فى أخبار البشر، أبى الفداء عماد الدين إسماعيل بن على، بدون ناشر.

۶۴. منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبو العباس، دار النشر، مؤسسة قرطبة.

۶۵. نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمى على المريسى الجهمى العنيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمى، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعى، دار النشر، مكتبة الرشد، السعودية، ۱۴۱۸ ه- ۱۹۹۸ م، الطبعة الأولى.

۶۶. الوافى بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركى مصطفى، نشر دار إحياء التراث العربى، بيروت، ۱۴۲۰ ه.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹